

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

الأخلاق

بين الكتاب والسنة وسائر الكتب السماوية

آية الله العظمى الصادق في الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرست مطالب

- سورة القلم - مكية - وآياتها اثنتان وخمسون ٧
- سورة الحجرات - مدينة - وآياتها ثمان عشرة ١٧
- محرمات خلقية و عملية ٤١
- سوء الجهر بالسوء من القول ٤٣
- سورة الهمزة - مكية - وآياتها تسع ٧٤
- عباد الرحمن ٨١
- الكائنات تسيح بحمدالله ٨٩
- تفسحوا في المجالس ١١٨
- املاء ابتلاء للكافرين المعاندين ١٢٩
- ان في الخلق كله آيات ١٤١
- كتمان الكتاب وعدم بيانه لعنة ١٥٣
- إشتراء الضلالة بالهدى ١٧٧
- لفتة إلى الحكم والحق: ١٩٠
- الأمل خيراً وشرأ ١٩٥
- ذرهم ياكلوا ويتمنعوا ويلهم الامل ١٩٥
- الامال بين خيرة وشريرة ١٩٥

سورة القلم - مكية - وآياتها اثنتان وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ
رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨)
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعِ كُلَّ خَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١١)
مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَتِيمٍ (١٢) عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا
تُلِيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ (١٦)

... تسلييات لخاطر النبي الأقدس محمد3 أن
هتكوه وبهتوه وكل شيء فعلوه مساً بكرامته،
وإنها تحمل التصريح بأعظم المقامات
الرسالية والولايات الإلهية، تختصها به3: أن
جاء بما جاء به النبيون وزيادة، كأنه
النبيون أجمع، وكتابه الكتب وزيادة...
تبتدىء السورة بنداء الرسول رمزياً ب (ن)
علها تعني (النبي) كأن النبوة تختصه وهو
مختص بها! وشاهداً عليه هنا الخطاب اللاحق:
(ما أنت...)) ومن تفسير أهل البيت قول باقر
العلوم عليه السلام: إن (ن) من أسمائه
المذكورة في القرآن ويا له من إرجاء
لطيف: أن النبوة تختصه لحدّ أصبحت من
أسمائه، فهو كيانه النبوة، وكله نبياً
الغيب، لا يحمل من الأرض إلا الجسد، وهو أيضاً
تبدل نوراً لحدّ أصبح أطف من أرواحنا
وعقولنا، ومن أرواح الملائكة! و كما يروى
أنه 3 لم يكن له ظل.
نراه يخاطب في القرآن - أكثر ما يخاطب

١ . نور الثقلين ٥ : ٣٨٧ ففي الخصال عن
الباقر عليه السلام قال: ان لرسول الله3 عشرة أسماء،
خمسة في القرآن وخمسة ليست في القرآن، فأما التي
في القرآن: محمد واحمد وعبدالله ويس ون.

- بالنبي، الرسول، فهما (ن) لأن النبوة وهي الرفعة، إنها مرتبة شامخة من الرسالة، فليس كل رسول نبياً مهماً كان نبياً. وإذ قد نرى أحاديث عدة أن (ن) نهر في الجنة جعله الله مداداً يكتب به ما هو كائن إلى يوم القيامة (وهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلها)^١.

فهي ترمز إلى موقف النبي³ في علمه المكنون، كأنه النهر المداد الذي نسخت عنه كتابات الوحي كلها، وهي النعمة الوحيدة، والكرامة الفريدة التي اختص بها بين العالمين من النبيين و الملائكة وكافة الروحانيون!

ف (ن) هو النبي، وهو النهر المداد، فهو النبيون أجمع، وقرآنه هو الكتب أجمع. (والقلم وما يسطرون): قسماً بالقلم: آلة الكتابة أياً كانت، وبما سطر به من وحي على لوح قلبك المذير، وعلى حد تعبير الرسول صلي الله وعليه وآله نفسه في الآية: (لوح من نور و قلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة)^٢، وقسماً بأقلام أنوار الوحي كلها، وأقلام الإلهام التي تكتب الإيمان و التأييد في قلوب المؤمنين: (اولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) و أقلام الرحمة الرحمانية العامة للعالمينة وكالأقلام الضوئية والصوتية، وأقلام التصوير في الأرحام، وأقلام القضاء والتقدير، وأمثالها من أقلام تسطر ما يصدر عن مصدر الوحي: تكويناً وتشريعاً، تكليفاً وسواه. ثم الدرجة النازلة من القلم هي أقلام الكتاب مناء، وهي من أكبر النعم الإلهية، والكتابة عذصر أساسي في النهوض بمهمة

^١ . نورالثقلين ٥ : ٣٨٧ عن تفسير القمي عن الصادق عليه السلام.

^٢ . الدر المنثور ٦ : ٢٥٠ عنه 3 في قوله تعالى (ن) والقلم وما يسطرون).

القيادة الصالحة الرشيدة، آنذاك تتجه إلى التعلم عن هذا الطريق، وكانت الكتابة فيها متخلفة نادرة! وفي الدور المقدر فيه للرسالة الإسلامية: نقل هذه الأمانة الكبرى وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء البسيطة!

ففيه تنويه مليح بقيمة الكتابة، وأيحاء بنفي الكتابة والاككتاب عن محمد الأمي³: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك أذاً لارتاب المبطلون) فدفع تهمة الإستكتاب والاستنساخ واجب مبدي لهذه الرسالة السامية، فأميته قبلها، هي من فضائله، وإن كان أخذ يكتب ويقرأ منذ الرسالة إلى أن قضى نحبه!

قسماً بهذه العطية الربانية التي ما لها من فواق، وهي تشهد لوفور عقلك ورجاحته على عقول العالمين:

(ما أنت بنعمة ربك بمجنون): إن النبوة الحمديّة وهي أعظم النعم الروحانية الإلهية، إنها برهان على أنك العقل كله، فكيف يفترى عليك بالجنون، فمهما كانت النبوة بذاتها خفية، ولكن آثارها المسطورة بأقلام الألسن و سواها، تدل عليها، فهل ياترى إن عقل الوحي يجنن؟ ومن رشحاته تكمل العقول الناقصة، وتتكا مل العقول الراجعة! وعلى أضوائه يعرف الغث من المسلمين، والخائن من الأميين!.. (ما أنت بنعمة ربك): بسببها أو مصاحبيتها: (بمجنون) فنعمة الوحي لا تصاحب الجنون ولا تسببه.

فهل هذا من حكم العقل السليم: أن نعمة النبوة تسبب الجنون أو تصاحبه، فهل ياترى إن التحلل عن وحي السماء يمنع عن الجنون ويسبب العقل؟ فما نسبة الجنون إلى صاحب الوحي إلا نسبته إلى الموحى! فهل الله أيضاً مجنون؟.

وما هذا الهراء إلا كالقول: إن صاحب المليار فقير، وحامل العلم جاهل!

عجباً من هؤلاء الذين كانوا يرون محمداً³ قبل النبوة أعقل العقلاء، فلما اتصل عقله بخالق العقل وحيأ قالوا: إنه لمجنون، ولكي ينقروا الناس عنه.

إن العجب لياً خذ كل من درس عن سيرة الرسول³ شيئاً تقولهم هذا عنه: (مجنون) وهم الذين عرفوه برجاحة العقل بينهم حتى حكموه في رفع الحجر الأسود قبل النبوة بأعوام، ولقبوه بالأميين، ولكنهما الحقد يعمي ويصم ويقذف بالفرية دون حساب.

(وإن لك لأجراً غير ممنون): غير مقطوع عنك ولا ممنون عليك، رغم المنة الإلهية في نعمة النبوة على النبيين وعلى الخلق أجمعين، ولكن أجرك - وهو فوق أجور الخلائق - لا يمن به عليك، ولأنك صبرت على الأذى، واستقبلت كل لظى في سبيل الدعوة، بخلق عظيم، وليس عدم المنة عليه لأنه يستحق أجر الرسالة ذاتياً، وأنما هو اكرام له ثان بعد الأجر الأبد، فانقطاع الأجر ينقصه، والمنة عليه ينغضه، وأجر الرسول غير الممنون من الجهتين، كرامة تختصه دون سواه من حملة الرسالات الإلهية، وإنه إيناس خاص كتعويض فائض غامر، عن كل حرمان وجفوة وبهتان يرميه بها المشركون، فلو حرم عطف المشركين، فقد زود بعطف رب العالمين بما لا مثيل له في ملاء العالمين، فالله تعالى هو أجره، ورحماته غير المحدودة هي أجره وهما غير مقطوعين عنه في كافة مراحل حياته.

الخلق العظيم للرسول محمد(ص)

(وانك لعلي خلق عظيم) لأنك تخلقت بأخلاق الله العظيم وتادبت بأدابه: فما أحسنه وأحلاه أن تكون خلق الرسول محمد³ عظيماً عند الله، ولا عظيم فيمن سواه تعالى إلا وهو صغير بجذبه! وما أحرأه³ أن يستعظمه ربه في خلقه، ولأنه رباه: (أدبه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب

وانتهى به إلى ما أراد، قال له: (إنك لعلی خلق عظیم)^١ إذا فُخِّق الرسول هو منتهى ما أراد الله من أول العابدین، ولو كان بالإمكان أن یزید لزاد.

فالرسول محمد³ بكيانه ككل، هو منتهى الرحمة والنعمة الإلهية، الممكن إيتاؤها لمن سواه، وما أحلى ما وصفه به سليمان عليه السلام: (وكولو محمدين): وكله في غاية المحمودية)^٢!

ولتمامية خلقه العظيم ولأنه أفضل أو تمام ما أتى به البنيون، يقول 3: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

(إنك لعلی): لا يقول إن لك خلقاً عظيماً، فقد يملك الإنسان أمراً ثم يفقده، بل (إنك لعلی خلق عظیم): ف' (علی) توحى بعلوه على خلقه العظيم، علواً مؤكداً لا يزول، كما توحى حرفاً التأكيد (إن - ل') فقد مزجت الخلق العظيم ذاته لحد لن تنفصل عنها، بعصمة وعناية خاصة ربانية، فلقد كان خلقه القرآن مزيجاً بقلبه المذير، ظاهراً في أعماله بقلبه وقالبه، فهو هو القرآن الناطق (أنا القرآن والسبع المثاني. وروح الروح لا روح الأواني) فكيف لا تكون خلقه عظيماً وقد تجلى الله لسره بأنوار أخلاقه كما يمكن للمكنات، وقد بعث ليتمم مكارم الأخلاق، فليكن خلقه على تمامها قبل تميمها للناس، فلم يبق بعد هذه البعثة الأخلاقية سفاسف أخلاق أبداً إذ أبان لنا عن مصارفها كلها.

وبما أن مادة الخلق من الخلق، فلتكن كما الخلق، كأنها من كيان الإنسان، مخلوقاً معها، وليست إلا بسعيه الجميل، بين عنايتين إلهيتين: فطرة الحق، وتأيد الله لمن يتبذرى

^١ . نورالثقلين ٥: ٣٨٩ - عن الكافي عن الامام الصادق عليه السلام قال: رواه فضيل بن يسار عنه عليه السلام وروى اسحاق بن عمار اضافة (وانتهى به إلى ما أراد).

^٢ . راجع كتابنا (رسول الاسلام في الكتب السماوية).

الفطرة في استزادة من الخلق الطيبة، ثم علوه 3 على هذا الخلق، كأنه يجعله أعمق من ذاته وأبقى، كأنه هو الخلق العظيم لاغيره. وإن سيرة الرسول الأقدس، المجيدة، تتجاوب تماماً والثناء الفريد، شهادة من الله، في ميزان الله، لعبد الله: أول العابدين (وإنك لعلی خلق عظیم) تتردد هذه الشهادة الإلهية في الملأ الأعلى بين النبيين والملائكة، في كلمة لا يعرف مداها وصددها إلا قائلها ومن ألقى عليه!

وهل ياترى إن محمداً 3 يفقد توازنه في هذا الثناء المجيد؟ كلا! ولأنه على خلق عظيم، أوترى أنه تتأرجح شخصيته وتضطرب تحت وقعه، ويتبهج به، وينسحق تحت ضغطه الهائل فيرضى عن نفسه ويطمئن لها وإليها فيلهوا؟ كلا! ولأنه على خلق عظيم، فمن هذا الإنسان الذي يستطيع حمل هذه الرسالة الصعبة ويتحمل أعباءها ووزرها، إلا محمداً 3 العظيم، الذي هو على خلق عظيم؟ أجل: إنه محمد وحده الذي يرقى إلى هذا الأفق المبين.

ثم نجد لهذه الكلمة اللفتة دلالة باهرة على تمجيد عنصر الأخلاق في ميزان الله، وأصالته، كأنه الكل من الحقيقة الإسلامية، ولذلك يعلن: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، فإنها الرسالة المحمدية لاتعني إلا تكميم مكارم الأخلاق.

ليست هذه مبالغة، طالما الأخلاق تشمل الفضائل العقائدية والأعمالية والأقوالية، ومن ثم: فردية وجماعية، ثم بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين ربه، وبينه وبين مجتمعه، فهل بعث النبيون إلا لهذه، طالما اختصت لغة الأخلاق الحسنة بزاوية خاصة منها هي تحسين العشرة؟ وهي السجيا الفاضلة: المدركة بالبصيرة، ومن ثم: الظاهرة بالبصر.

فلأخلاق معنى عام، وآخر خاص، والأول هو المعنى من غاية البعثة المحمدية تكميلاً.

(فستبصر ويبصرون. بأيكم المفتون): مهما كنت بصيراً
بجالك القدسية، وانك كل العقل وكلك عقل،
وأن مناوئيك كل الجنون وكلهم مجانين، فأنت
أنت تبصر دونهم (فستبصر ويبصرون): في
المستقبل مع بعض، يبصرون كما تبصر (بأيكم)
العقل (المفتون): المبتلى بالجنة، وبأيكم
العقل المتحلل عما يحجبه، المتفتح بما
يشرحه ويكشفه، فسوف يكون الإبصار مدياً يوم
الدنيا لمن يبصر، وعالياً يوم البرزخ إذ
يكشف الغطاء، وأعلى منه يوم الحشر إذ لا
يبقى خفاء، ولات حين مناص.

إن تقولاتهم المجنونة ليست عن جنون خلقى
يرفع التكليف، إنما بما جننوا أنفسهم وختم
الله علي قلوبهم: (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم).

(إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين): فما

أجهل من يحسب المهتدي الهادي ضالاً، ويحسب
نفسه الضالة مهتدياً، وما أحلى من يعلم
الضال عن المهتدي، مهما أخطأ أحياناً في
اقدارهما أو مواضعهما، وما أعظم علم الله
بهما وبكل شيء، إذ لا يعزب عن علمه شيء في
الأرض ولا في السماء! فالضال عن سبيل الله هو
المجنون إذ يتجاهل أو يجهل خيره عن شره،
والمهتدي هو العاقل.

(فلا تطع المكذبين(٨). ودوا لو تدهن فيدهنون(٩):

الطاعة المنهي عنها هنا هي مداهنتهم في
الدين كما ودوها: (لو تدهن): تداريهم
وتماريهم تاركاً جد الدعوة إلى الملاينة
والمصانعة (فيدهنون): يمارونك ويदारونك،
بقسمة البلد بلدين، بمحاولة أنصاف حلول،
وإن هذا إلا مكر يمكرونه دون أن يرجع
بالضرر إلا إليك، لو أنهم أنصفوا كما
يعدون، ولكنهم كاذبون، فلا تصلح لهم إلا
القول: (لكم دينكم ولي دين) فليست الديانة
تجارة تقبل الإلتقاء في منتصف الطريق، إنها
عقيدة تمازج لب الإنسان وعمقه، والتنازل

عنها تنازل عن لب الإنسان، والهوة بينها وبين الجاهليات ليست بالتعبّر عنها، أو تقام عليها قنطرة.

إن الرسول 3 كان - و كان عليه أن يكون - ألبن الناس و أدهنهم فبما لا بمس من كرامة العقيدة و الدعوة، و هو أصلبهم تصلباً في الدين، لا بداري و لا بماري أحداً، و هكذا بجب أن تجابه الجاهليات أبداً، بالفضال الفصل الذي لا مدهنة فيه و لا دلال، صموداً صارماً و أصباً في دين الله، دون تمحل فيه و لا تمهل، و إنما تنكل بالأعداء المحاربين، السافرين في عدائهم و المنافقين، و لم بكن الرسول بدهن، و كما توحبه حرف الإمتناع (لو).

(ودوا لو تدهن): تبدأ أنت بالمدهنية و التنازل عن بعض الشيء من شريعة الله: (فبدهنون) كما بزعمون و يدعون، و ان رزقهم من شريعة الحق هو التكبب به: (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون. و تجعلون رزقكم أنكم تكذبون) (٥٦: ٨٢).

(و لا تطع كل حلاف مهين) (١٠):

نهى ثان بعم كل من بفيه هذه الصفات التسع، و هي رؤوس رذائل الأخلاق، و قد نزل بشأن ألعن الشانئين برسول الله: الولبب بن المغيرة، إذ وقف وقفته العنيدة ضد الدعوة الإسلامية، و كما نزلت في الآيات في (المببثر): ذرنى و من حملات منقطة النظبر ضد هذا الوحبب في كفره و فسقه.. ثم و تشمل الآيات كل من حزى حذوه في هذه الملعنات، الصفات التسع الموبقات:

فهو (حلاف): بقلب كببراً، و دون ضرورة و موآربة، مما بكشف عن كببرة كببه، و عدم اكتراسه و احتراسه بساحة الربوبية.

و (مهين): حبببر الرأي و التبببر لا بثق بنفسه و لا بثقون به، و لذلك بحتاج إلى الحلف الكبببر في كل بلبب و حبببر.

و (هماز): عباب طعان بلوى شبقبه في أقفية الناس، بعبش همز الناس و كأنه هو

وحده بريء .

وفي الحديث: (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس): شغلاً عن همزهم وتعييبهم، لا عن نهيهم، بالحكمة والموعظة الحسنة فإنه فرض. (مشاء بنميم): يمشي بين المتحابين بعدائهم لبعض، وبين المتعاندين، ليزدادوا عداً .

(مناع للخير): يحاول دائباً لصد سبل الخير علي الناس، وكان للوليد عشرة من البنين وأموال غزيرة، يهددهم وسائر أقاربه، من تبع منكم دين محمد لا أنفعه شيئاً أبداً .

(معتد): يجاوز الحق، ويتجاوز على أهل الحق .

(أثيم): كثير الإثم: وهو كل مبطيء عن الخير والثواب، وكان الإثم أصبح لذاته لزاماً لا يستطيع تركه!

(عُتِلُّ بعد ذلك زنيم): والعُتْلُ هو الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر، والعُتْلُ هو كثير الأخذ كذا، فهو الآخذ بمجامع الرذائل، يجرها إلى نفسه وإلى مجتمعه بعنف، لفظة تخير بجرسها عن مدى معناها في العُتْلُ السوء، وجره وجمعه: فهو الغليظ الجافي المرِيد، الشره المنوع العتيد، الأكل الشروب الحريص العنيد، اللئيم (الزنيم): الذي لا أصل له وهو زائد في قومه، الدعي الملحق بمن ليس هو منه (زنيم) ليس يعرف من أبوه - بفئ الأم ذو حسب لئيم) ويالها من رذائل قلما تجتمع في شخص واحد، اللهم إلا وحيداً: (ذرنى ومن خلقت وحيداً)! وكل هذه الميوعة والرعونة:

(أن كان ذا مال وبنين . اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الأولين):

أساطيرهم وخرافاتهم، رغم أنها آيات الله، تدل بنفسها أنها إلهية وليست بشرية، ولو من عقل العقلاء، فضلاً عن الرجعيين الخرافيين!

(سنسمه على الخرطوم) (١١): سئعلمه بعلامة يعرف بها على خرطومه: أنفه، إذ بلغ في استكباره لحد كأن له الخرطوم، والفيل يبالي بخرطومه ويفتخر، وكذلك هذا الزنيم يشمخ بأنفه: ان كان ذا مال وبنين؟

إن خراطيم المستكبرين موسومة بالحق يوم الدنيا، يعرف وسمتها ووصمتها العارفون ثم يوم البرزخ والرجعة والقيامة. تبرز الوصمة وتعلم، ولكي يعرفهم المحشورون معهم أجمع: (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام).

ولقد وسم الله وحيداً على خرطومه: (أنفه) يوم بدر إذا صاب أنفه جراحة فادحة بقيت علامتها كما قيل: ووسمه الله يوم البرزخ، وسوف يسمه يوم القيامة شر وسمه ووصمة يعرف بها بين أهل الجمع أنه الوحيد الشرير الأثيم الزنيم.

مشهد من مشاهد التخلف والتمرد يحمل طرفاً من بلوى الدنيا لمن أجمل عن ذكرهم ب' (أصحاب الجنة): بستان ملتف الأشجار، يجن بعضها بعضاً، لحد استحق اسم الجنة التي قلما تعني الدنيوية.

١ . القمي في آية الوسم: قال قال X في الرجعة اذا رجع امير المؤمنين X ورجع أعداؤه فيسمهم بسميهممعه كما توسم البهائم على الخراطيم: الأنف والشفتان. اقول: وهذا من باب الجري على بعض المصاديق المختلف فيها. (تفسير الفرقان ت ج ٢٩ - م ٥).

سورة الحجرات - مدينة - وآياتها ثمان عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)

سورة هي ثورة قارعة على اللا أخلاقيات العارمة، المتبقية في الجماعة المسلمة من جاهليات، او المتسربة فيها من عادات سيئات، نازعة هذه الكتلة المؤمنة عن أخلاق الذنسان إلى أخلاق الناس ما يؤدبه يجنب الله ورسوله من عدم التقديم بين يدي الله ورسوله، وما ينظم سلوكه مع المؤمنين و سائر الناس في المجتمع الحيوي، وما يمتاز به انسان في شريعة الله، وهي على قلة آيها كثيرة المعنى، غزيرة المغزي، تذبح بحقائق تفتح للعقول والقلوب آفاقاً بعيدة، ما تتجاوز حجمها مات المرات، لو اتخذها المؤمنون نبراً ساً في

سيرتهم ومتراساً في مصيرتهم لعاشوا أعة
أعلون، وليكونوا مثلاً للأخلاق الفاضلة، ومثلاً
للإنسانية الكاملة، فيكونوا مدينة فاضلة
يحكم فيها اخلاق الله، يأمن فيها المؤمنون
بالله، ومن هم في ذمهم على ضوء شريعة الله،
شرط الأقدموا بين يدي الله:

(يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع

عليم)(١)

...تري ماذا تعني (بين يدي الله)؟ إنها
الأمم تشريعاً ام سواه، وليست اليدين
الجارحتين، فاليدان لاتختصان بهما وإن لمن
له جارحتان؛ كالموارد التي لاتناسبانها مثل
عقدة النكاح: (او يعفوا بيده عقدة النكاح)
(٢: ٢٣٧) وكسائر الموارد للمخلوق الذي
ليست له جارحتان: (ان هو الا نذير لكم بين
يدي عذاب شديد) (٣٤: ٤٦) (إذا ناجيتم
الرسول فقدموا بين يدي نجوا كم صدقة) يعرف
معاني الكلام: ان له يدين جارحتين كما
تناسب ساحة قدسه، من تناقض جارح لساحة
قدسه قارح لتجرده عن كافة الحدود و
الأمثال.

فهنا التقديم بين يدي الله، ليس ان تقدم
نفسك في مشيتك على الله فلا له مشي على الأرض

١ . فما هو إلا مثل ما يقال: ان الله يجهل كما يناسب
الوهيته، ويعجز كما يناسب الوهيته، وينزل من سماء
الي سماء ويصعد كما يناسب الوهيته! فان من الصفات
والأفعال ما لا تناسب ساحة الألوهيته في أي معنى
أخذت - كهذه وكالظلم والنسيان والسهو والخطأ -
وسائر ما يختص بالمخلوقين - كما أن منها ما يختص
به تعالى دون أن يشاركه فيها غيره باي معنى كان -
كالرحمانية والرحيمية والمعبودية والمشرعية.. وان
كان منها ما تنسب الي الله كما يناسب ذاته وتنسب الي
غيره كما تناسبه - فاللفظ مشترك والمعنى متباين -
كالوجود والحادث والأبدي والفاني - والمادى - ومن
هذا الألفاظ والشبهات فإذها تستعمل في معاني
مختلفة حتى لمن له هذه الأعضاء، فكيف بمن ليس له
أعضاء؟

فالمعلوم قطعياً هنا أن اليدين بالنسبة لله ليستا
الجارحتين، وإنما صفات أو أفعال تناسب ذاته
تعالى، لا أجزاء من ذاته فليست له اجزاء.

ام سواها، ولا ان هناك - لو كان - تماشياً
وتسابقاً حتى ينهى عنه، وانما هو تقديم لك
عليه في اعتقاد او مقال او فعال كتشريع
وحكم ام ماذا؟

ف' إن الحكم الا لله يقص الحق و هو خير
الفاصلين (٥٧ : ٦) والله يحكم لامعقب لحكمه
(١٣ : ٤١).

فمن التقديم بين يدي الله تقديم لحكم على
حكم الله، في عقيدة أم قول أم فعل، سواء أكان
نقضاً لحكم الله بعد ما حكم فهو تشريع، ام
سبقاً لحكم الله قبل أن يحكم و ان وافقه بعدما
حكم، فإنه فسوق وخروج عن التسليم لله.

و (ان الله سميع عليم) ليس ليختص التقديم
الممنوع بالقول لأنه فقط المسموع دون
العقيدة والفعل فانه ثني ب(عليم) فيشمل غير
القول مما يعلم من فعل أم عقيدة أم ماذا.

ومن ثم التقديم بين يدي رسول الله هو
كالتقديم بين يدي الله، ولا فارق بينهما إلا
أصالة في الله ورسالة في رسول الله دون أي
استقلال عن الله (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله)
(٤ : ٨٠) وإلا أن لرسول الله أمام الجسم كماله
أمام الرسالة ف' (لا تقدموا بين يدي رسوله)
تعم تقديمك نفسك أم سواك على رسول الله في
مشيته أو قيامه أم جلوسه وقعوده، فكما ان
روحه برسالته تتقدم على سائر الأرواح، كذلك
جسمه الذي يحمل تلكم الروح القدسية، لايقدم
عليه أي جسم ولا أي روح، فجسمه 3 أشرف من
سائر الأرواح فضلاً عن روحه!

والنهي عن التقديم هنا وهناك يعني وجوب
التأخير، والتسليم لله ولسوله، دون مساوات
أو مساوات مع الله أو الرسول في حكمه أم
سواه، وأنها داخلية في (واتقوا الله) حيث تنافي
التقديم (واتقوا الله) في الوهيته وفي رسوله
أن تفسقوا عن مثلث العقيدة والقول والعمل
في حكم الله (ان الله سميع) ما تقولون (عليم) ما
تنوون وتعتقدون وتعملون.

ولماذا (لا تقدموا) دون (لا تتقدموا)؟ لأن

التقديم يخص المخاطب نفسه دون سواه، والتقديم يعمه وسواه، فكما يحرم التقديم علي الله ورسوله في حكم أو سواه، كذلك أن تقدم غيرك علي الله أو علي رسوله، وإن كان ذلك الغير رسول الله، ان تقدمه علي الله، أو إماماً من الأئمة تقدمه علي رسول الله، أو أن تساوي وتسامي بين الله و سواه أو بين رسول الله وخلق سواه.

ومن ثم فلا يختص حكم التقديم بالحكم، فانه يعم الحكم وسواه، كأن يقدم نفسه أم سواه علي رسول الله في مشيه أو جلوسه أو قيامه أو كلامه أم ماذا، فان الرسول مقدم علي الأمة بحكم رسالته، كما الله مقدم علي الخلق بالوحيته في كل شيء، فلا يقدم بين يدي كيانه كيان، ولا بين يدي عبوديته سواه، ولا طاعته سواه، ولا حرمة سواه، ولا بين يدي الإسلام، يقدمون حكم فلان وفلان علي حكم الله، وحديث فلان علي كتاب الله، واجتهاد فلان علي سنة رسول الله، وإذا قيل لهم هذه بدعة؟ قالوا: نعم بدعة حسنة^١! أو قيل لهم: حديث يخالف كتاب الله؟ قالوا: اسناده صحيح تقبله العلماء! (فما لهم لا يؤمنون. وإذا ذكروا لا يذكرون. فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون). وإنما هو كتاب الله، أو الرواية الموافقة لكتاب الله، أو الثابتة غير المخالفة له، دون أي اجتهاد من قياس أو استحسان أم ماذا، من تشريع بغير مصدره، تقديماً بين يدي الله ورسوله أو مساواتاً، وان عدم التقديم بين يدي الله ورسوله لزام الإيمان بالله وتقواه، فسواه كفر بالله وطغواه.

وها هو أدب نفسي مع الله ورسوله، كأصل وحيد في التشريع حكماً وفي سواه سواه،

١ . وبين بدعة وحسنة تناقض بين لان البدعة ادخال ما ليس من الدين في الدين أم اخراج من الدين عنه - فالبدعة معارضة للدين وما احمق هؤلاء الذين يوجهون بدعاً جازفة بلفظ الحسننة - كان اللفظة تحوّل الماهية السيئة الى الحسننة. فما لهم ان يؤفكون.

منبثقاً من تقوى الله النابغة من الشعور أنه
الله وليس سواه، ورسوله الرسول ليس سواه،
وشعوراً أنه سميع عليم، يسمع كل تقديم في
مقال، أو تقديم في فعل أو فكرة أو حال، فلا
يرى المؤمن تقديماً هنا أو هناك ولو رؤياً
مجنحة في خيال.

ولقد تأدب جماعة من المؤمنين الأولين
بهذا الأدب لحد كان رسول الله³ يسألهم عن
اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه،
فيتخرجون أن يجيبوا - على علمهم إلا
بقولهم: الله ورسوله أعلم^١.

١ . كما جاء في حديث أبي بكر نفيح ابن الجارث
الثقفي أن النبي³ سأل في حجة الوداع أي شهر هذا!
قلنا الله ورسوله أعلم - فسكت حتى ظننا أنه سيسميه
بغير اسمه، فقال: إليس ذا الحجة؟ قلنا بلى! قال:
أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا
أنه سيسميه بغير اسمه فقال: إليس البلدة الحرام؟
قلنا بلى - قال فأى يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم
ت فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه - فقال:
إليس يوم النحر؟ قلنا: بلى!..

ومن تقديم بين يدي رسوله رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول ونداءه من وراء الحجرات:

(يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم و انتم لاتشعرون) (٢).

فليكن صوت النبي فوق الأصوات كما أن صيته فوق الصيوات، صوت في حال أو مقال، وصيثة في حال أو مقال، وصيثة في حال علي آية حال، ومن سوء الأدب أن يرفع صوت فوق صوته، بل والجهر له بالقول كجهر بعضكم لبعض، وان كان أدني من صوته، فلتبرز مكانته الرسالية بين الجموع علي المكانات، وليكرم فوق كل الشخصيات ف (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)!

إنه قد يرفع صوت فوق صوته³ فهو محذور، وقد يجهر له بالقول كما يجهر لسواه علي سواء، فهو أيضاً محذور، وان كان دون صوته، فالمرغوب إذاً غض الأصوات عند رسول الله³ دون أن يساوي في صوت، أو أن يسوي بغيره في صوت، فضلاً أن يرفع فوق صوته صوت، فلو حصل أي من ذلك استخفافاً به³ لكان كفراً، وخطاب الايمان هنا ينفية! ولو كان اساءة أدب فمن أفسق الفسق، والايمان ينفية، ولو كان لا شعورياً كعادة جاهلية دون تقصّد استخفاف أم إساه وإيذاء، كما قد تقصده فقط - الآية، فهو إحباط للأعمال (وانتم لاتشعرون) لا تشعرون خطأ الجهر ورفع الأصوات، ولا عظمتة ومداه، ولا انه لحد الإحباط: (وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) (٢٤:١٥) (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) (٣٩:٤٧): مثلث اللاشعور الرهيب، أو مثناه لم يشعر خطاه و لا يشعر مداه ولحد الإحباط، فأما بعد هذا البيان الإشعار فهم شاعرون! إذاً فالخبط أغوي والخبط أقوي علي من يهبط من مكانة النبي الاقد³.

وقد يعنى الخبط هنا ما يخص أعمال

الخطاب، أن لو لم تكن فيه إساءة أدب وإيذاء لكان صواباً وثواباً، ولكنها حابطة بسوء الأدب، أو يعنى حبط الأعمال بين هكذا خطاب إلي المَنّاب، حبطاً لثواب، لا لأصل الصحة كالصوم والصلاة، فإن الحبط فى إساءة اللاشعور يختلف عن الإستخفاف والكفر المحبط لأصل الأعمال، والإساءة الفسق التي تحبط منها قدرها، فلكل إحباط قدره، تحبط أعمالكم.

فيا له خطاباً رهيباً حبيباً، يجذرهم هذا المزلق الذى ينتهى بهم الي حبوط أعمالهم و هم لايشعرون، ولقد ارتعشت قلوب بعض وارتجفت تحت هذه الوقعة القارعة ان خشى بعضهم أن يكون من أهل النار كثابت بن الشماس^١ وكان من طبيعه رفيع الصوت دون أن يرفعه عمداً، لا هنكاً ولا إساءة ولا جهلاً، فلم تشمله الآيه، فانها تنهى عن ذلك عدماً أو جهلاً باختيار، لاجهراً دون اختيار.

كما ندم آخرون مما جهروا جهراً كعادة متبقية جاهلية حولها الإسلام إلي أدب طاهر، مثل الخليفة أبى بكر والخليفة عمر فلما رفعاً أصواتهما فوق صوت النبى³ نزلت الآيه فتابا واختجلا.^٢

^١ . روي الامام احمد بسند عن انس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآيه - و كان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت - فقال: أنا الذى كنت ارفع صوتى علي رسول الله³ أنا من اهل النار، حبط عملى وجلس فى اهله حزينا ففقده رسول الله³ فانطلق بعض القوم اليه فقالوا له تفقدك رسول الله³ ما لك؟ قال: أنا الذى ارفع صوتى فوق صوت النبى³ واجهر له بالقول، حبط عملى، أنا من اهل النار، فأتوا النبى³ فأخبروه بما قال فقال النبى³ لا - بل من اهل الجنة - قال أنس: فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم انه من اهل الجنة.

^٢ . فى صحيح البخارى حدثنا يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن ابي مليكة قال: كاد الخيران ان يهلكا: - ابا بكر و عمر رضى الله عنهما -، رفعاً أصواتهما عند النبى³ حين قدم عليه ركب بنى تميم (فى السنة التاسعة من الهجرة) فأشار احدهما بالأقرع بن حابس (رض) أخى بنى مجاشع (أى ليؤمر عليهم) وأشار الآخر برجل آخر قال نافع: لا احفظ اسمه (فى رواية اخرى ان اسمه القعقاع بن

وتري أن الجهر بالقول، لالرسول3 وهو حي، وإنما لغيره وفي مسجده، أم الجهر في قراءة القرآن أو الدعاء عند قبره، هل إن ذلك محظوراً عطفاً علي الجهر له بالقول وهو حي؟ الحق أنه لامحذور، وإلا الحظر علي الاذان المجهور به للدصلوات في مسجده، وعلي خطبة الجمعة وسائر الخطب فيه، وعلي الدروس التي تلقي فيه، أم وسائر الجهر ما لم يكن فيه هتك لساحة الرسول3 كجهر المعاركات التي تحصل تعصباً عند قبره، وجهر الكلمات المفارقة لجموع المسلمين، الهاتكة لحُرْمهم، الفاتكة لحرْم الرسول وحرْمه، كالمجاهرة بتكفير جماعة غفيرة من المسلمين، ونسبتهم إلي الشرك، لأنهم يقبلون ضريح الرسول3 الطاهر حياً فيه لاعبودية، وكما أن غيرهم يقبلون أولادهم وأيدي وجباه علماءهم حياً أو إحتراماً لهم، تلك إذا قسمة ضيزي: ظالمة، ان ذلك شرك وليس هذا شركاً! جمع الله شمل المسلمين - آمين.

من ثم - وبعد التنديد الشديد بمن يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي أو يجهرون له بالقول - يمتدح من يغضون أصواتهم عند رسول الله:

(ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم

←

معبد) فقال ابوبكر لعمر - رضي الله عنهما - ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالي الآية، قال ابن الزبير فما كان عمر (رض) يسمع رسول الله3 بعده هذه الآية حتي يستفهمه وروى عن أبي بكر (رض) انه لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله3 والله لا أكملك الا كأخي السرار (يعني كالهمس).

. يروي عن الخليفة عمر (رض) انه سمع صوت رجلين في مسجد النبي3 قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: ادريان اين أنتما؟ ثم قال: من اين أنتما؟ قال: من اهل الطائف فقال: لو كنتما من اهل المدينة لأوجعتكما ضرباً - اقول لعله (رض) حرم ذلك لكونه معاركة في مسجده3 إلا انه كيف يفرق في حكم الله بين اهل الطائف والمدينة؟ انا لا ادري!.

للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم).

إن غض الأصوات عند الرسول 3 وهو كسرهما، يرمز إلي واجب التخصُّع عنده في أي صوت أو صيت، لأنه يحمل رسالة الله، فلا يساوي بغيره أو يسامي، وإنما غضُّ وحضُّ ظاهر في حال ومقال من قلب ممتحن للتقوي، وكما الجهر له ورفع الصوت علي صوته، هو من قلب مقلوب ممتهن بالطغوي، فهؤلاء تحبب أعمالهم، وأولئك الأركام لهم مغفرة عما تعرضهم من لمّ وسواه، وأجر كريم حيث يغضون اصواتهم عند رسول الله، وإنما (رسول الله) لامحمد ابن عبد الله، ولأن الغض عنده غض عند الله، فلذلك هو نابع عن تقوي الله، وليعش المؤمن غضاً لكيانه ككل عند الله وعند رسوله، فلا يقدم بين يدي الله ورسوله.

ثم ومن سوء الأدب مناداة الرسول من وراء الحجرات وإن كانت غضية غير عالية علي صوته، ولا جاهرة كجهرنا لبعض، فإنما النداء المؤدب هي المواجهة الحضور:

(ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون. ولو انهم صبروا حتى

تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم)(٤).

لقد وفدت العرب من كل مكان إليه 3 عام الفتح الوفود، فكانت جفاة الاعراب ينادونه من وراء الحجرات^١، المطلة علي المسجد النبوي الشريف: يا محمد اخرج لنا، فكان يكره الرسول 3 هذه الجفوة الفجوة المزعجة، فمسح الله تعالي غبار الإنزعاج عن خاطرة الأقدس أن (اكثرهم لا يعقلون) فهم جفاة جاهلون لا يبغون هتكاً لساحتك ولافتكاً لكرامتك، فاغفر لهم هفوتهم منبهاً لهم لكي لا يعودوا فتحبب أعمالهم، كما (والله غفور رحيم): إرحمهم كما

^١ الدر المنثور: أخرج البخاري في الأدب وابن أبي الدنيا والبيهقي عن داود بن قيس قال: رأيت الحجرات من جريد النخل مغشي من خارج بمسوح الشعر وأظن عرض الباب من باب الحجرة الي باب البيت نحواً من ستة أو سبعة أذرع واحزر البيت الداخل عشر: أذرع وأظن سمكه بين الثمان والسبع.

الله، ان تعلّمهم عن جهلهم، واغفر لهم كما الله فانهم لا يعقلون، وان كانت ثمة قلة يعقلون، فينادونك من وراء الحجرات تساهلاً في حرمتك، أو هتكاً لحرمتك كالمنافقين.

فليصبر المؤمن حتي يخرج اليه الرسول³ فإنه لا يصبر في حجراته عن حوائج المرسل اليهم الا لضرورة بيتية عائلية، او استراحة شخصية، هما لزام له، ولكي يخرج الي المؤمنين فارغ البال، غفيراً مضطرب الحال، فـ (كان خيراً لهم) أما هو فلا يألوا جهداً في سبيل الله، وكل عقبة له يجتازها، وكل صعوبه يتحملها، إنها تزداده خيراً، ولكنكم انتم المؤمنين! ليس لكم ان تكونوا له أذياً، فاصبروا له حتي يخرج، وثابروا حتي لا يتخرج (والله غفور رحيم) عما مضي ممن لا يعقلون، وكذلك لمن يعقلون لو كانوا يرجعون عن جفوتهم العامدة.

وهكذا يجب ان تراعي حرمة الرسول الاقدس³ ثم ومن حذي حذوه ونحني نحوه، فاحتذي علي مثاله ومثله، وانتهي قرابته ما انتهى اليه برسالته، كالعلماء المعصومين من عترته، ثم وسائر الربانيين من أمته، كلاً علي حده ومحته والله من وراء القصد.

(يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق نبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا

علي ما فعلتم نادمين)(٥).

ادب جماعي تحمله آية النيا، يقرر للجماعة المؤمنة كيف يتلقون الأنباء، فانهم لا يشاهدون جمعاء حضوره المباشر، اللهم الا قلة قليلة، ومن ثم تبقي الكثرة الكثيرة غائبة عن الادراك المباشر، ومن المستحيلات في الحياة الجماعية الاستقلال بما يشاهده الانسان، دون استغلال لما يشاهده غيره فيشهد به، وهذه الآفة كعديد امثالها، تنهي عن الركون الي أنباء الفاسقين إلا إذا تبين فيها صدق يجعله علماً كسائر العلم، الذي يعتمد عليه المؤمنون العقلاء، والعقلاء

المؤمنون .

إن الأخذ والرفض في الأنبياء ليسا فوضي دون حساب، وانما لكل ميزان عادل، فلا يؤخذ خبر الفاسق إلا أن يتبين صدقه، ولا يرفض خبر العادل إلا أن يتبين خطاه، ثم لنا بين الأخذ والرفض وقفة لو لم يتبين لاصدق ولاكذب، وليس كذب الفاسق هنا إلا لأنه أظهر مظان الكذب، فليشمل الجاهل والناسي والساهي واضرابهم ممن يتطرق الي انبياءهم خلاف الصدق وان كانوا غير عا مدين، أو أن الفاسق يشملهم كلهم لأنه خروج عما يحق من طاعة الله، علماً أو عملاً، نقلاً للأنبياء أو تنقلاً ام ماذا، فمن يجهل صحة النبيا ثم ينقله كذبا صادق، انه فاسق علمياً ولو كان زاهداً، بل وعملياً إذ لايجوز هكذا نقل مغر لمن يتقى الله، وكذلك من ينسى أو يسهوا، أو يتقبل الأنبياء دون تبين، فإنه فاسق في نقله. الا أن يبين حقيقة الحال، فيتبين للمنقول له أنه ينقله مراعيًا شرائط الوثوق بجانب كل جوانبت الفسوق في نقله هذا النبأ، والا فتبينوا بغية حصول العلم الإطمئنان، مخافة: (أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا علي ما فعلتم نادمين)!

وكما يروي عن الامام الصادقX قوله للمنصور: (لا تقبل في أذي رحمك وأهل الرعاية من أهل بيتك قول من حزم الله عليه الجنة وجعل مأواه النار، فإن المنام شاهد الزور وشريك ايليس في الإغواء بين الناس) - ثم أستشهد بالآية .

وتري هل يختص وجوب تبين النبيا: بالخبر العظيم الشأن، الذي جاء به فاسق، اذا كان في اتباعه دون تبين إصابة قوم بجهالة فنندم علي هذه الإصابة؟ كما نلمح من هذه الآية، فلا يجب - إذا - تبين في الأخبار غير العظيمة، أو في العظيمة التي يجيء بها المجهول فسقه

١ . امالى الصدوق باسناده الي الامام الصادقX.

أو عدله، أو التي يجيء بها فاسق وليست فيها إصابة قوم بجهالة أم ماذا!

ففي الحق إن آية الذب لا تنبئ إلا عما انبأت، لكنما الآيات في حرمة اتباع الظن و اقتفاء ما ليس لك به علم تعمم وجوب التبين حتي يحصل العلم الاطمئنان أياً كان الخبر و من أي، إلا إذا كان الإطمئنان - أو النوعي منه - حاصلًا بالإخبار، ووجوب التبين في آيتنا في مورد لا ينفي عدمه في سواه، لنزول الآية في مورد خاص بالغ الأهمية، ثم الآيات الأخرى تعم فلا تناحر في البين.

وخطاب الآية هذه لا يشمل الرسول³ لمكان (الذين آمنوا) المختصة بالمؤمنين بالله والرسول، وأن الإصابة بجهالة والندامة عليها ليست من شيم الرسول³ الذي (ما ينطق عن الهوي. ان هو الا وحى يوحى) فلا تصدق عليه الروايتان في الوليد وعائشة، وقد تصدقنا

^١ . لقد رويت في شأن نزول هذه الآية روايتان، احدهما عن طريق الفريقين في الوليد بن عقبة ان النبي³ بعثه الي الحارث بن ضرار الخزاعي ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فرجع قبيلاً ان يضل اليه فقال: ان الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فبضرب رسول الله البعث الي الحارث فأقبل الحارث بأصحابه حتي اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم: الي من بعثتم؟ قالوا: اليك، قال: ولم؟ قالوا: ان رسول الله³ بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم انك منعتك الزكاة وأردت قتله - قال: لا والذي بعث محمد بالحق ما رأيته وما رأيته - فلما دخل الحارث علي رسول الله³ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته وما رأيته وما اقبلت الا حين احتبس علي رسول الله³ خشيت ان يكون سخطه من الله ورسوله - فنزل (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق...) (الدر المنثور) أخرجه احمد و ابن أبي حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه بسند جيد عن الحارث بن ضرار قال: قدمت علي رسول الله³ فدعاني الي الاسلام فدخلت فيه واقدرت به ودعاني الي الزكاة فأقدرت بها - قلت: يا رسول الله! ارجع الي قومي فأدعهم الي الاسلام والزكاة فمن استجاب لي وترسل الي يا رسول الله إبان كذا وكذا لتأتني ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي اراد رسول الله³ ان يبعث اليه احتبس الرسول فلم يأت فظن الحارث انه قد حدث فيه سخطه

الآية التالية لها، الناكرة لاتباع الرسول
لهكذا امور:

←

من الله ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم: ان رسول الله 3 كان قد وقت لي وقتاً يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله 3 الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا فنأتى رسول الله 3.. ويعث...

أقول: لا يمكن قبول هذا الحديث هكذا - ان يعتمد رسول الله 3 علي قول فاسق فيبعث اليه بعثة تقتاله، اللهم الا ان (فزعم انك منعتة...) تلمح الي عدم ركون الرسول الي قول عقبة - وان البعثة كانت للتيبين - والآية لا تشمل النبي فإنه تبيين هنا - ولأن الذين آمنوا لا تشمل النبي علي أي حال - اضافة الي براءته عن الجهالة فإنه لا صدر إلا عن وحى الله، والثانية ما رواها القمي في تفسيره - ان الآية نزلت في مارية القبطية أم ابراهيم و كان سبب ذلك ان عائشة قالت لرسول الله 3 ان ابراهيم ليس هو منك وانما هو من جريح القبطي فإنه يدخل اليها في كل يوم فغضب رسول الله 3 وقال لأمير المؤمنين X خذ السيف وائتني برأس جريح فأخذ امير المؤمنين X السيف ثم قال: بأبي انت وأمي يا رسول الله 3 انك اذا بعثتني في امرك اكون فيه كالسفود المحمي في الوبير فكيف تأمرني اثبت فيه او امضى علي ذلك؟ فقال له رسول الله 3 بل تثبت - فجاء امير المؤمنين X وقال له: انزل فقال له: يا علي! اتق الله ما ههنا أناس انى محبوب ثم كشف عن عورته فاذا هو محبوب، فأتي به رسول الله 3 فقال له رسول الله 3: ما شأنك يا جريح؟ فقال: يا رسول الله 3! ان القبط يحبون حشهم ومن يدخل الي اهلهم والقبطيون لا يأنسون إلا بالقبطيين، فيبعثني ابوها لأدخل اليها و أجدها وانسها - فأنزل الله عزوجل: يا ايها الذين آمنوا.

أقول: والحديث مضطرب حسب الظاهر - اذ ينسب الي الرسول 3 انه امر بقتل بريء بمجرد شهادة امرأة بظنة وتهمة - الا ان في رواية عبد الله بن موسي عن احمد بن راشد عن مروان بن مسلم عن عبد الله بن بكير قال قلت لأبي عبد الله X جعلت فداك كان رسول الله 3 قد امر بقتل القبطي وقد علم انها كذبت ام لم يعلم؟ وانما دفع الله عن القبطي القتل بثبت علي X؟ فقال: قد كان والله اعلم - ولو كانت عزيمة من رسول الله 3 ما رجع علي حتي يقتله ولكنه انما فعل ذلك رسول الله 3 لترجع من ذنبها فما رجعت وملا اشتد عليها قتل رجل مسلم بكذبها.

أقول: ولكن يبقي هنا ان رجوع امرأه عن ذنبها - و ما رجعت - لا يبرر ارهاب وأهانة رجل مسلم بريء - و ان (الذين آمنوا) ليست لتشمل الرسول 3 كما في قصة عقبة وان الجهالة لا تنسب إلي النبي 3 وهو لا يمضى الا بأمر الله.

(واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الفكر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون).

وى! كأنهم لا يعلمون ان فيهم رسول الله، الصادر عن الله لا عن آرائهم، السائر إلي الله لا إلي اهوائهم، ف (فيكم رسول الله) لا: محمد بن عبدالله، ولا رسول الدهو والهوي، ولا بشر مثلكم في الجهل والخطا، وانما (رسول الله3) لا يصدر الا عن الله، ولا يدعو إلا إلي الله، فمن المحال ان يطيعكم في كثير من الامر، ف (لو يطيعكم في كثير من الأمر) امر الشرع وحكمه (لعنتم) أثمتم وهلكتم فعجزتم انتم عن إمرار الحياة الراحة، واستمرار الحياة السعيدة، واخذتم إي حياة جهنمية فوضي، فتري لو ان الرسول اطاع الوليد بن عقبة في فريته علي الحارث البري، او اطاع زوجته عائشة في جريح القبطي البري، كم كان العنت الحاصل عن طوعهما هويً وجهلاً (ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا علي ما فعلتم نادمين) ولكنه رسول الله لا يطيع في الأمر الا الله، فانما الذصح لكم بلسانه: (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا..). لاله وهو النزيه عن اتباع هواه أو سواها، الا وحياً يوحى، فضلاً عن أهوية سواها ولاسيما الفاسين!.
فلا ترغبوا في اتباعه 3 لكم، ولا ترقبوا أن يتابعكم: (ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن) (٧١:٢٣) (فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم) (١٥:٤٢) اللهم الا في قليل من الامر الذي يوافق الحق، حيث الكثير فقط في العادة هو الخاطيء لانهم يتبعون الظن وما تهوي الانفس: (وان تطع اكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظن وان هم الا يخرصون) (١١٦:٤) ومن ثم القليل هو المصيب: (وقليل من عبادى الشكور).

فاعلموا انه الرسول³، جاء ليزيل عنكم
وصمات العنت، ويدعدكم عن خطوات الغلط،
فكيف يزيدكم عنتماً علي عنت وغلطاً علي غلط؟
: (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما
عنتم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٩: ١٢٨).

وى! كأنهم لم يعلموا ان فيهم رسول الله،
وانما انسان لهم أذن، يسمع ما يقولون
ويطيع ما يهوون، كلا! وانما (اذن خير لكم
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين)! اذن الخير
الايمان الوحي، فليس الا في قليل من الامر.

إن من مقتضيات العلم: أن فينا رسول الله،
أن لا نتقدم بين يديه، ولانرفع اصواتنا فوق
صوته، ولانجهر له بالقول كجهرنا لبعض، ولا
نطمع ان يطيعنا في كثير من الأمر، بل نكون
له طوعاً وسلاماً ولكي نسلم عن النكبات علي
ضوء الاسلام الايمان، كما الله حبه الينا:

(ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في
قلوبكم): حبيب الايمان بالله، فصرتم تحبون الله،
اذاً فاتبعوا رسول الله: (قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) (٣: ٣١)
ف (هل الدين الا الحب)؟! كلا!، انما (الدين
هو الحب والحب هو الدين)!

وتحبيب الايمان الي الانسان كتقدمة
لتزيينه في قلبه، تحبيب (الي) وتزيين (في)
فالدعاة الي الله من جانب، بما يحملون رايات
الدعوة الحنونة الحبيبة، وحب الانسان فطرياً
وعقلياً للايمان - بما فطر الله - من آخر،
يجعلان - متعاملين - ركيزة لحب الايمان في
روح الانسان، عقلاً وصدراً والي قلبه، ومن ثم
يأتي دور تركيزه في ايمان: (والذين اهتدوا

^١ . محاسن البرقي باسناده عن ابي جعفر الباقر X في
حديث له قال يا زياد ويجك وهل الدين الا الحب الا
تري الي قول الله (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم) الا ترون قول الله لمحمد³: (حبيب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) وقال: (يحبون من
هاجر اليهم) وقال X: الدين هو الحب و الحب هو
الدين.

زادهم هدي وآتاهم تقواهم) (١٧:٤٧) (اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) (٢٢:٥٨).

فلا تزيين للايمان في قلب ما لم يدخل فيه، ولا يدخل فيه، إلا من يتحيب له بعد ما حبه الله اليه، وقبل هذا وذاك لا تحبب ولا تزين بالايمان حتي يكره الكفر والفسوق والعصيان فيكرهها وقد فعل:

(وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) فالكفر مقابل الايمان، والفسوق خروج عما يقتضيه الايمان من طاعة الله الي تخلف، فهو اذاً سبب موصل الي العصيان وقد كره الله لنا هذا الثالوث المذحوس مع ما حبب الي لنا الايمان، (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) اذ (لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين) فمن يختار الايمان زاده الله ايماناً علي ايمان، ومن يختار الكفر والفسوق والعصيان ختم الله علي قلبه بطابع الالاي مان، فآية تحديب الايمان لاتجعل كل المخاطبين من المؤمنين غير العاصين، او قد جمعت بينهم كلهم في ذلك ترغيباً وتشويقاً وتوحيداً لصفوف الايمان، لا أنهم كلهم بالغون تلك الدرجة من الايمان، وانما الله ينيبهم بما فعل فناظر ماذا يفعلون، وهم درجات في ايمانهم كما ان سواهم دركات في كفرهم وفسوقهم وعصيانهم، و (اولئك) الأكارم المؤمنون (هم الراشدون) الذين رشدوا في صراط الحق، لاجل وقوة منهم فقط - وانما:

(فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم): عليم بعجزكم، حكيم

في فضله لكم، : (فلو لا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) (٢:٦٢) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلاً) (٤:٨٣) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم احد ابداً) (٢٤:٢١).

هذا طرف من ادب الاصلاح فيما يفسد بينكم من فرية سوء ام ماذا، استصلاحاً لما بينكم، ومن ثم تنتقل المسؤولية الي الاصلاح في

معارك اخري كما بين اخويكم :
 (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى
 فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا
 ان الله يحب المقسطين)(٥).

رغم ان الاخوة الصادقة والصلح البالغ هما
 لزام الايمان كما خوطبوا به، الا ان هناك،
 وبين غير الكاملين في الايمان، او الجاهلين
 والمتجاهلين شرائط الايمان، هنا وهناك
 نزوات ونزعات واندفاعات فخصامات وحميات
 وحماسات فتفككات ومنازعات شاسعة عن ساحة
 الايمان، قد تتخطي التلاسن والتضارب الي
 مقاتلات، رغم ان الايمان قيد الفتك ولكن (وما
 يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) (١٢:١٠٦)
 غير خالصين في الايمان الموحد، ومهما يكن
 من شيء فالمؤمن لا يحارب اخاه الا علي تلك،
 وعل الاقتتال الملمح - اليه، دون التقاتل -
 يعنيه (اقتتلا) الأ (تقاتلا) حيث الاقتتال
 افتعال للقتال متكلف فيه وليس فعلاً مقصوداً
 وبين المؤمنين الاخوة!

وإلا (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً إلا
 خطأ...و(٩٢) ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه
 جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدله
 عذاباً عظيماً). (٤:٩٣) فهل هو بعد مؤمن؟! .
 فلا بد أذاً من صيانة إلهية تصون علي هذه
 الفوارق الدامية، وتعتلج ما تختلج في خلد
 الايمان من فكرة الاقتتال، ومن ثم واقعه اذا
 حصل، ألا وهي استنفار سائر المؤمنين
 لمواجهة المشكلة الداخلية إصلاحاً، مهما كان
 الثمن غالياً ولو كان القتال قضاء علي
 قتال.

وتري من هم المأمورون بالإصلاح، أو القتال
 اذا لزم الأمر؟ فهل إنه أمر فوضي بين دويلات
 صغيرة اسلامية - ان صح التعبير - وبين شعوب
 متشعبة حسب الدويلات، فيزيد ويلات علي ويلات،
 لانهم مختلفون في اجتهادات أو سياسات؟! .

كلا! إنه أمر موجه إلي سائر المؤمنين العائشين تحت قيادة واحدة وإسلامية، دولة إسلامية واحدة بشعبها الموحد، لا تفصل بينهم قوانين أو حدود أم ماذا، فالآية هذه واضحا تلميح أو تصريح بضرورة تأسيس دولة واحدة إسلامية، لادويلات هي ويلات علي المسلمين، وظروف إستعمارات للكافرين.

ثم تري: وإذا لم تكن كما الآن، فهل المؤمنون يعيشون مكتوفي الأيدي عن كل شارد ووارد فتكثر الفوضى، كلا! فإن إزالة الظلم والضميم واجبة علي طول الخط، مهما اختلفت درجاتها، فعلي المؤمنين العائشين في أرض المعركة أن يصلحوا بين أخويهم إن استطاعوا، علي قيادة محلية عادلة، وإلا فليستنصروا من قبلهم حتي تحصل الكفاية، فإنه فرض كفاي وليس عينيياً علي المؤمنين كافة، اللهم إلا إذا لزم استنفار المؤمنين كافة، فإن الإصلاح الداخلي ركن يرتكز إليه المؤمن، علي ضوء تقوي الله التي هي ركن الأركان، ومن ثم الإصلاح الخارجي.

وتري أفي اختلاف ضميري: (اقتتلوا وبينهما) تلميح معنوي؟ أم - فقط - سماح أدبي أن يعبر عن التثنية بالجمع كما في نظائرها؟ عله تلميح الي واقع في هكذا اقتتال بطبيعة الحال، ان الأثنينية هي البداية في القتال، ثم تدمو و تز هو من طائفتين إلي طوائف، بتحزبات جزئية داخل كل منهما، ثم يرجع المقتتلون في محاولة الإصلاح كما كانوا طائفتين، حيث المصلحون لا يستطيعون إصلاحاً إلا بتضييق دائرة الخلاف إرجاعاً إلي الأثنينية البادئة ثم الواحدة المرادة - : فهم بداية ونهاية اثنتان (طائفتان... بينهما... احداهما) بينهما جمع (اقتتلوا) فهم في دور الإصلاح اثنتان - بغياً: (فان بغت إحداهما علي الأخرى) وفيئاً إلي أمر الله: (حتي تفيء إلي أمر الله).

وهذا الوجه المعنوي يوافق الأدب اللفظي

أيضاً، فإن أقل الجمع إثنان، فلا تفتن هنا في التحول من جمع الاثنين إلي أكثر، إلا تلميحاً إلي معني كهذا و إضرابه. ثم الطائفتان المتقاتلتان لهما حالات من حيث البغى المقصود وسواه:

١ - أنهما باغيان من كل جهة مقصودة (فأصلحوا بينهما) إزالة للبغى بينهما (فإن بغت احدهما علي الأخرى) إن استمرت في البغى، او تحولت إلي بغى آخر او بغى الأخرى (فقاتلوا التي تبغى حتي تفيء إلي أمر الله).

٢ - أو انهما باغيان جهلاً وسوء تفاهم دون تقصُّد؟ فكذلك الأمر، كما وإذا استمرا في بغى مقصود وسواه (فقاتلوها حتي يفيئا إلي أمر الله) قتال هو نضال للإصلاح وإن شملهما إذا بغتا.

٣ - أو ان إحداهما باغية قصداً أو سواه، ثم عند الإصلاح استمرت أو غيرت بغيتها إلي وجه آخر، أو تابت، ولكن الأخرى بغت (فقاتلوا التي تبغى) سواء أكانت البادئة هي المستمرة، أو الأخرى هي البادئة بعد الأولي، فلا يكون القتال للإصلاح إلا مع التي تبغى بعد محاولة الإصلاح.

فالمصلحون يبتدئون بالإصلاح الموعظة والإيضاح (فأصلحوا بينهما) بأية وسيلة ممكنة عظة وبرهاناً، فمن يتجاهل هذه اللغة الواعظة، فلغة القتال (فقاتلوا التي تبغى) ولكن إلي حدٍّ وليس فوضى انتقام: (حتي تفيء إلي أمر الله) الذي تحققونه في الإصلاح، والذي أمر من تحقيق الأخوة الايمانية (فإن فاءت) الباغية: كرهاً هنا (فأصلحوا بينهما) حيث الفياء إلي أمر الله طوعاً هناك هو الصلح بعينه فلا حاجة في الإصلاح، ولكنما الفياء كرهاً هنا بحاجة إلي إصلاح بعده، يحدده عند حده لكي لا يتكرر، وذلك بتحكيم بنود الإتفاق، ولكنه (بالعدل) دون أن تتحكم فيه روح الانتقام (واقسطوا) هنا وهناك (ان الله يحب المقسطين). فهنا إصلاح اول طوعاً، وإصلاح ثان كرهاً،

وقتال قبل الثاني إذا لزم الأمر، وليكن هذا المثلث المصلح عدلاً وقسطاً، وهكذا ينتهي دور الإصلاح بين المؤمنين إلي حفاوة وحنان وعدل وإحسان بفضل الملك المنان والله هو المستعان. هكذا تؤمر الجماعة المؤمنة أن تتوسط مصلحة عادلة مقسطة بين المؤمنين، فضلاً عما بينهم وبين الكافرين، فليكونوا مع هؤلاء ضد أولاء عدلاً وإيماناً، فماذا تري في دويلة تدعى الايمان النضال، تم تدخل معركة الاقتتال بين مسلمين ومسيحيين صهاينة، ثم لا تحارب إلا المسلمين لصالح الصليبيين الإسرائييليين، وتسمى هذه الوحشية العارمة إصلاحاً؟ أنا لا أدري، اللهم ارجعنا إلي الإسلام واجمع شمل المسلمين، واجعلنا كما أمرتنا أخوة مؤمنين:

(إنما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)(٦)

انه ليس الايمان - فقط - علاقة شخصية بين المؤمن وربّه، بل و علاقة أخوية جماعية أيضاً بينه وبين سائر المؤمنين، بل وليست بينهم أية علاقة ورباط إلا أخوة ايمانية، كل ذلك بدافع الايمان و سناده، يدمج له الحصر: (انما) التي تحصر كافة المناسبات بين المؤمنين بالأخوة (إنما المؤمنون أخوة) لا بين سائر الناس ليست بالتي تحصر مناسباتهم بالأخوة الألفة الخلّة، بل وتتبدل - و علي أقصى الحدود بعد الموت - بالعداوة (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) (٤٣:٦٧) وإذا كانت هذه حالة الخلّة غير الايمانية، فما هي حالة سائر الأخوات التي لا تستلزم الخلّة؟

إن أخوة الايمان تشريعية، وواقعية بدافع الايمان، يؤمر المؤمن أن يؤصلها في حياته الجماعية لحد لا تبقي بين المؤمنين إلا الأخوة، وليست هي الأخوة الخلقية كما بين الناس أجمعين، ولا أخوة القرابة الشرعية التي تحرم فقط الذكاح، ولا الإقليمية او

العنصرية او الحزبية ام ماذا من اخوات غير ايمانية، فانها ليست لزاماً بين هكذا إخوة من حيث الالفه والمحبة، ولا ان مناسباتهم محصورة في الاخوة، اللهم الا اخوة الايمان فـ : (المؤمن اخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في ساير جسده، وارواحهما من روح واحدة وان روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها)^١ فـ (هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه)^٢ فـ (ان المؤمن ينظر بنور الله ان الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته واخذ ميثاقهم بالولاية علي معرفته يوم عرفهم نفسه، فالمؤمن اخ لابيه وامه، ابوه النور وامه الرحمة، وانما ينظر بذلك النور)^٣.

هكذا أخوة تقتضي بينهم عموم التآزر في عامة الحياة، دون اي تنافر وتناحر، ومن ثم اذا شدت طائفتان منهم فاقتتلوا، فآخوة الياقين معهم تقتضي محاولة الإصلاح الصارم اياً كان الثمن ولو بالقتال مع الباغية حتي تفيء الي امر الله، دون اغتنام فرصة لأخذ الغنيمة، ولا أن يجهز علي جريح منهم او يقتل اسير، او يتعقب مدبر ترك المعركة، حيث الهدف من قتالهم اصلاحهم، وانما تدور المعركة بين سائر المؤمنين وبين المقتتلين حول فلك الإصلاح الاخوي بدافع الايمان دون المعارك الأخرى كما بينهم وبين الكفار، فان لهما شروطها واحكامها الاخرى.

(واتقوا الله لعلكم ترحمون) فتقوي الله زاد المؤمنين الإخوة في إخوتهم، وزادهم في

^١ . اصول الكافي باسناده الي ابي بصير قال سمعت ابا عبدالله جعفر بن محمد X يقول... .

المصدر باسناده الي الحارث بن المغيرة عنه X:...

. بصائر الدرجات باسناده عن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله X جعلت فداك هذا الحديث الذي سمعته منك ما تفسيره؟ قال X: وما هو؟ قال: ان المؤمن ينظر بنور الله، فقال يا معاوية؟ ان الله... .

اصلاحهم بين أخويهم، فهي زادهم في مبدءهم وفي معادهم، يعيشونها علي طول الخط. فكل مفاصلة بين المؤمنين هي خلاف لإيمان، وخلاف علي كتلة الإيمان، كمن يهرفون بما لا يعرفون ان جماعة الشيعة الامامية مشركون، ام تاركون الكتاب ام ماذا؟ من افتراءات اختلفها الاستعمار الكافر، واستغل في ذلك بها جماعة بعيدين عن سائر إخوانهم المؤمنين، ثم أخذ ينفج وينفخ في ابواق الخلافات حتي جعل من فريقى المسلمين مسلمين وغير مسلمين، يرمى كل أخاه بالخروج عن الدين، فلتقطع ألسنه حداً توسّع هذه الخلافات، ولتكسر أقلام تزيدهم عداً فعناء، ولتوحد كلمة المسلمين علي دعائم الاسلام، دون ان يحملهم مختلف الاجتهادات علي مباحثات، فللمخطيء اجر واحد وللمصيب اجران، ثم للمفرق اوزار تحمله الي النار، وكما هو يشعل النار بين المؤمنين الإخوة، فإذ نؤمر ان ندعوا اهل الكتاب الي كلمة سواء: (يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون) (٣: ٦٤) فأحري بنا ونحن مسلمون أن يدعوا بعضنا بعضاً الي هذه السواء علي سواء، وان نصلح بين اخوينا ونتقى الله لعله يرحمنا.^١

^١ . فقولة من تسمى شيعياً لأخيه المتسمى سنياً: أنت من اهل النار اذ لست من اهل الولاية قولة فارغة هراء، كما ان قولة الآخرين للاولين: انتم مشركون تعبثون الأوثان هراء فارغة، فلماذا هم مشركون؟ انهم يقبلون ضريح الرسول حياً له؟ فهلا تقبلون انتم اولادكم وأحباءكم حياً لهم - ثم وليس التقبيل عبادة مهما كان - وحتى اذا قبل رجل أحد من الأولياء احتراماً له فانه محرم وليس شركاً، فمن قال لكم ان الشيعة الامامية يقبلون ضريح النبي عبودية له، اللهم الا الاستعمار الذي هو من النفاثات في العقد، وهل يقبل عاقل ان جماعة من المؤمنين جاءوا من آلاف الكيلومترات لعبادة الحديد؟ ان هذا إلا افك مفترى!

ثم وإن الأصلاح بين المؤمنين لا يخص حالة التقاتل الحرب، وإنما التخالف - أي تخالف - من شأنه اختلاق الانقسامات والتفرقات، التي تنفصم بها عري الوحدة، فتنقسم بها الكتلة الواحدة المؤمنة، فتنحسم هيبتهم من قلوب الكُتَل الكافرة، وخلاف ما يقول الله: (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (٨:٤٠).

ان الاصلاح هنا - أي اصلاح - يقوم علي دعائم العدل و القسط والايمان والتقوي، علي



ثم نقول للاولين لماذا تجانبون اخوتكم في الايمان فتجنّبون عن الصلوات معهم أو مصافحتهم أو تحادثهم، فقد يقولون ان جهالاً منهم يمسون من كرامتنا لماذا نقنت في صلاتنا، ولماذا لا نتكثف ام ماذا؟ فنقول للاخرين: هذه عقيدة المذهب هم تابعوها، كما ان لكم غيرها وانتم متبعوها، فليس لمقلد في مذهب ان يعترض علي مقلد في مذهب آخر لماذا لست علي مذهبي، وانما للمجتهدين ان يجادلوا مع بعض وبالتالي هي احسن.

ومن طريف المناظرة ان شراطياً قبض علي شيعي في الحرم المكي الميبارك وأخذه الي مركز الشرطة وهو كان يقرأ القرآن، قائلأ له: لماذا تقرأ هذا الكتاب؟ قال: انه القرآن وهل ان قراءته محظورة في المسجد الحرام؟ قال: لا - ولكن قرآنكم يختلف عن قرآننا! قال: كلا! فخذ هذا القرآن المطبوع في ايران وقسه علي سائر القرآن فلا تجد نقطة اختلاف! قال: ليست لي هذه الفرصة ولكن قل لي لماذا انت شيعي ولست مسلماً؟ قال: اني شيعي لانني مسلم! قال: كيف يا غبي! قال: يا اخي لأن سيئة رسول الله تأمرنا ان نشايع باب مدينة العلم علياً! فسكت ومن معه ثم قالوا: هؤلاء لهم قوة الجدل وانما دينهم التقية). فانظر الي هذه المهازل التي اختلقها الاستعمار فأصبح من جراه بيت الله الامن وبلده الامين محجوراً للمعاركات والمضاربات والإفترارات والله تعالى يقول (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً).

فلنفرض ان الشيعة الامامية - ولا سمح الله - مشركون! فلماذا يسمح لهم دخول الحرمين الشريفين والله تعالى يقول: (انما المشركون نجس فلا يقربقوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...)). ولو انهم مسلمون منحرفون، فلتقم جماعة علماء عارفون بدعوتهم الي الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالهتك والفتك والضرب والاهانة، فإن ذلك لايزداد إلا بعداً ولايخلف إلا مرضاة المستعمرين، الذين جعلوا مركز الوحدة الاسلامية ميدان المعركة الضارية، والله المستعان وعليه التكلان.

(الفرقان - م ١٦)

غرار ما يقرره كتاب الله، دون الأهواء والمصالحات السياسية المجازبة لشريعة الله، ودون الاستبدادات في اية اجتهادات، وانما (امرهم شورى بينهم).

وانه اصلاح ما فسد بين المؤمنين، من عقائدى واقتصادى وسياسى، ومن فردى وجماعى ام ماذا، فليعيش المؤمنون حياة الصلح مع بعض، وليكونوا (يداً واحدة علي من سواهم تسعي بذمتهم اوتاهم).

فعلينا ان نذرف دمعة الدماء، مما نرى بيننا من عدااء، تنفث في توسيعها الاعدااء، فالله اذاً منا - كما منهم - براء، الا ان نهتدى بهدي الله، ونعتصم بحبل الله.

محرمات خلقية و عملية

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحِبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم (١٤) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (١٥) قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم (١٦) يمتنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين (١٧) إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (١٨:٤٩)).

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن..).

.. هتاف حديب للمؤمنين، باستجاشة روح الايمان، يستيقظ فيهم نباهة الحنان أن يكونوا - مع بعض - عقلاء حلماء أذكيا أذكيا، فلا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء، ولماذا يسخرون، ومم يستهزون، لأنهم خير منهم في ميزان الحق فبه يفتخرون فيسخرون ممن هو أدنى منهم؟ وهذا من شيم الجاهلين، فلا يستهزء المؤمن العارف ولو بخير المؤمنين الذين هو خير منهم بقين، فكيف بمن (عسى أن يكونوا خيراً منهم) فلماذا

يهرفون - إذاً - بما لا يعرفون؟. إن السخرية من أى إنسان والبهزء به جهل عارم: (قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)(٢:٦٧) فإذا هى تجهل موسى الرسول عليه السلام، لو هزء وإن كانت من الإسرائيليين العارمين، فما هى إذا ممن (عسى أن يكونوا خيراً منهم) أو هم خير علي يقين؟. إن السخرية من أى إنسان، محذور فى هذا المثلث بكل زواياه ورزاياه ولأن الزاوية الوسطى هى الأكثر: - أن يزعم الساخر أنه خير من المسخور منه ولذلك يسخر منه ركز النهى فى الآية بها، ثم آية البقرة عممت النهى: إن السخرية جهالة ولو كانت من نبي ولن يكون، فكيف ممن (عسى أن يكونوا خيراً منهم).

إنه ليست السخرية علي أية حال إلا جهالة، فلو أنه أدني منك ولدحد الكفر، فليست للسخرية دور مع الكافر، فإنها تزيد فى نفوره وكفره، إذ قد يحتج علي الساخر أن ليس له برهان، فلذلك يسخر منى، أم إنه رذيل يترذل بمن يراه أدني منه، بدل أن يحاول فى علاجه بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا لك كمؤمن أن تسخر من أحد وإن كان يسخر منك، اللهم إلا جزاء السخر بسخر مثله، عقاباً وفاقاً وعندئذ الإيأس من انتباهه عن غفلته وغفوته، والايقان أنه يعاند مقصراً، فليست السخرية الجزاء - إذاً - جهالة، بل وقد تكون حسناً أو واجباً وكما من نوح: (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإن ناسخركم منا تسخرون)(٤٩:١١) فما لبثوا أن سخرت منهم أمواج الطوفان: (وقيل بعداً للقوم الظالمين).

وكيف ركز النهى هناك علي (قوم من قوم أو نساء من نساء) والسخرية محرمة وإن بين قوم

ونساء؟ لأن هزة الجنس من جسده هو طبيعة الحال، قضية التحاسد التكاثري، وكما تشير بنكاية الهزة الجماهيرى وأنه أتعس من أن يسخر شخص من شخص، فالآية تحمل اندحس صور الهزة: أن يكون ممن عدّه خير من الهازيء، ومن قوم أو نساء، وإن كان سواهما من هزة محرماً دونه، كما تفيدنا آية البقرة واضرابها، فلا يسخر شخص من شخص وأن عسي أن يكون الساخر خيراً.

هذه! ومن ثم استجاشة أخرى هي أشمل وأحرى، إستيحاء من روح الأخوة الايمانية، التي تجعل من المؤمنين نفساً واحدة - : (ولاتلمزوا أنفسكم) فان من يلمز ويعيب أخاه المؤمن، هو لامز نفسه، لأنه منه أو هو هو، لايفصل بينهم إلا فاصل الجسم، والروح واحدة، فكيف يعيب مؤمن نفسه، إلا أن تحاول علاج أخيك كما تعالج نفسك، بكل حنان وأمان، ودون إيذاء وتشهير، وإنما كمرأة تريك مساويك دون أن تجاهر بها لسواك فإن (المؤمن مرآة المؤمن).

هذه - وكما توحى (أنفسكم) بأن لمز البعض لمرئٍ للكل، فإنه مسٌ من كرامة الايمان، فهل من عاقل بعدد يلمز أخاه بعد انه نفسه حيث الوحدة الايمانية كائنة، فلذلك تتركز الاستجاشة هنا وهناك بروح الايمان (يا أيها الذين آمنوا..). وشعور الاندماج فى نفس واحدة

١. الدر المنثور: اخرج ابن ابي حاتم عن مقاتل فى آية السحر قال: نزلت فى قوم من بنى تميم استهزءوا من بلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن فهره وسالم مولى ابي حذيفة.
 . فى تفسير على بن ابراهيم القمى انها نزلت فى صيغة بنت حى بن اخطب وكانت زوجة رسول الله 3 وذلك ان عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها وتشتمانها وتقولان لها: يا بين اليهودية، فشكت ذلك الي رسول الله 3 فقال لها: ألا تجيبهما؟ فقالت: بماذا يا رسول الله 3؟ قالك قولى ان أبى هارون نبي الله وعمى موسى كليم الله، وزوجى محمد رسول الله 3 فما تنكران مذى؟ فقالت لهما، فقالتا: هكذا علمك رسول الله 3 فأنزل الله فى ذلك (يا أيها الذين آمنوا لايسخر..).

(ولا تلمزوا أنفسكم) لحد:
(ولاتنابزوا بالألقاب) فالنَّبِزُ هِيَ اللقب بعينه، فالتنابز هِيَ التلقاب، أن يسمي بعضنا بعضاً بما يدل علي ذم بسوء^١، وإنما الألقاب الطيبة الحنونة هِيَ التي تليق بالتبادل بين المؤمنين، مهما كان هناك سيئات، فالمؤمن يستر القبيح ويظهر الجميل، كما الله، تخلقاً بأخلاق الله، ولقد غير رسول الله³ ألقاباً مزرية تبقّت من الجاهلية للبعض ممن آمن، بأسماء أو ألقاب طيبة، ذوداً عن كرامة المؤمنين ما يزرهم، قليلتزم المؤمن اسم الايمان لنفسه وأنفسي المؤمنين، فإنه أنفَس من أي نفيس، فضلا عن أن يتنابز بالألقاب السوء، فـ:
(بئس الاسم الفسوق بعد الايمان): ان تنبِز أخاك بلقب يجانب الايمان، اسم هووصم الفسوق اللأ إيمان، ومن ثم تتسمي أنت المنابز أيضاً باسم الفسوق بعد الإيمان، لأنك فسقت عن شريطه الايمان، فعليك أنت المنابز، وذلك الساخر أو اللامز، عليكم أن تتوبوا إلي الله.
(ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون): أنفَسهم واخوانهم، حيث انتقصوا سواهم سخراً أو نبزاً ولمزاً، فنقصوا - هم - عن أنفسهم كمال الايمان، فالله هو المستعان.
ثم وليست السخرية والدمز والنبز دائرة مدار الواقع المعلوم - فقط - فإن كثيراً من الظن السوء حرام لأن بعض الظن إثم:
(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً...)(١٢).

^١ . عيون أخبار الرضا X في حديث له لما قيل له في شعر: انشدنيهِ ابوالعتاهية لنفسه قال: هات اسمه ودع هذا - أن الله سبحانه يقول: ولا تنابزوا بالألقاب. وفي الدر المنثور - اخرج جماعة من الجامعين عن ابي جبيرة بن الضحاك قال: فينا نزلت في بني سلمة (ولا تنابزوا بالألقاب) قدم رسول الله³ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا احدهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله! انه يكره هذا الاسم فأنزل الله: (ولا تنابزوا بالألقاب).

إن الظن السوء بين المؤمنين مع بعض بجانب روح الأخوة الإيمانية، ما يترتب عليه الآثار السوء، دون واقع الإدراك النفساني المجرد المفاجيء للانسان دون اختيار، اللهم إلا إذا استطاع ترويض نفسه علي ترك هكذا إدراك سوء أيضاً، أن يعيش الظن الخير، إذا غلب الخير علي المؤمنين، أو الّا ظن لاخيراً ولاشراً إذا غلب الفساد، كل ذلك توقياً عما يتوقع من الوقوع في الإثم، ضابطة وقائية لكرامة المؤمنين مع بعض: ترك الظن السوء قدر الامكان، اللهم إلا قليلاً يملك فيه دليلاً قاطعاً، لكنه لا يملك التجسس عنه بغية التأكد منه، أو إذا تأكد أن يفشيئه: (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً...) فالتجسس التتبع عن مساوي المؤمنين محرم، والتجسس التتبع عن محاسنهم هو قضية الايمان.

فذلك سياق آخر فوق المسبقة، حول حرّمات المؤمنين، يتخطى الواقع الخارجي من المعاملة السوء، الي المشاعر والظنون تنظيماً لها وتنزيهاً عن أن يظن بالمؤمنين سوء، وما أروح الحياة في مجتمع برئ من الظنون، طمأنينة لاتعكر بقلق، فلا يؤخذ - إذاً - مؤمن بظنة، ولا يحاكم بريبة.

تلك الروح النظيفة العالية هي نبراسة الحياة الإيمانية، وهي متراصة النكبات اللاً ايمانية، وعلي حد المروي عن إمام المتقين عليX: (ضع أمر أخيك علي أحسنه حتي يأتيك ما يقلبك منه ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وانت تجد لها في الخير محملاً)^١ وذلك (إذا استولي الصلاح علي الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم يظهر منه حوبة فقد ظلم، وإذا استولي الفساد علي الزمان وأهله

^١ . اصول الكافي باسناده عن الحسين بن مختار عن ابي عبداللهX قال قال امير المؤمنينX: ..

ثم أحسن رجل الظن برجل فقد غرر^١ بل يترك هنالك الظن سوءاً وحسنناً، دون أن تنقسم ضابطة الآية (اجتنبوا كثيراً من الظن) غلب الصلاح أم غلب الفساد، ولكن عند غلب الصلاح علينا أن نحسن الظن، لا أن لا نسي فقط (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمن والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين) (٢٤: ١٢).

إن واقع السوء، وفي مجتمع يغلب عليه الصلاح، إنه شبهة غير محصورة، فلتترك هذه الشبهة مخافة الوقوع في الاثم: (إن بعض الظن إثم).

وتري إذا كان البعض اثمياً دون الكثير، فلماذا يجتنب الكثير، عده لأن الاثم ما يبطيء عن الثواب الصواب، فيدفع إلي غير الصواب، إما تهمة وإصابة برىء فوا ويلاه، أو فضح مسمى فإشاعة فاحشة، فلأن الكثير من الظن السوء يدفع إلي البعض الاثم، يُمنع هذا الكثير حيلة علي ذلك القليل، فإن عرض المؤمن عظيم كثير.

أو إذا كان الكثير الممنوع من الظن ما يرتب عليه الآثار، فبعضه إثم في ترتب الآثار، لأنه قد يصادف برئياً عن الأزوار، ولكن ما الأول أو لي أو هو الحق، لأن الظن السوء باختيار سوءاً ايأ كان، ولأن بعضه إثم فليترك كله وقاية وحيطة علي حرمان المؤمنين، وإن ما يرتب عليه الآثار كله اثم يبطيء عن الصواب، صاف برئياً أو غير برىء، لأن فضح المسمى حرام: فـ (اجتنبوا كثيراً من الظن) نفسانياً (ان بعض الظن اثم) واقعياً حيث يبطيء عن الصواب والثواب بالنسبة للمؤمنين المظنون بهم، وعجلة الحياة الإيمانية يجب أن تكون دائم الحراك سريعاً في الخير بين المؤمنين، فليجتنب ما يبطلها أو يوقفها من الظن السوء مخافة البوار:

^١ . السيد الشريف الرضى في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي X...

(... وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوروا) (١٢: ٤٨).

وتري ان اجتناب الظن القليل الباقي بعد الكثير ليس واجباً كالكثير؟ كلا لأنه الظن المسنود إلي قاطع البرهان، فمجانبته إذا خلاف البديهة، لاتمكن حتي تجب، وانما الوجوب فيه، الحفاظ علي الأعراض، إعراضاً عن إفشاء ما ثبت من سوء أو التلميح به، اللهم إلا فيما يجب أو يجوز من شهادة أو نصح أم ماذا.

إذا فواجب الاجتناب عن كثير من الظن حمي عن الوقوع في الإثم احياناً، مع ما فيه من تنظيف المشاعر عن الظنون السيئة، ثم للقليل الباقي حكمه، كل حسب المصلحة الجماعية قضية الإيمان.

(... ولاتجسسوا) عن معائب المؤمنين، وانما تحسسوا عن محاسنهم، إظهاراً للجميل وسترأً للقبائح، فالتفتيش عما استتر من أمور الناس أو عيوبهم محظور جماعي عارم، يعكر جو الطمأنينة والراحة، ويبدله إلي الاضطراب والعاهة، سواء أكان التجسس عنه عيباً دون ريب، فكيف إذا كان صواباً يحمل اصلاً في زاوية أو زاوية من الحياة الجماعية الإسلامية، فيتجسس الوسواس الخناس عن صالحات من خبايا الناس، ليطلع عليه الذسناس، فيأخذوا حذرهم واسلحتهم شاهرين علي هؤلاء الناس، فتقع الواقعة الشوكاء الشوهاء، خنقاً علي أية فكرة للإصلاح، في حالة جهنمية يختلقها الذسناس، وليعيش حاكماً مطلق العنان علي الناس دون سماح لحياة آمنة طاهرة.

ان التجسس عن أسرار المؤمنين محظور بأي لون و علي أية حال سواء أكان حركة تالية للظن، أو بدائية لكشف العورات والتطلع إلي السوات، وبأية غاية أو عناية اخري حصل، و علي أي انسان، وإن (أقرب ما يكون العبد إلي الكفر ان يوافي الرجل الرجل علي الدين

فيحصى عليه عثراته وزلالته ليعنفه بها يوماً
 (مَا) وقال رسول الله³ : (لاتطلبوا عثرات
 المؤمنين فإن من تتبع عثرته يفضحه ولو في جوف
 بيته)^٢ هذا! اللهم إلا غير المؤمنين الخطيرين
 علي الحياة الإيمانية، فيجسس عنهم حياداً
 علي المؤمنين وسيجأ عما يمس من كرامتهم،
 أو من يشذ عن سبيل المؤمنين، فيولي ماتولي
 ويصلي جهنم وساءت مصيراً:

من جاسوس لصالح الفجار، أو مضلل
 للمسلمين، أو أي مفسد في الأرض، فيؤخذ علي
 يديه، أو يجسس عنه تأكيداً من نواياه ليوقف
 علي حده، أو يخفف - ولا اقل - عن حدته.
 وان استنطاق الغافلين للكشف عن خباياهم
 تجسس، واستغابتهم ممن يغتابهم تجسس، دون
 تخصص بتسلق البيوت، وانما التكشف عن
 الأسرار، المختفي بها أصحابها - أيّاً كان -
 تجسس محذور^٣، اللهم إلا فيما يحمل هامة
 لصالح المسلمين فرادي أو جماعات، مادياً أو
 معنوياً.

فالكتلة المؤمنة تعيش آمنة امينة علي
 أسرارها وعوارثها وبيوتها و كل خباياها
 وخفاياها إلا من تخلف في سر له عن رتبة
 الإيمان، فخيف منه خطر علي كتلة الإيمان، فلا
 سر له إذا يحترم، إلا ما لا يناحر صالح
 الإيمان!

ثم - وإذا تبين لك عن مؤمن مزرئة، أو ما
 لا يحب إفشائه، فلا لك ان تغتابه:

(ولا يفتب بعضكم بعضاً): انتم المؤمنين،
 مهما اختلفت درجات الإيمان ومذاهبه، ما

^١ . اصول الكافي باسناده الي عبدالله بن بكير عن
 زرارة عن ابي جعفر و ابي عبدالله X.
^٢ . اصول الكافي باسناده الي محمد بن مسلم او
 الحلبي عن ابي عبدالله X قال قال رسول الله³:
^٣ . عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله³ في
 حديث: ومن استمع الي حديث قوم وهم له كارهون يصب
 في اذنيه الأنك (الرصاص) يوم القيامة.

صدقت كلمة الإيمان وان في ادني ادانيها ، فانتم كجسد واحد متبعض: (بعضكم بعضاً) تحكم فيكم روح الإيمان الواحد، فليحضر كلٌ بعض مع الباقين، دون غياب ولا اغتياب، فلا تحكم المباغضة - فقط - بحرمة الاغتياب بل وبوجوب الانتداب أيضاً لبعض في صالحه، ومنه كف الغيبة عن بعض، ولزوم الاكتئاب لبعض إذا اغتیب أو اصاب.

ان الغيبة وهي ذكر العيب بظهر الغيب بكتابة أو إشارة أو لسن أو أيا كان، أو (ذكرك أخاك بما يكرهه) انها اساءة إلي المغتاب إذ تغضبه إذا سمع وتخلق فيه الضغينة والعداء لمن اغتابه، وإساءة إلي المجتمع الإسلامي السامى، إذ تخلق فيه جو اللأ أمن الفوضى كدرأً قذراً، إفشاء للفاحشة في الذين آمنوا فجرأة جماعية علي فعل الفاحشة: (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لاتعلمون) (٢٤:١٩) ففديها تضييع لحق فردى وآخر جماعى، فما افحشها فاحشة وما أنكأها.

تري كيف يغتاب مؤمن أخاه وهو منه وبعضه؟ وكيف يتفكه باغتيابه كما هو شأن كل مغتاب؟ وما مشهد الاغتياب في الرزء والاكتئاب، إلا كأخزي مشهد تتأذي له أكثر النفوس خسة وأقلها حساسية، وهو مشهد الأخ يأكل لحم أخيه ميتاً: (ايحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه)؟ فحب الغيبة تفكهاً يضاهاى حب أكل لحم أخيك الميت، فالذليل من عرضه كأكل لحمه، وهو في غيابه، كاكل لحمه ميتاً^١ أفلا

١ . الدر المنثور: اخرج ابن ابى حاتم عن السدى ان سلمان الفارسي كان مع رجلين في سفر يخدمهما وينال من طعامهما، وان سلمان نام نوماً فطلبه صاحبا فلم يجدها ففرض بالخباء وقال: ما يريد سلمان شيئاً غير هذا ان يجيء الي طعام معدود وخبأ مضرور فلما جاء سلمان ارسله الي رسول الله³ يطلب لهما إداماً فانطلق فأتاه فقال: يا رسول الله³ بعثنى اصحابي لتؤدمهم ان كان عندك، قال: ما يصنع اصحابك بالادم؟ قد

تكرهونه؟ (فكرهتموه): ثالوث الكراهية العريضة في كل أحد وان كان في أدنى درجات الإيمان، فلم يقل (فتكرهونه) كفعل مستقبل، وانما (فكرهتموه)، كماض، ايحاء بنثبات هذه الكراهية: ان يأكل الإنسان لحم أخيه ميتاً، ثباتاً في الفطرة لكل أحد: (فكرهتموه): عافته أنفسكم وان كنتم جائعين غرثي.

وتري هل تحرم غيبة الموافقين لك في المذهب فقط، أم وكل مؤمن من أي مذهب؟ الحق هو الشمول، فإن الأخوة الإيمانية تشمل كافة المؤمنين، دون المنافقين، وإنما المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر أياً كانت مذاهبهم، إذ جمعهم كلمة الإيمان، مهما تفرقهم مذاهب الإيمان، فعليهم جميعاً أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا، والغيبة من أشد أسباب التفرقة!.

ان حرمة الغيبة تحور علي محور الأخوة الإسلامية الثابتة علي غرار الآية: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ...) (٩: ١١) هذا! فضلاً عن يأتي بأكثر من ذلك من شرائط الإيمان، ولا تعني التوبة هنا إلا عن الشرك بالله، ولا إقام الصلاة وإيتاء الزكاة الا الدخول في شريعة الله، ايماناً بالله و برسول الله واليوم الآخر ام ماذا، علي مختلف درجاتها، فإن الايمان درجات كما الكفر درجات، فلا لك كمؤمن ان توجه اخاك في الايمان بلقب الشرك او الكفر، بعد ما حرم الله التنايز بالألقاب، فلا تجوز

←

ايتدموا، فرجع سلمان فخيرهما فانطلقا فأتيا رسول الله³ فقالا: والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاماً منذ نزلنا، قال: انكما قد ائتدتما سلمان بقولكما، فنزلت (أوجب احدم ان يأكل لحم أخيه ميتاً).

وفيه عن أنس ان الرجلين هما ابوبكر وعمر وفيه: بأي شيء ائتدنا؟ قال: بلحكم أخيكما، والذي نفسي بيده إنى لأري لحمه بين ثناياكما، فقالا: استغفر لنا يا رسول الله³؟ قال: مراة فليستغفر لكما.

اغتيبا مسلم غير منافق، موافقاً لك في المذهب ام غير موافق، اللهم الا المتجاهرين بالفسوق، المستهزين في هتك حرمت الله، فليس لهم - اذاً - ستر حتي يهتك بالاغتياب، والا من الاغتياب دواءه لكى يرتدع، ام دواء لداء ع زال بين المجتمع الذى يعيدشه، ام اية مصلحة راحة توجب او تسمح بالاغتياب، مراعيأ هنا وهناك ألا تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا، فان السماح فى اغتياب شخص لمصلحة، ليس لزامه السماح بابطال هوية جماعية اسلامية، اذ يخلف جرأة المتقين ان يشذوا عن شريعة التقوي احياناً، اذ اوجدوا لهم رفاقاً، فالأصل الذى لاينفصم هو الحفاظ علي روح التقوي، والسياح علي من يهوي الطغوي، لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلي.

وتري هل للمغتاب من متاب، فان تاب إلي الله وانا كفاه الله وهداه توبة عليه؟ ام ولا بد من استرضاء صاحب الغيبة، والا فلا توبة؟

ان التقوي بعد الاغتياب تتبع توبة من الله ورحمته، وكما فى ذيل الآية: (واقنوا الله ان الله ثواب رحيم) فما وجدت سبيلاً لإرضاء صاحب الغيبة فاليها أن يغفر لك فيستغفر لك، فلا ينفعك ولا استغفار رسول الله³ ما لك سبيل إلي استغفار صاحبك و كما أمر³ ابابكر وعمر ان يطلبوا من سلمان ان يستغفر الله لهما¹ وإلا فالانابة إلي الله بتوبة نصوح، وان تستغفر الله لأخيك يغفر الله لك: (ان الله لا يغفر ان يشرك به

^١ . كما مضي عن الدر المنثور من حديث سلمان مع ابي بكر وعمر وفيه عن ابن مردويه والبيهقي عن ابي سعيد وجابر قال رسول الله³: الغيبة اشد من الزنا - قالوا: يا رسول الله³، وكيف الغيبة اشد من الزنا؟ قال: ان الرجل يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتي يغفرها له صاحبه. اقول: هذا لو وجد الي ذلك سبيلاً، والا فسبيله الاستغفار لصاحبه، ثم الله يطلب من صاحبه ان يغفرها فيغفر كما رواه في الكافي بأسناده الني السكوني عن ابي عبد الله^X قال: سئل النبي³ ما كفارة الاغتياب؟ قال: تستغفر الله لمن اغتبتك كما ذكرته.

ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (٤: ٤٨) فهو هو الذى يرضى صاحبك برحمته ليرضى عنك، فيتوب الله عليك.

وهذه هى شيمة التقوي: ومن ثم (ان الله تواب رحيم) بعد ما ثبت إليه بشروطه، توبة منك الي الله فتوبة من الله عليك: (فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه) (٥: ٣٩) وكما ان توبتك الي الله بحاجة الي توبة اخري من الله عليك: (ثم تاب عليهم ليتوبوا) (٩: ١١٨) فالتوبة منك اذاً، وفي أى ذنب، هى بين توبتين من الله.

ومن ثم - وبعد هذه التوصيات للمؤمنين بالنسبة لبعض - نتلفت إلي ضابطة عامة فى التفاضل لا فوقها ضابطة إلا حابطة ساقطة: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير).

هتاف عام هام للإنسانية جمعاء، الصادرة من أصل واحد، أخذاً لها إلي اصالة واحدة هو من خلق الله: (الناس) وليحملهم خالقهم - علي هذا الأساس - الي شرعة الناس، علي ضوء شريعة خالق الناس: (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) حيث تتواري كافة النزعات والمنازعات، وتتهاوي كافة القيم التى يتكالب عليها الناس: حيث الميزة الوحيدة فى ميزان الله هى تقوي الله؛ التى لا يتكالب عليها الناس، وانما الناس هم الذين يتشاجرون علي سائر الميزات: الطغوي! فكل ميزة وراء التقوي هى طغوي لا تزداد إلا حياة جهنمية فوضي.

ان لواء التقوي المرفرفة علي الألوية كلها، العالية من علي الأعالي فى ارض الاسلام، إنها لاتسمح للألوية القومية والعنصرية والاقليمية والطائفية ان ترفرف او تبقى لها باقية، اللهم الا باغية

يحاربها الاسلام، ويسميتها رسول الاسلام 3 عصبية جاهلية، دعوها فانها منتنة.^١

تلكم اللواء هي تلوى باعناق المتجبرين المتكاثرين، الذين يحملون رايات العصبية العارمة، من قوميات عربية وسواها وكما خطب الرسول 3 يوم فتح مكة قائلاً: (يا أيها الناس ان الله قد أذهب عنكم بالاسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآباءها، ان العربية ليست بأب والد، وانما هو لسان ناطق، فمن تكلم به فهو عربي، ألا إنكم من آدم وآدم من التراب، وان أكرمكم عند الله اتقاكم)^٢.

وكما في خطبة الوداع: (يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد، ألا ان اباكم واحد، ألا لا فضل لعربي علي عجمي وللعجمي علي عربي، ولا لأسود علي احمر ولا لأحمر علي أسود إلا بالتقوي، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغتم؟ قالوا: بلي يا رسول الله 3 قال: فليبلغ الشاهد الغائب)^٣.

إذاً فلا زاد لمسلم الا تقوي الله: (وتزودوا فان خير الزاد التقوي) (٢: ١٩٧) دون سائر الزاد، اللهم الا ما يسهل ويعبّد سبيل زاد التقوي! وانها نسب الله يرفعها الله، وفي يوم لا انساب بينهم ولا يتساءلون^٤ نسب هو نبراس

^١ . رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله الانصاري عنه 3: ...

^٢ . تفسير علي بن ابراهيم القمي عن رسول الله 3: ...
^٣ . الدر المنثور: اخرج ابن مردويه والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله 3 في وسط ايام التشريق خطبة الوداع فقال: ...
وفي اصول الكافي باسناده عن ابي بكر الحضرمي عن ابي عبد الله X قال: ان رسول الله 3 زوج مقداد بن الاسود ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب، انما زوجه لتصنع المناكح وليتأسوا برسول الله 3 وليعلموا ان اكرمهم عند الله اتقاهم.

^٤ . مجمع البيان: وروي عن النبي 3 انه قال: يقول الله تعالى يوم القيامة: امرتكم فضيعتم ما عهدت اليكم فيه، ورفعتم انسابكم فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم، اين المتقون؟ ان اكرمكم عند الله اتقاكم.
وفي اصول الكافي باسناده عن حنان بن بشير الاسدي قال: قلت لابي جعفر الباقر X انما عقبه بن بشير

الحياة، ومتراس علي الشيطنات، يضل في ضلاله الناس بعيدين عن وسواس الخناس النسناس: ثم وفي هذا الهنأف انعطاف الي انحصار الأصل في: (ذكر وأنثي) اذاًً فالناس كلهم مخلوقون من اثنين: آدم وحواء، فلو كان هناك بعدهما جنية أو حورية كما قد يروي، لكان اصل المجموع ذكراً وأنثي، مهما كان الأصل للنسل الأول ذكراً وأنثي، كما ان ذلك الذكر اصل الأنثي: (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء...) (٤:١) فمن نفس واحدة (آدم) زوجها (حواء) ومنهما الناس اجمعون رجالاً كثيراً ونساء. وتري هل ان (ذكر وانثي) هنا تعني - فقط - اثنيذية الأصل الأول، أو مطلقاً، ام والفرع ايضاً، ام الفرع فقط؟ ان تكون (من) بيانية تبين نوعية الناسك أنهم ذكر وانثي، دون المخلوق منه، فـ (ذكر وانثي) عبارة اخري عن (كم) ولكنه توضيح للواضح، ثم ولا صلة له

←

الاسدي، وانا في الحسب الضخم من قومي؟ قال فقال X: ما تمن علينا بحسبك، ان الله رفع بالايمان من كان الناس يسمونه وضيعاً اذا كان مؤمناً، ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً اذا كان كافراً فليس لأحد فضل علي أحد إلا بالتقوي. وفي روضة الكافي باسناده عن حنان قال: سمعت ابي يروي ابي جعفر X قال: كان سلمان جالساً مع نفي من قريش في المسجد، فأقبلوا ينتسبون ويرفعون حتي بلغوا سلمان، فقال له عمر بن الخطاب: اخبرني من أنت ومن ابوك وما اصلك؟ فقال سلمان: أنا سلمان بن عبدالله، كنت ضالاً فهذاني الله عزوجل بمحمد3 كنت عائلاً فأغواني الله بمحمد3 وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد3 هذا نسبي وهذا حسبي، قال: فخرج النبي3 وسلمان يكلمهم، فقال له سلمان: يا رسول الله3! ما لقيت من هؤلاء؟ حدثت معهم فاخذوا ينتسبون ويرفعون في انسابهم حتي بلغوا إلي فقال عمر بن الخطاب: من أنت وما حسبك... فقال3: فما قلت له يا سلمان؟ قال: قلت... فقال رسول الله3: يا معشر قريش ان حسب الرجل دينه، ومروته خلقه واصله عقله، قال الله عزوجل: (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ثم قال النبي3 لسلمان: ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوي الله عزوجل، وان كان التقوي لك عليهم فانت أفضل.

بأثنيات وحدة الاصل، المتفرع عليها توحيد
 الميزة التقوي، اللهم الا ان يعني الأمران،
 فـ (من) بيانية من جهة ونشوية من اخري هي
 الأخرى، ولا سيما من الأصل الأول، فان الأصول
 الأخرى: أن كل انسان مولود من ابوين، يماثل
 الاحتمال الآخر انه توضيح للواضح، وانه
 لايتبني ازالة الفوارق، وأما أن الإنسانية
 جمعاء تنتهي إلي أصل اول: ذكر وانثى، فانه
 يحمل بيان مجهول، ومن ثم فتفرع الوحدة غير
 المتفارقة عليه معلوم، والآية تتبني الغاء
 التفاضل الطبقي، فلا تناسب الا ارجاع الكل
 الي الاصل الأول (آدم وحواء) ليس إلا!

وكما الأصل واحد بما خلق الله (انا خلقناكم)
 كذلك الفرع المتشعب القبلي بما جعل الله
 (وجعلناكم شعوباً وقبائل) وتري لماذا الكثرة
 الميزة بعد الوحدة لا الكثرة المتماثلة،
 ألتكاثر والاختلاف وهما نقمة والوحدة نعمة
 : (ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك
 خلقهم) اللهم لا! ام للتآزر والائتلاف؟ اللهم
 نعم: (لتعارفوا) حيث المماثلة في الألوان
 والاشكال واللغات تهدم اساس التعارف
 فالائتلاف، فلا يجوز ان يجعل هكذا اختلاف بما
 جعله الله وسيلة التعارف والائتلاف، يُجعل مسكة
 وذريعة للاختلاف، من لون أو لغة أم ماذا،
 وإنما الميزة الوحيدة الكريمة، التي تؤلف
 شرعياً بعد التآلف الخلقى، إنما هي التقوي:
 (إن أكرمكم عند الله أتقاكم): لوحة كريمة
 وحيدة في ميزان الله، لائحة لمن اتقى الله،
 والتخلق باخلاق الله لزامه أن نكرم من أكرمه
 الله.

وما هو الفرق بين الشعوب والقبائل؟ ولم
 يذكر في القرآن إلا هنا، عل الشعوب - جمع
 شعب لا الشعب - تعني المجتمعات المتشعبة:
 تجمع من جهة وتُشعب من اخري، كما الشعب من
 الوادي ما اجتمع منه طرف وتفرق آخر، فإذا
 نظرت من الجانب الذي تفرق أخذت في وهمك
 واحداً يتفرق، وإا نظرت من جانب الاجتماع

أخذت في وهمك انثين اجتماعاً، فلذلك قيل: شعبت إذا جمعت، إذا تفرقت. إذاً فالشعوب هي المجتمعات المتفرقة، تفرق الولادة القربية، وتجمع الأصل البعيد، ومن ثم القبائل تجمع الشعوب، فكل قبيلة تجمع شعوباً عدة متناسبة ومتقاربة أكثر من سواها، فالكيان الأول للناس هو الطبقة الأولى من القرابات الشاملة لسائر طبقات الإرث، ثم الثاني الأقارب الأخرى، الجامعة بين طبقات وطبقات بصلات الأنساب والقرابات والأسباب، وهي الشعوب، ثم الثالث مجموعات من الشعوب تجمعهم أنساب وأسباب بعيدة، وهي القبائل.

فالقبائل هي مجامع الشعوب، كما البشرية جمعاء مجموعة القبائل، فهي إذاً عائلة واحدة بشعوب وقبائل بغيرية التعارف، ثم أكرمهم عند الله أتقاهم: وأخيراً ترى أن هه التقوي هي - فقط - الصلة والعلاقة الشخصية بين العبد والمعبود، أم أنها - وفي نطاق واسع - هي الإتيان عما لا يرضاه الله في كافة الميادين الحيوية، من عقائدية وثقافية، إقتصادية وسياسية، ومن حربية وقضائية وجزائية أم ماذا، فليس الإيمان محصوراً في حصار العلاقة الشخصية وكما يريد الإستعمار الكافر، حتى يجعل من المؤمنين زهاداً يزهدون عن كل تدخل حيوي في شئون المسلمين، بل هو صيغة شاملة كاملة تجعل من المؤمنين بنياناً مرضوماً رصيناً ورزيناً في كافة الميادين، فقد يكون المؤمن أتقى فأكرم في بعض الميادين ولا يكون في بعض، كما هو الحال في الأكثرية الساحقة بين المتقين، وأما أن يكون أتقى فيها كلها، فقد لا يكون إلا الرسول المصطفى³ ومن يحذوا محذاه من أئمة الهدى^X فهم أكرم الناس وأتقى: تقوي علمية معرفية وعبودية وسياسية واقتصادية، يروضون أنفسهم بتقوي الله في كل زواياها وجالاتها، اللهم أحينا

محياتهم وأمتنا ميامتهم آمين.
(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئاً إن الله غفور رحيم).

تري من هم الأعراب هنا، أهم قوم العرب؟ و منهم مؤمنون، و من هم المنطق الأول للدعوة الإسلامية، بالغين ذروة الإيمان، كالمسابقين المتسابقين لإجابة الدعوة في طريق شائك بالوان البلاء، ملئ بالأشياء وسيول الدماء! أم هم كل متكلم بالدغة العربية؟ فكذلك الأمر وأحري، كما التاريخ يشهد بسباق جماعة من العجم في الإيمان، لاحقين أم سابقين! أو هم جماعة من أولاء أو هؤلاء؟ ولام الإستغراق تنفيذه، وأدب التعبير القرآنى ينافيه! إذا فهم جماعة طبعهم اللأ إيمان و إن آمن بعض منهم بعد طول مدة الدعوة، وهو الصحيح لغوياً وقرانياً: إنهم أهل البوادي، البعدين عن الثقافات، القريبين إلى الشقاوات والقساوات: (الأعراب أشد كفرةً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله علي رسوله والله عليم حكيم) (٩٧:٩)

فالأعراب جمع العرب: الظاهر، الذي يحيي حياة مكشوفة بادية بدائية، تظله السماء وتقله الأرض، فهم - إذاً - الظاهرون من الناس، غيراً لمدنيين، عرباً أو عجماء، كما الإعراب إظهار موقف الكلمة من حركات تدل علي موقعها النحوي، و كما القرآن حكم عربي: ظاهر لمن استظهر، لا تعقيد فيه لا تفهماً ولا تطبيقاً: (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) (٣٧:١٣) لا أنه خاص بالعرب القومي، أو من يتكلم بالعربية، فإن رسالة القرآن عامة عالمية! : (قرآناً عربياً غير ذي عوج... (٢٨:٣٩) لا عوج في عربيته: وضوحه في كافة المجالات، وسهولته في مختلف المتطلبات، دون تشديد ولا تعقيد!

هؤلاء الاعراب (قالت.. آمنا): مدللين كأنهم

آمنوا (ولمّا).. فهم فى البداية أسلموا وقلوبهم فارغة عن الإيمان، و منهم الذين آمنوا بعد كما توحىه (لما) الدالة على انتظار مدخولها، وقد آمن من آمن، وإن كانوا قلة، وكفر من كفر أو نافق وهم الكثرة - ف: (الأعراب أشد كفرةً ونفاقاً).. (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم).

ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول إلا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم...

وممن حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق.. (٩ : ٩٧ - ١٠١).

ففى الآية سلب لما يدعى: (قل لم تؤمنوا) وإثبات لإسلام هو قبل الإيمان: (ولكن قولوا أسلمنا) و رجاء الإيمان بعد الإسلام للذين لم ينافقوا باسلامهم: (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) ورحمة ثانياً لم سلك سبيل الايمان، أن يؤتى - بأعماله قبل الايمان - ثواب الأعمال بعد الايمان: (وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم)! لفتة حبيبة لمن أسلموا من الأعراب (ولمّا يؤمنوا) فضلاً عن الذين آمنوا فأحري لهم وأولي!

ثم الإسلام إسلام إيمان، إسلام أول هو قبل الإيمان فهو دونه كما هنا، وإسلام آخر هو مع الإيمان وبعده، كما فى غيرها فهو فوقه، وهو إسلام النبيين وسائر الأصفياء. فالإسلام الأول أعم من الإيمان، حيث الإيمان: (معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل

بالأركان)^١ وهذا الإسلام فارغ عن العقد في القلب (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) كما والاسلام الثانی أخص من الايمان، فمن المؤمنین من لم یسلموا بخالص التوحید لرب العالمین: (وما یؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشرکون)(١٢ : ١٠٦) ومنهم من أسلموا: بعد کامل الإیمان: (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم)(٦ : ١٤) (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن..)(٤ : ١٢٥) (فلما أسلما وتلاه لدجين وناديناه ان يا إبراهيم قد صدقت الرويا إنا كذلك نجزي المحسنين) (٣٧ : ١٠٣).

فالایمان يتبع إسلاماً قبله باللسان، فعملاً بالأركان، ومن ثم معرفة بالقلب: الايمان، ثم قد يتبع إسلاماً بعده هو تسليم القلب لله، فتكميل لإقرار اللسان وعمل الأركان، وإلي أن يصل التسليم إلى القمة، وبعد الايمان القمة.

ثم الذي أسلم إسلامه الأول نظرة الايمان - ولما يدخل الايمان في قلبه - تري أنه يحرم عن ثواب أعمال الايمان في قلبه: (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلبتكم من أعمالكم شيئاً): لا ينقصكم منها، ولأنكم في صراط الايمان! ثم اللهم نعم! لو أنكم توانيتم في أعمالكم، فلا أعمال صالحة حتي تؤجروا بها كما المؤمنون، أم لم تطيعوا الله ورسوله في أعمالكم، فأنها آلة ناقصة: إما في أخلاصها، أم في ظواهرها، فليست هنا وهناك في صراط الايمان حتي تشملكم رحمته تعالي أن تلحقوا بالمؤمنين في ثواب أعمال الايمان: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امريء بما كسب رهين)(٥٢ : ٢١) فانما الإلحاق

^١ الدر المنثور: اخرج ابن ماجة وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن علي بن ابي طالب X قال: قال رسول الله:...

يلحق ذرية الايمان، الذين هم في صراط
الإيمان إن وصلوا، وإن لم يصلوا قاصرين، أو
وصلوا وإن لم يصلوا قاصرين، أو وصلوا ولما
يلحقوا الأصول المؤمنين في درجات الإيمان،
ذلك الفضل من الله أن (لا يلتكم من أعمالكم
شيئاً إن الله غفور رحيم) كما لا يلبت من أعمال
المتبوعين، فلا ألت في حساب الله، وإنما فضل
ورحمة ما كان له مجال.

ثم الايمان درجات، كما الإسلام أياً كان،
وقبلهما الكفر درجات، فأفضل الإيمان، وكأنه
الايمان لا سواه:

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون).
إيمان بعد إسلام، ثم تركيز للإيمان في
القلب فلا يرتابون، ثم مظهر جاد يدل علي
ركيزة الايمان اللارتياب، فيجاهدون في سبيل
الله بأموالهم وأنفسهم، فأولئك حقاً هم
الصادقون أنهم مؤمنون، ومن دونهم دون
الصادقين حقاً وعملاً، وإن كانوا صادقين قولاً
وقلباً لما دونه من درجات الإيمان، فالإيمان
درجات، كما الإسلام درجات، وما دونهما
درجات!

فمنهم من أسلم ولما يدخل الايمان في
قلبه، ومنهم من آمن ولما يثبت في الايمان
فلم يتبع الإسلام الناتج عن الايمان، ومنهم
من ثبت الايمان في قلبه دون ارتياب ولم يصل
الي قمة الجهاد بالاموال والانفس، ومنهم من
وصل فهو المؤمن حقاً وصدقاً.

وقد توحى (ثم) هنا دون (و) باشتراط التهنأ
والتهنىء للثبات علي شريطة الإيمان الحق،
دون مجرد اللارتياب حيناً ثم الانفلات الي
شيء من الإرتياب.

ف (ثم) تثبت ثبات اللارتياب بعد الإيمان
دوماً، ما كان المؤمن في قيد الحياة ونفيساً
أم ماذا، فانطلاقة الجهاد انطلاقة ذاتية من
قلب المؤمن، تحقق صورة وضيئة في قلبه في

سيرة مرضية بقلبه فى واقع الحياة، فحياته وحيدة مليئة بالإيمان، لا ازدواجية له بين عقيدة الإيمان وعمل الإيمان، بل هى توذيه وتصدمه إذا لا يطيق توحيدها - كذلك - ناشئة من وحدوية الإيمان.

وما أهمها هنا (ثم لم يرتابوا) كما فى (الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)! فالطريق شائك، وصراط الايمان ملىء بالبلاء، مفروش بالدماء والأشلاء، بحوادث وهواجس تُزلزل وتزعزع، فعند الإمتحان يُكرم المرء أو يُهان، وعند تقلب الأحوال يعرف جواهر الرجال.

(قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السماوات وما فى الارض والله بكل شىء عليم).

فلماذا الادعاء (آمنا) وأنت بين كاذب لَمَا يدخل الإيمان فى قلبك، وصادق يعلم الله ما فى قلبك (أتعلمون الله بدينكم)؟ وإذ لا! فلماذا الادعاء؟ (والله بكل شىء عليم).

(يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ اسَلَمُوا قَبْلَ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِإِيمَانٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١٧)

غلطات بعضها فوق بعضها فوق بعض من هؤلاء الأعراب ولمّا يؤمنوا، إذ يمتنون عليك أن أسلموا، وليس لك من الأمر شىء! ولا يجدى إسلامهم نفعا إلا لهم أن يحقن دماءهم ويحفظ أعراضهم وأموالهم، ويشركهم وسائر المؤمنين فيما لهم وعليهم أن هداهم لما يصلحهم، ودعاهم لما يحييهم، فهو عكسوا أمر الأمن، ولا من إلا الله عليهم أن هداهم لما يصلحهم، ودعاهم لما يحييهم، فهم عكسوا أمر لمن، ولا من حتى فى الإيمان، ثم لا عليك وإنما من الله عليهم، ثم الله إنما يمن عليكم ويهديكم بإسلامكم (إن كنتم صادقين) فى إسلامكم، فمن صدق فى إسلامه فهو متنعم من الله بهداه، لا ان يمن على رسول الله أم على الله، و من لم يصدق فلا هدى للإيمان فلا من هنا أو هناك، حيث الإسلام الكاذب نفاق، ويا له من وخزة دنيا وعقبي دون من (من) أو (علي).

إنَّ مَنْ الإِيمَانِ لَمَنْ صَدَقَ هُوَ أَكْبَرُ الْمَنِّ عَلَيِ
الإِطْلَاقِ لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ قِيَمَةَ الْإِيمَانِ وَقِيَمَتِهِ،
نَفْخَةُ عَلَيْنِيَّةٍ تَصِلُ بِهَذِهِ الذَّرَّةَ الطِّينِيَّةِ
الطِّينِيَّةِ الْهَزِيلَةَ الْبَائِسَةَ الَّتِي نَوَّرَ الْعِظْمَةَ
الرِّبَازِيَّةَ، الَّذِي يَشْعُرُهُ بِالْوَضَاءِ هِ الْمُنْطَلِقَةَ
وَالضِّيَاءِ الْمَطْلُوقِ، فَرُوحَهُ فِي السَّمَاءِ وَقَدَمَاهُ
تَدْبَانِ عَلَيِ الْأَرْضِ، وَقَلْبُهُ يَسْتَحِمُّ بِالنُّورِ،
مَتَعَلِّقًا بِمَصْدَرِ النُّورِ، نَوَّرَ عَلَيِ نَوَّرَ يَهْدِي اللَّهُ
لنوره من يشاء.

إِذَا فَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْمَنَّ؟ وَعَلَيِ مَنْ؟ إِنَّمَا الْمَنُّ
مِنَ اللَّهِ، عَلَيِ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ، وَتَأْيِيدًا مِنَ اللَّهِ: (إِنَّكَ
لَاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ الَّتِي
صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ) (٢٨ : ٥٦) وَدَلَالَةً مِنَ رَسُولِ اللَّهِ:
(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مَبِينٍ) (٦٢ : ٢)

(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ)

.. إِذَا فَهُوَ الْعَالَمُ بِغَيْبِ النُّفُوسِ، وَالْبَصِيرُ
بِمُصِيرِ الْأَعْمَالِ وَمُنْطَلِقِهَا، فَلِمَاذَا الْمَنُّ
وَالْإِدْعَاءُ؟

سوء الجهر بالسوء من القول

(لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) (١٣)

(لا يحب) هي في العبارة الربانية عبارة أخرى عن (يبغض) إذ لا يخلوا ربنا بالنسبة لأفعل عباده وتروكهم عن حب أو بغض، لا يعنيان حالة كما في الخلق، وإنما غضب الله عذابه كما أن حبه ثوابه.

و (الجهر بالسوء) تعم الجهر بسوء ما عامله عامله وهو مستور، إغتياباً أم بحضرتة أم جهراً بالقول السوء علي المسمي غير ما فعل، أم علي ما فعل، أم فريضة عليه وبهتاناً.

فالجهر بالسوء من القول علي أية حال مدغوض عند الله مرفوض مهما اختلفت دركاته، فالدعاء والدعاية الجاهرة بالسوء من القول محرمة إغتياباً أو بهتاناً أو إيذاءً، ولا أجمع من (الجهر بالسوء من القول) حيث تشمل كل إساءة قولية جاهرة بحق الآخرين، حيث تؤذيه وتشيع السامعين علي السوء، وعلي الجهر بالسوء، وعلي من أسيء إليه، وهو في جملة جميلة نظيرة لهذه: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم. في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)^١ (٢٤: ١٩)

أجل، ورب كلمة عابرة لا يتحسب قائلها حساباً لما تحتها من خلفيات سوء، أو شائعة عابرة لم يقصد بها إلا فرداً من الناس، وهي كما هي تترك في نفسية المجتمع وفي أخلاقهم وفي إختلاق جو مظلم آثراً مدمرة حيث تتجاوز الأحاد الي المجتمعات.

واللسان الجاهر بالسوء من القول ليس وراءه عقلية إيمانية وتحرج عما يحصد من

^١ . راجع تفسير الآية في الفرقان (١٨ - ١٩: ٧٥) تجد فيه تفصيل القول ما يناسب آيتنا هذه.

سوءٍ، تدميراً للثقافات المتبادلة حيث يخدّل إليهم غلبُ الشر رغيمَ فرديته القليلة، وواويلاه إن كان بهتاناً لأصل له.

فقالة السوء الجاهرة حين تنتشر تصبح كالمنشار، تنشر قدر ما تنشر، فيهون عملية السوء في المجتمع المنشور فيه، ويتعود الألسنة علي الجهر بالسوء، وتشجّع كوامن السوء بإقترابه علي إقترافه، فهنالكَ الطامة الكبرى بخلفية الإنحلال الجماعي والفوضى الخلقية، بما لاكته الألسن الهرجة المرجة دون تحرّج.

فهذه السلبية الباتة هي من الأصول الخلقية العامة الإسلامية غير المستثناة اللهم: (إلا من ظلم) فالمظلوم له جهز بالسوء إنتصاراً علي ظالمه (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل. إنما السبيل علي الذين يظلمون الناس ويدغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) (٤٢ : ٤٢). ذلك، بل هو شيم الإيمان حتي لايشيع الظلم: (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) (٤٢ : ٣٩).

والإنتصار له أبعاد عدة، منها دفع الظلم، ومنها فضح الظالم ليُعرف فيتجنب فيضعف بذلك ساعده ومساعدته، (فلا بأس للمظلوم أن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الإنتصار به في الدين)^١ معارضة للظلم بالظلم دونما إعتداء (فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم).

وليس يختص الظلم بما يقال عليك من سوء فرية أو إغتياباً، بل و (إن جاءك رجل وقال

^١ . مجمع البيان عن أبي جعفر الباقر عليه ما السلام: لا يحب الله الشتم في الإنتصار إلا من ظلم فلا بأس.. وفي تفسير العياشي عن أبي الجارود عن أبي عبد الله X قال: (الجهر بالسوء من القول أن يذكر الرجل بما فيه).

أقول: فهو في المستثنى منه الإغتياب كمصداق من مصاديق الجهر بالسوء، وفي المستثنى نفس الإغتياب دون زيادة علي ما فيه.

فيك ما ليس فيك من الخير والثناء والعمل الصالح فلا تقبله منه وكذبه فقد ظلمك^١. بل و (إنه الضيف ينزل بالرجل فلا يحس ضيافته فلا جناح عليه في أن يذكره بسوء ما فعله)^٢ وليس السماح هنا إلا في الضيافة المقصورة المهينة دون القاصرة، فحين تكون الضيافة ظلماً وإعتداءً بالضيف عن تقصّد، فقد يجوز فيه الجهر بالسوء من القول أنه لم يحسن ضيافتي، أم فعل كذا أو كذا، وأما الغافل الأبله غير القاصد، أو الذي قدّم مستطاعه ولكنه لا يناسب شؤون الضيف، فلا يسمح فيهما بالسوء من القول.

ذلك، ومن الظلم إستقضاء الحق فيما لا يجوز كأن تستقضي المديون وليست له ميسرة و هو غير ظالم في دينه وتأجيله^٣ وأقل الإنتصار (من دعا علي من ظلمه فقد انتصر)^٤ عليه فإن الله سميع لدعاء المظلومين ولكن شرط ألا يستطيع دفعاً لظلمه إلا الدعاء، ومن ثم إلام الناس بظلمه، ثم الأخذ علي يديه لكيلا يظلم، ف (الظالم والمظلوم كلاهما في النار) حين ينظلم المظلوم ولا يهتم في إخفاق نعرته وإخماد نائرتيه.

وقد تعنى (من ظلم) - بمن عنت - الجهر بالسوء من القول علي المظلوم الساكت وفي

١ . نورالثقلين ١ : ٥٦٨ عن تفيسر القمي وفي حديث آخر قال: ...

٢ . المصدر وروى عن أبي عبدالله X أنه الضيف...
٣ . فعن الوافي والتّهذيب بسندهما عن حماد بن عثمان قال دخل عن أبي عبدالله X فشكي رجلاً من أصحابه فلم يثبت أن جاء المشكو فقال له أبو عبدالله X ما لفلان يشكوك؟ فقال يشكوني اني استقضيت منه حقي فجلس أبو عبدالله X مغضياً فقال: كأنك إذا ستقضيت حقي لم تسيء أ رأيت قول الله تعالى: (ويخافون سوء الحساب) أنري أنهم خافوا الله عزوجل أن يجوز عليهم لا والله ما خافوا إلا الإستقضاء فسماه الله عزوجل سوء الحساب فمن إستقضي فقد أساء.

٤ . الدر المنثور ٢ : ٢٣٧ - أخرج الترمذي عن عائشة أن رسول الله 3 قال: من دعا... وفيه أخرج أبو داود عن عائشة أنها سرق لها شيء فجعلت تدعو عليه فقال رسول الله 3 لاتسبحي عنه بدعائك.

سكوته تشجيع للظالم، وعدّه لذلك الشمول لم يقل (إلا ممن ظلم) حتى تشمل (علي من ظلم) فليجهر بالسوء من القول عليه تنديداً به وتشنيعاً لما إذا لا ينتصر من ظالمه ولا يفضحه وإن فى الجهر بالسوء من القول عليه، أو تجهر بالسوء علي ظالمه حين لا يستطيع المظلوم أن يجهر به حيث لا يجد له حيلة ولا يهتدى سبيلاً.

فللمظلوم الجهر بالسوء من القول علي ظالمه إعتداءً بالمثّل، أو إنتصاراً عليه دعايةً أو مُنعةً عن ظلمه، ولكنه إن عفي عنه - فيما يجدى العفو إعفاءً من ظلمه وإصلاحاً له - فهو محبوب مشكور.

فقد يجب الجهر بالسوء علي الظالم حين لا ينتهى أو لاتحف وطأته إلاً بذلك، نهياً عن مذكر الظلم، وإن لم يذته ففضحاً له حتى يعرف فيجتنب.

وقد يجرم إذا إزداده ذلك الجهر ظلماً وعتواً، وبينهما عوان إنتصاراً راجحاً وإن فى الإعتداء عليه بمثل ما اعتدي.

ذلك (وكان الله سميعاً) أقوالكم (عليماً) بأحوالكم، لاتخفي عنه خافية، فهو عليمٌ موارد الحظر والسماح للجهر بالسوء من القول، دون أن يذغر بغيره ويحتال بإحتيال هؤلاء الذين يجهرون بالسوء من القول علي الأبرياء (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)!

فحين يُشك فى الجهر بالسوء من القول أنه محذور أو محبوب، ويوشك أن يكون فى الحق من المحذور فهو - إذا - محذور حيث الخارج عن الضابطة هو المقطوع كونه (ممن ظلم).

إذ لا بد فى السماح لذلك الجهر إما من إصلاح، أم إعتداء علي الظالم مثل ما اعتدي، وأما أن يطلق اللسان السوء علي كل رطب ويابس عدّه يستحقه فلا! حيث الضابطة الثابتة هى الحظر إلاً الخارج بقاطع البرهان.

وتري (من ظلم) تختص بالجاهر بالسوء إذا ظلم هو نفسه، أم وإذا ظلم بما ظلم أهله،

أو ما ظلم منه إذا ظلم الحق، فقضية النهي عن المنكر الجهر بالسوء كسائر موارد السماح في الجهر بالسوء من القول حيث يدور الأمر بين مهم الجهر بالسوء محظوراً، والأهم منه وهو الظلم فإنه أشد محظوراً.

إن الجهر بالسوء من القول علي المبتدع في الدين والهاتك حُرِّمَ المسلمين مجاهراً في فسقه ليس مرفوضاً بل وهو مفروض ساجاً علي الحرمان وهياجاً علي ترك المحرمات.

ذلك، والسماح مخصوص بخصيص المتجاهر به ولإبتداع دون المستور وغير الإبتداع، ثم وفي المتجاهر به يجوز الجهر بالسوء في نفسه حيث المتجاهر لا حرمة له فيما تجاهر، ولكنه إذا خلف إشاعة الفاحشة فلا، حيث السماح لإغتيابه نسبي لحقه، فلا يضيع حق الجماهير المسلمة بسماح الجهر بسوء ما فعله.

وقد تعني (من ظلم) - لمكان حذف الجار - كلاً من (من ظلم - لمن ظلم - علي من ظلم) فـ (ممن ظلم) أن يجهر بسوء ما فعل به إستنصاراً له أم فضحاً علي الظالم، و (لمن ظلم) حين هو قاصر أو مقصر في الجهر بالسوء وقضية الإنتصار للمظلوم وتضعيف الظالم الجهر بسوء ما فعل فعلي القادر علي ذلك الجهر أن يجهر (لمن ظلم) لصاحته وبديلاً عنه.

وعلي هامشه (علي من ظلم) حين لا يجهر ويستمر في الإنظلام الذي هو ظلم من واجهة أخرى، فكما يجهر بالسوء علي الظالم، و (لمن

^١ . ففي رواية هارون بن الجهم إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة، وفي أخرى: من ألقى جلياب الحياء فلا غيبة له، ورواية أبي البختری: ثلاثة ليس لهم حرمة صاحب هوي مبتدع والإمام الجائر والفاسق بفسقه، وصحیحة أبي يعفور في بيان العدالة: أن الدليل علي ذلك أن يكون سائر العيوبه حتي يجرم علي المسلمين تفتيش ما وراء ذلك من عثراته، ورواية علقمة المحكمية عن المحاسن: من لم تره بعينك يرتكب ذنباً ولم يشهد شاهداً فهو من أهل العدالة والستر وشهادته مقبولة وإن كان في نفسه مذنباً ومن اغتابه بما فيه فهو خارج عن ولاية الله تعالی داخل في ولاية الشيطان.

ظلم) حين هو قاصر أو مقصر في الجهر بالسوء، وقضية الانتصار للمظلوم وتضعيف الظالم الجهر بسوء ما فعل فعلي القادر علي ذلك الجهر أن يجهر (لمن ظلم) لصالحه وبديلاً عنه. وعلي هامشه (علي من ظلم) حين لا يجهر ويستمر في الإنظام الذي هو ظلم من واجهة أخرى، فكما يجهر بالسوء علي الظالم لأنه ظلم، كذلك علي المظلوم لأنه ظالم في سكوته علي قدرته وإمكانيته.

ومن موارد الفرض في الجهر بالسوء الظلم الجماعي، فليفتضح مثل المبتدع في الدين ومن أشبهه، ومما يجوز فيه الجهر بالسوء قدر الضرورة التي تبيح المحظور:

١ - نصح المستشار، فإن مصلحة المستشار أقوى من الوقيدة الصالحة في المشار عليه فإن المشورة واجبة أو راجحة فلتكن الإشارة لصالح المستشار واجبة أو راجحة.

٢ - النهي عن المنكر، فإن تركه حفاظاً علي حرمة الآتي بالمنكر أنكر، ففيما يترتب ترك المنكر علي ذكره عند من يؤثر في تركه وجب، ولكنه يقتصر علي مورده دون جهر عند سائر الناس.

٣ - دفع المبدع بفضحه حتي يحذر عنه الناس وكما يروي عن رسول الهدي (صلي الله عليه وآله وسلم) (إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدى فأظهروا البرائة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيدة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الإفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات).

١ . ومما يدل عليه صحيحة عبدالله بن سنان قال جاء رجل إلي النبي³ فقال: إن أمي لاتدفع يدي لأمس فقال^X: أجسها، قال قد فعلت فقال³ فامنع من يدخل عليها، قال: قد فعلت، قال³ فقيدها فإنك لاتبرها بشيء أفضل من أن تمنعها عن محارم الله...
٢ . الكافي بسنده الصحيح عن أبي عبدالله^X قال قال رسول الله³:...

ذلك ولكنه ليس كل من تراه مبتدعاً في خاصة رأيك، وإنما هو الآتى بخلاف الضرورة الإسلامية الثابتة بالكتاب والسنة، فالمسائل المختلف فيها بين علماء الإسلام ليست لتتخذ ذريعة لتهمة البدعة، فإنه فوضي جزاف أن يري كل ما يراه أنه هو الحق لاسواه ثم يرمى من سواه بالإبتداع!

٤ - جرح الشاهد الفاسق فإن رد شهادة الزور أوجب من الستر علي شاهد الزور، و ذلك الرد هو قضية واجب النهي عن المنكر فتركه - إذاً - منكر لا يبرره الستر عليه.

٥ - دفع الضرر عن المغتاب فإن حفظ النفس وما ضاهاها أوجب من حفظ العرض وكما يروي في الصحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه أمر عبدالله بن زرارة أن يبلغ أباه: إقرء منى علي والدك السلام فقل له إنما أعيدك دفاعاً منى عنك فإن الناس يسارعون الي كل من قربنا ومجدناه لإدخال الأذي فيمن نحبه ونقربه ويذموننا لمحبتنا ويرون إدخال الأذي عليه وقتله ويحمدون كل من عيبناه نحن وإنما أعيدك لأنك رجل اشتهرت بنا بميلك إلينا وودت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود لمودتك لنا وميلك إلينا فأحببت أن أعيدك ليحمدوا أمرك في الدين بعيدك ونقصك ويكون ذلك منا دافع شرهم عنك يقول الله عزوجل: (وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها و كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) هذا التنزيل من عند الله و الله ما عابها إلا لكي تسلم من الملك ولا تغضب علي يديه ولقد كانت سالحة ليس للعيب فيها مساغ والحمد لله فأفهم المثل رحمتك الله فإنك والله أحب الناس إلي و احب أصحاب أبي إلي حياً وميتاً وإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر وإن وراءك لملكاً ظلوماً غصباً يرقب عبور كل سفينة سالحة ترد من

بحر الهدى ليأخذها غصباً ويغصب أهلها فرحمة الله عليك حياً ورحمة الله عليك ميتاً.^١ هذه وما إليها من الجهر بالسوء من القول الذى يبرره دفع الظلم بالظلم شخصياً أو جماعياً، أو يفرضه تقديماً للأهم على المهم، ليست محظورة مرفوضة بل هى محبورة أم مرفوضة حفاظاً على الأهم الأحرى.

(إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) (١٤٩)

هنا فى المسرح إمتداح للخير إبداءً وإخفاءً، وإمتداح للعفو عن سوءٍ - وطبعاً ألا يكون إخفاءً سوءً أن يشجع المسيء على إسائه - (فإن الله كان عفواً قديراً). فالعفو عن السوء على قدرة هو فى أصله مشكور، إلا أن يخلف ذلك العفو سوءً وقليل ما هو، حيث الناس مفتورون على التأثر بالعفو والتحسُّر على سوءٍ فعلوه، وهذه من أوسع أبواب التربية الربانية أن يواجه السوء بحسن على قدرة: (إدفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم). (٤١: ٣٤).

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) (١٥٠)

من شروط الإيمان بالله - الأصلية - عدم التفرقة بين الله ورسوله: (لا نفرق بين أحد من رسله) (٢: ٢٨٥) وبين الله، ولا بينهم أنفسهم، لأنهم كلهم يحملون رسالة الله دون تفرُّق: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء) (٦: ١٥٩)

وهنا يعبر عن المفرقين بين الله ورسوله إيماناً ببعض وكفراً ببعض - (الذين يكفرون بالله ورسوله) حيث التفرقة هذه كافرة ناكرة لله،

^١ نور الثقلين ٣: ٢٨٥ ح ١٦٣ فى كتابه تلخيص لأقول فى تحقيق أحوال الرجال فى ترجمة زرارة ابن أعين روى فى الصحيح.

فإن الكفر برسالة من الله، مزودة بآية من الله قاطعة، إنه في الحق كفر بالله، وإلا فلماذا الكفر برسالة منه ساطعة المنار؟ الكفر هم - إذاً - في الدرك الأسفل من النار.

و هذا مخصوص بالمنافقين الرسميين لأنهم (أئمة يدعون الي النار) دون من يوافقهم في بعض النفاق وهم مؤمنون.

وقد يروي عن رسول الهدي (صلي الله عليه وآله وسلم) قوله (معاشر الناس سيكون من بعدى أئمة يدعون الي النار ويوم القيامة لا يذصرون، معاشر الناس إن الله وأنا برئيان منهم، معاشر الناس إنهم وأنصارهم وأشياهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار ولبيئس مثوي المتكبرين).

هؤلاء المنافقون الذين عرّف الله بهم في بضع آيات وهددهم بما هددهم والي الدرك الأسفل من النار، فهل لهم بعد من توبة؟ أجل:

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ

الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)(١٤٦:٨)

هنا الإستثناء يعم كل الكافرين منافقين وسواهم، فليس باب التوبة مسدودة ما وجدت إليها سبيلاً مهما كنت كافراً أو منافقاً فضلاً عن فاسق.

وهذه المعية المشرفة لهم بالمؤمنين تتبناها قوا عد أربع هي التوبة والإصلاح والإعتصام بالله وإخلاص الدين لله، جبراً لكل كسر هو من خلفيات الكفر والنفاق في كل دركاتها.

ذلك ولانجد مربع التوبة إلا هنا لأنه يواجه نفوساً منافقة مذبذبة متولية عن الله الي سواه فلا بد لها في سبيل التوبة أسباب زائدة علي العاصمين الآخرين.

(إلا الذين تابوا) عن كفرهم نفاقاً وسواه،

^١ . نورالثقلين ١ : ٥٦٧ في كتاب الإحتجاج عن النبي 3 حديث طويل وفيه يقول... .

- رجوعاً الي الله بقلوبهم فأعمالهم دون خاوية الأقوال.
٢. (وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم وأحوال المؤمنين قدر المستطاع، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.
٣. (وأعتصموا بالله) في تلك التوبة وذلك الإصلاح وفي سبيل الفلاح الي الله، بعدما اعتصموا بما سواه.
٤. (وأخلصوا دينهم) وطاعتهم (لله)، بعد ما أخلصوه لما سواه، فالإخلاص هو الأصل في كل عمل ف (أخلص دينك يكلف القليل من العمل) (وطوبى للمخلصين أولئك صابيح الهدى تتجلي عنهم كل فتنة ظلماء) ^٢ فـ (ما أخلص عبدالله أربعين صباحاً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه علي لسانه) ^٣ و(قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليماً ولسانه صادقاً ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وأذنه مستمعة وعينه ناظرة، فأما الأذن فقمع والعين مقرة لما يوعي القلب وقد أفلح من جعل قلبه واعياً) ^٤ أجل (ألا الله الذين الخالص)

١ . الدر المنثور ٢: ٢٣٦ - أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص وابن أبي حاتم وإدحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن معاذ بن جبل أنه قال لرسول الله ³ حين بعثه إلي اليمن أوصني قال: اخلص...
 ٢ . المصدر عن ثوبان سمعت رسول الله ³ يقول: طوبى...
 ٣ . المصدر أخرج ابن أبي شيبة والمروزي في زوائد الزهد وأبو الشيخ بن حبان عن مكحول قال: بلغني أن النبي ³ قال: ما اخلص...
 ٤ . المصدر أخرج أحمد والبيهقي عن أبي ذر أن رسول الله ³ قال: قد أفلح...
 وفيه أخرج البيهقي عن أبي فراس رجل من أسلم قال قال رسول الله ³ سلوني عما شئتم فنادي رجل يا رسول الله ³ ما الإسلام؟ قال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة قال فما الإيمان قال: الإخلاص، قال فما اليقين؟ قال: التصديق بالقيامه، وفيه أخرج البزار بسند حسن عن أبي سعيد الخدري عن النبي ³ أنه قال في حجة الوداع: (نضر الله أمراً سمع مقالتي فوعاها فرب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مؤمن إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإ دعاءهم يحيط من وراءهم) وفيه أخرج النسائي عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلاً علي من دونه من

(٣٩ : ٣) عن كل شوب (قل الله أعبد مخلصاً له ديني) (٣٩ : ١٤) .

ولإخلاص لله بُعدان إثنان، خلقى بتقديم كافة المحاولات لكامل الإخلاص حسب المستطاع، ورباني يتم إخلاص العبد فيجعله خالصاً طليقاً لله لانصيب فيه لمن سواه والآخرون هم المعصومون، والأولون يتطرقون طرق العصمة . فإذا تحققت هذه الشروط الأربع (فأولئك مع المؤمنين) والمؤمنون هنا هم الأصلاء في الإيمان الذين تعرقت فيهم وتقومت هذه القواعد الأربع .

فلأن هؤلاء التائبون الآتبون الي الله هم في بداية المسير ولما تتحقق فيهم هذه القواعد، (فأولئك مع المؤمنين) الأصلاء وليسوا منهم .

ذلك وكما الطالبون لهديهم الصراط المستقيم هم (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) ما لم يصلوا الي ما وصلوه، فإذا وصلوا فهم منهم وليسوا معهم .

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) (١٤٧: ٨)

(ما) ذا (يفعل الله بعذابكم) ولا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه وأتاه (إن شكرتم) الله (وآمنتم) بالله (وكان الله) منذ كنتم (شاكرا) لمن شكره (عليماً) بما شكره .

إذا فليس العذاب إلا مناً، وليس إنتقاماً لربنا منا ولا دفاعاً عن ساحة قدسه، ولا شهوة التعذيب أو رغبة التنكيل أو التذاذ الآلام أو إظهار البطش والسلطان، تعالي الله عن كل ذلك علواً كبيراً، إنما هو تحقيق العدل بين عباده وكما: (إن تكفروا فإن الله غذي عنكم ولا يرضي لعباده الكفر) (٣٩ : ٧)



أصحاب النبي 3 فقال النبي 3 إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم .

سورة الهمزة - مكية - وآياتها تسع

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيَلُّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٌ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢)
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ
اللَّهِ الْمُوَقَّدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)).

(ويل): إنها ويلات عقائدية وأخلاقية وأعمالية، ويلات فردية وجماعية، تنتجها التخلفات المختلفة عن شريعة الله: شريعة الحياة، إنها حسب القرآن (٢٧) ويلاً، نجد أكثرها للمكذبين بيوم الدين، فإنه الذي يدعوا لأسباب الويل.

(ويل) لفظة تقال في مواقف التقبيح والتأوه والإضطراب والغضب، لفظة الذم والسُّخْط، وهي كلمة كل مكروب يتولول فيدعو بالويل، وأصله: وي لفلان، وكما أن (ويس) كلمة إستصغار، و (ويج) ترحم، ومن قال: (ويل) لفظة في مواقف التقبيح والتأوه والإضطراب والغضب، لفظة الذم والسُّخْط، وهي كلمة كل مكروب يتولون فيدعو بالويل، وأصله: وي لفلان، وكما أن (ويس) كلمة إستصغار، و (ويج) ترحم، ومن قال: (ويل) واد في جهنم، لا يقصد أنه كذلك لغوياً، وإنما هو المصير الأخير لمن هو في حقه وإن كانت كل حياته ويلات. فهؤلاء الذين يقول عنهم القرآن: (ويل) إنهم ويل في ذواتهم وصفاتهم وحركاتهم، ويل في كافة مجالات حياتهم، ويل لأنفسهم ولمجتمعهم، ووبال دائب علي الإجتماع الذي يعيشونه...

(ويل لكل همزة لمزة) (١):

صيغتا مبالغة تدلان علي كثرة ومواصلة مدلولهما، وهما يشتركان في معني الكسر والهزء والتعيب، إلا أن الهمز في الغيبة، واللمز في الحضور.

(لكل همزة): غيَاب بما يسيء الناس بما هو فيهم أم ليس فيهم، وسواء أكان مشاءً بنميم

أم ساكتاً، وكلُّ ذلك في الغياب: (وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك رب أن يحضرون) (٢٣: ١٠١): إذ قوبل الهمز بالحضور، فهو مقابل الحضور: (ولا تطع كل حلاف مهين. همّاز مشاء بنميم) (٦٨: ١١) إذا المشى بالنميم يناسب الغيبة لا الحضور.

(لُمَزَة): عِيَابٍ ساخر في الوجه: (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون) (٩: ٥٨): (الذين يلزمون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جُهدهم فيسخرون منهم ولهم عذاب أليم) (٩: ٨١): فيسخرون تفسير ل: يلمزون، فم العيابون في الوجه، الساخرون المنقصون.

وعلي حد قول الرسول والأئمة من آل الرسول عليهم أفضل الصلاة والسلام: إنه ليس لسان الإنسان، لسان الذي يسعى في هدر الأعراض ولدغ الأرواح والأشباح، ويكرس حياته في تعذيب الناس، كأن صاحبه البرى، فقط، إنه لسان العقرب والأفعى - وشراً من الأفعى، إذ إن الأفعى تقتل الإنسان في الجسد، ولكن أفعى الهمزة واللمزة تقتل الأرواح وتخلق جو اللإطمئنان، جواً قادراً مزرياً كأنه جواً الجحيم، فهو الويل يوم الدنيا وهو الويل يوم الدين.

إنها صورة لئيمة من أم صور الحياة، وإقرآن يكره هذه الصورة الهابطة بحكم ترفعه الأخلاقي، وينتهي عن الهمز واللمز في مواضع شتى، إلا أن ذكرها هنا بهذا التشنيع والتقبيح والتهديد، عدّه يوحى بأنه كان يواجه حالة واقعية خطيرة من بعض المشركين

١ . نورالثقلين ج ٥ ص ٦٦٧ ح ٣، في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: المسوخ من بنى آدم ثلاثة عشر - إلى أن قال - وأما العقرب فكان رجلاً همّازاً لمازاً فمسخه الله عقرباً، وفيه بالاسناد عن رسول الله 3: وأما العقرب فكان رجلاً لداعاً لا يسلم من لسانه.

وجاه رسول الله³ ووجاه المؤمنين، فجاء الرد عليها في صورة الردع الشديد، والتهديد الرعيب.. إلا أنه يعمم المورد وسواه: (لكل): ويل لكل - طول التاريخ وعرضه - كل حسب همزه ولمزه.

.. فويلهم في دنياهم، وويلهم في عقابهم، والقرآن يكره هذه الصورة الهابطة بحكم ترفقه الأخلاق، وينتهي عن الهمز واللمز في مواضع شتى، إلا أن ذكرها هنا بهذا التشنيع والتوبيخ والتهديد، عدله يوحى بأنه كان يواجه حالة واقعية خطيرة من بعض المشركين وجاه رسول الله³ ووجاه المؤمنين، فجاء الرد عليها في صورة الردع الشديد، والتهديد الرعيب.. إلا أنه يعمم المورد وسواه: (لكل): ويل لكل - طول التاريخ وعرضه - كل حسب همزه ولمزه.

.. فويلهم في دنياهم، وويلهم في عقابهم، إذ يعلقون في النار: الويل، وعلي حد تعبير الرسول³.

وقد ذكر الله الهمازين أنهم الآكلون لحوم إخوانهم: (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحِبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) (٤٩): (١٢).

وذكر اللمازين بقوله: (لايسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسي أن يكن خيراً منهن) (٤٩: ١١).
وندد بالهمازين أشد تنديد، لأنهما يخربان الديار ولا يأتیان إلا بكل عار ودمار.
(الذي جمع مالاً وعدده):

^١ الدر المنثور عن النبي³ في حديث المعراج.. ثم مررت علي نساء ورجال معلقين بئديهن فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الهمازون والهمازات ذلك بأن الله قال: ويل لكل همزة لمزة (ج ٦ ص ٣٩٢).
^٢ وكما عن الرسول³: رأيت ليلة الاسراء قوماً يقطع اللحم من جنوبهم ثم يلقمونه ويقال: كلوا ما كنتم تأكلون من لحم أخيكم، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء، فقال: الهمازون من أمك اللمازون (نور الثقلين ج ٥ ص ٦٦٧ ح ٥) عن عوالي الآلى.

ذلك كيانه في روحه الخبيثة: أنه همزة لمزة، وهذا كيانه في سواها: هدفه تجميع المال وعدّه، كأنه الذي يجمع شمله ويعدّه في عداد بنى الإنسان، ويخلده فيما يهواه! فهو يلمز المؤمنين ويهمزهم إذ لم يجمعوا مالاً، ويعيبهم وينقصهم كأنما المال هو الإنسان، أو أنه حياة الإنسان كإنسان، أو أنه يحديه خالداً إلي الأرض ما دامت: (. . . ولكنه اخلد إلي الأرض واتبع هواه وكان أمره فرطاً) (٧: ١٧٦) فـ (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) (٢٥: ٦٩): مهاناً هناك كما أهان المؤمنين هنا، جزاءً وفاقاً.

(جمع مالاً)^١: منكرًا دون تعريف: (مالاً) لا (المال) فمن المال ما هو معروف ومنه ما هو غير معروف، فالذي يحصله ليصرف في حاجيات الإنسان، تحصيلًا وصرفًا مشروعين، فهو (المال) معروف عند إنسان المعرفة والحقيقة، ولأنه ذريعة الآخرة.

وأما الذي يشذ عن شريعة الله تحصيلًا وصرفًا، فهو (مال) منكر ومنكر لا يعتني به ولا يعبأ، وليست مذمة المال ذاتية، إنما هي إذا كان المال وبالاً يخلّف ويلات، في دنيا الحياة وعقبها.

(وعدّه): ثم وبالٌ فوق وبال، علي من يحسب الوسيلة غاية والذريعة نهاية، فالمال ليس إلا وسيلة من وسائل الحياة، فإذا إدخر وضخم وعدّد، أصبح وبالاً فوق الوبال، إذا حصل من غير الحلال، ثم لم ويصرف في سبيل الحلال، ثم جمّد علي عيون الفقراء العزل الذين إمتصت دماؤهم في سبيل تحصيل هذه الأموال، أو انفق

^١ . نورالثقلين ج ٥ ص ٦٦٨ ج ٧ في كتاب الخصال عن محمد بن اسماعيل بن بزيع قال: سمعت الرضا X يقول: لا يجمع المال إلا بخمس حصال: بخل شديد، وأمل طويل، وحرص غالب، وقطيعة رحم، وإيثار الدنيا علي الآخرة. وفيه عن كتاب التوحيد عن الصادق X أنه قال: إن كان الحسنات حقاً فالجمع لماذا؟ وإن كان الخلف من الله عزوجل حقاً فالبخل لماذا؟

في غير حله .

(يحسب أن ماله أخلده) (٣) :

ماله أخلده أو، ما، له^١: يحسب أن كيانه اللاإنساني الشاذ الشارد عن صراط الحياة، يحسب أن ذلك أخلده، رغم أن لخلود في دنيا الحياة، ولاينكره حتي الحيوان، إلا أن السبيل التي اتخذها في الحياة، إنها هي سبيل من يزعم الخلود، فهو يتذرع بماله وماله إلي هذا الخلود المزعوم، ولو كان في الدنيا خلود، لم تكن له حيلة تزيد عما يحتال، فبحساب ما يعمل نعتبره: يحسب أن ماله أخلده! ولكنه:

(كلا): ليس كما يزعمه في أقوال وأفعال وأحوال، في مال وفي منال، ليست هذه بالتى تخلده في دنيا الحياة، وإنما تخلده في عقباها: (جهنم يصلونها وبئس القرار):

(كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) (٤)

تهديد شديد يصور صورة مشهد من مشاهد القيامة، صورة طبق الأصل، فكما كان هذا الهمزة اللمزة، الذي كان يدأب علي الهزة بالناس، وعلي اغتياهم وتعيبهم، في أنفسهم وأعراضهم، و كان يدأب في تحطيم الكيان الإنساني معنويًا وماديًا، وكان يذبذبا ناسًا مؤمنين كأنهم ليسوا ناسًا... فسوف يكون من المذبذبين المحطمين المرذولين المصغرين: في الحطمة: النار الكثيرة الشديدة الحطم، لاتبقى ولا تذر.

وإنها ليست ناراً تحرق وتحطم الجسد فحسب، أو تبتديء بالجسد، وإنما تطلع علي الأفئدة: (ومما أدراك ما الحطمة (٥) نار الله الموقدة (٦) التي تطلع علي الأفئدة):

^١ . (ماله) (ما) هنا إما جزء الكلمة المفردة (مال) أو موصول، صلته (له)، والثاني أعم وهو أتم، إذ يشمل المال والرجال وكل ما للإنسان من طاقات الحياة، ذكر منها المال العدد لأنه أهم ما يهمله الإنسان الحيوان.

إنها ليست ناراً تعرف، إنما نار خاصة متميزة متغيظة، نار الله التي أوقدها بقدرته، فقد تمتاز عن نار غير الله، أوقدها الله إظهاراً وتجسيداً لما أوقده الهمزة اللمزة، وإنها تطلع علي الأفئدة التي اطلت منها نيران الهمز واللمز، تحرق بما احترقت به.

إنها تحرق روح الإنسان وجسمه، قلب الإنسان وقالبه، كما أحرق صاحبها قلوب الناس وقوالبهم، وضيع عليهم جو الطمأنينة: المعيشية الاقتصادية، والمعنوية الآمنة.

هنا - وقبل أن تقوم القيامة، يجبر الله كسر المؤمنين المذبذبين، بما يعد لنا بدين غير المؤمنين، فيطمئنهم في دنيا الحياة، قبل الاطمئنان الأبدى في عقبها، بما يبشرهم وينذر أعداءهم الألداء.

ثم يختم ذكرى هذا المشهد الرهيب بميزة أخرى للحطمة:

(إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) (٩)

مُصَدَّةٌ: مطبقة لامخرج لهم منها ولا منجي، سجن نائب كما كانوا سجوناً للمؤمنين يوم الدنيا.

(في عمد ممددة): في اسطوانات طويلة جداً، وعليها أيضاً من جنس النار، أو من الأشعة غير المرئية التي تستهزيء بالمحطّين: (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها).. وقد يشهد بذلك العلم:

أشعة رونتجن:

لقد ثارت مناقشة في الصحف الصادرة عام ١٩٢٥ حول هذه الأشعة، وذلك أن أحد الأطباء قال: إن أشعة (رونجن) - التي هي ذات عمل جبار في النوع الإنساني - تـري في إشراقها كالأعمدة، فقال بعضهم: لعل الآية: (في عمد ممددة) تشير إلي هذه الأشعة، وخالفهم آخرون، وأخيراً انتصر الأولون.

إن أشعة رونتجن هي كالعمد، يري بها الأطباء ما خفى في الجسم، فيعرفون بواطنه،

وعلها - هي أو مثلها - سوف تكون عمداً ممددة، وإن كانت الحطمة غير معروفة عندنا: (وما أدراك ما الحطمة) ولم يقل: (وما أدراك ما العمد الممددة).

علّ هذه الأشعة هي العمد الممددة، تمدد في أعماق الأجسام إلي الأفئدة فتزجها في سجن الحطمة، فلا تمسح لها بالخروج. ومها يكن من شيء فالعمد هي من النار، سواء من نار الحطمة أم سواها، فسواها من إنبياءات الغيب المكشوفة بالعلم، والحطمة مجهولة حتى الآن، وعلّ العلم يكشف عن مثالها في الدنيا، (فكل ما في الدنيا مثال لما في الآخرة).

إذا فالهمزة اللمزة سوف يكون مجذور المكعب الناري، هو نار: (وقودها الناس...). وفي نار: (نار الله الموقدة) وفي سجن الأعمدة النورية النارية، وعلّها أشعة (رونجن) أو مثلها.

عباد الرحمن

هنا مواصفات لعباد الرحمن، ايجابيات سبع و سلبيات خمس، عدد الشهور، كأنها تجمع اعمال السنة:

(عباد الرحمن الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) (٦٣:٢٥)

والهون ضمناً مذموم، وهو التذلل من جهة متسلط مستخف به (فاليوم تجزون عذاب الهون) وهو بالفتح تذلل في قرارة النفس تخضعاً لله وتواضعاً لعباد الله دون غضاظة ورضاظة، وهذا من مييزات عباد الرحمن وذلك لعباد الشيطان. والمشي على الأرض هو الحياة الأرضية مشياً ام دون مشى، قياماً او قعوداً، ولان المشى هو الاصل البارز في حراك الحياة، لذلك (يمشون) دون سواه، وكما القيام يعم كل حراك في الحياة.

ويقابلهم عباد الشيطان الذين يسطون - وحتى - علي الرحمن، في قولتهم الخواء: وما الرحمن،؟! -

هؤلاء الاكارم يتبذون حياتهم هوناً مع الله ومع عباد الله التقات، واما مع الطغات فلاهون؛ وأكثر تقديره (سلاماً) دون هون ولا استكبار، ثم التكبر مع المتكبر عبادة. فلانهم عباد الرحمن فهم جيلتهم التواضع، فالماشي هوناً (هو الرجل يمشي بسجيته التي جبل عليها ولا يتكلف ولا يتبختر).^١ فلا يعنى (هوناً) انهم يمشون متموتين اذلاء منكسى الرؤوس، متهاوى البنيان، فهذا رسول الله أفضل عباد الرحمن كان اوقر الناس وأحسنهم وأسكنهم مشياً (كأن الشمس تجرى في وجهه) و (كأنما الأرض تطوي له)^٢ (إذا مشي

^١ . تفسير البرهان ٣ : ١٧٣ - الطبرسى في الآية قال

قال ابو عبد الله X: زاد المعاد في خير العباد لشمس الدين ابي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية عن ابي هريرة: ما رأيت أحداً احسن من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان الشمس تجرى في وجهه وما رأيت أحداً اسرع في مشيته

تكفاً تكفياً كأنما ينحط من صَبَبٍ^١ ارتفاعاً من الارض بجملته كحال المنحط من الصبب، وهي مشية اولى العزم والهمة والشجاعة. إنهم حياتهم قوام في كل قعود وقيام، دون إفراط او تفريط، وإنما عوان بين ذلك قوام، ونموذجاً لذلك القوام موقفهم في انفاقهم في سبيل الله، مالياً او حالياً او نفسياً، اللهم إلا فيما القوام يتطلب استئصالاً كما القتال في سبيل الله.

ان القوام الوسط العفو هو ادب الانفاق ودأبه الدائب لعباد الرحمن (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) (٢: ٢١٩) وهو الزائد عن حاجيات الحياة غير المسرفة ولا المبيذرة ولا المكتنزة، اللهم الا في حالات استثنائية تتطلب انفاقاً اكثر، كتبصرات علي قانون العفو، فلا (محسوراً) (١٧: ٢٩) فلا اسراف في الإنفاق، ان ينفق حتي من ضروريات حياته المنزلية، ان يجعل اهله جيا عا ام مُضَيِّقِينَ وهو ينفق نفقتهم في سبيل الله! ولا قتران ان يبخل بانفاق الزائد عن حاجياته (وكان بين ذلك قواماً) وهو ما يقوم به الشيء، قواماً لحياته وقواماً لحياة المحاويج، دون تهديم ليحاة وإقامة لأخري. وذلك الإنفاق يعم الإنفاق علي نفسه وأهله وسواهم، فمثلث الإنفاق لعباد الرحمن قوام خارج عن الافراط والتفريط.^٢ ومثلاً لطيفاً للقوام ما يخرج من بين

←

من رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) كأنما الارض تطوي له وانا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث.^١ المصدر عن علي بن ابي طالب X كان رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) اذا مشى.. . تفسير البرهان ٣: ٢٧٣ - الكليني عن عدة من اصحابنا عن احمد بن ابي عبد الله عن محمد بن عمر و عن عبد الله بن ابان قال سألت ابا الحسن X عن النفقة علي العيال فقال: (ما بين المكروهين الاسراف والاقترار) أقول: وهو استفادة لطيفة من آية القوام.

الاصابع ويبدقي في الراحة منه شيء،^١ فانه راحة لصاحب الراحة ولمن يخرج لهم من بين اصابعه .

٦ - (والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر) وهذا هو التوحيد فكيف تأخر عن لزاماته؟ عدله خالص التوحيد، تخلصاً عن الرئاء والسمعة في الإنفاق وفي سائر العبادة، فالتوحيد هو الأساس لـ (عباد الرحمن) وهو مفرق الطريق بين كل صالح وطالح، عقيدة وعملاً وايماناً .

٧ - (ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق) وهذا مفرق الطريق بين الحياة الآمنة المطمئنة، التي تحرم الحق، والنفوس المحرمة المحترمة، وحياة الفوضى التي لا أمن فيها ولا فلاح .

٨ - (ولا يزنون) ومن عضالة هذه الفاحشة الكبيرة قرننها بقتل النفس وبالإشراك بالله (ومن يفعل ذلك يلق آثاماً).

و (ذلك) هنا المحرمات الرئيسية الثلاث: (الإشراك بالله - قتل النفس^٢ - الزنا والأثام) هو وبال الأمر، (يلق آثاماً) يوم الدنيا قليلاً وفي الآخرة كثيراً، وبذلك يفسر (يضاعف له العذاب يوم القيامة) فانها ليست مضاعفة علي الاستحقاق، وانما هي علي ما يلقاه يوم الدنيا، (جزاءً وفاقياً) (ولا يظلمون نقيراً) (ويخلد فيه مهاناً) ابدأً وغير أبد حسب دركات العصيان، مهما تكون عاقبة امره في النار

^١ . تفسير البرهان ٣ : ١٧٣ - الكليني بسنده المتصل عن عبد الملك بن عمرو الأحوال قال: تلا ابو عبدالله X هذه الآية (آية القوام) فاخذ قبضة من حصي وقبضها بيده فقال: هذا الاقبتار الذي ذكره الله في كتابه ثم قبض قبضة اخرى فأرخي كفه كلها ثم قال: هذا الاسراف، ثم قبض قبضة اخرى فأرخي بعضها وقال: هذا القوام .

^٢ . الدر المنثور ٥ : ٧٨ - اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) اي الاعمال افضل.. وسألته اي الذنب اعظم عند الله؟ قال: الشرك بالله قلت ثم اي قال: ان تقتل ولدك ان يطعم معك فما لبثنا إلا يسيراً حتي انزل الله (والذين لا يدعون..).

الموت والبوار، حيث لاتبقي نار ولا أهل نار،
جزاء العصيان المحدد بعقوبة محددة .

(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

مَتَابًا) (٧١:٢٥)

(إلا من تاب) إلى الله مما اقتترف مهما كان شركاً وسواه (وآمن) بعد ما كفر إيماناً او عملاً صالحاً (وعمل صالحاً) يُجبر طالحة (فاولئك) يبدل الله سيئاتهم حسنات) لا فحسب أنه يغفر لهم فلا حسنات ولا سيئات، فكما هم بدلوا سيئاتهم حسنات كذلك الله يبدل سيئاتهم حسنات، فسيئة إشراكهم بحسنة التوحيد، وقتلهم النفس بحسنة قتال المشركين، وزناهم بحسنة حرمة النكاح بل وسيئات اخري هي من اللمم: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً).

فالحسنات الكبيرة كفارة عن الحسنات الصغيرة المتروكة، والسيئات الكبيرة كفارة عن الصغيرة، وهكذا تبدل السيئات بالحسنات، دون فوضى جزاف، فهنا سيئاتهم هي الكبائر، وحسناتهم هي التوبة عن الكبائر بشروطها، والتبديل هنا انه تعالى يقبل توحيدهم بعد الشرك فقد بدله به، وقتلهم النفس التي حرم الله، فقد بدلهم بقتال المشركين، وزناهم وقد بدلها الله بنكاح المؤمنات.

ونص الآية (يبدل سيئاتهم حسنات) لا (بحسنات) فسيئاتهم هي التي تبدل بحسنات مكانها كما بيننا، لا ان الله يكتب بدل سيئاتهم السابقة حسنات وهم لم يعملوها، حتي تصدق الرواية المختلقة الزور (يتمني العبد ان سيئاته كانت اكثر مما هي)^١.

^١ . الدر المنثور: ٥ : ٨٠ — اخرج عبد بن حميد عن عمرو بن ميمون في الآية قال: حتي يتمني. وقدر عليه ما اخرج عبد بن حميد عن ابي العالبيه انه قيل له: ان اناسا يزعمون انهم يتمنون ان يستكثروا من

وبصيغة اخري، الكفر هو مبدأ السيآت، والتوحيد هو مبدأ الحسنات، فلما بدل الشرك توحيداً، فقد بدل مبدأ السيئه حسنة، ثم تتواتر الحسنات كأنها اتوماتيكية علي اثر الايمان الصالح والتوبة النصوح.

ولماذا (يبدل الله) وصاحب السيئة هو الذى بدل؟ لان الله هو الذى يقبل توبته، وهو الذى يقر فى قلبه التوحيد، وهو الذى يوفقه لحسنات علي غرار التوحيد.

٩ - ١٠ (والذين لا يشهدون الزور واذا امروا باللغو مروا كراماً)

الزور فتحاً هو الميل من حق الي باطل ام من باطل الي حق، ام من حق الي حق ام باطل الي باطل، ومنه الزيارة والتزاور فى هذا المربع، والزور ضمناً هو الميل عن حق إلي باطل، تصويراً للحق بصورة الباطل، او الباطل بصورة الحق، فمنه الكذب والبهت والفرية، ومنه الدهو ومنه شهادة الزور (والذين لا يشهدون الزور) حضوراً له مهما لم يشاركوا فيه، وحضوراً لشهادة الزور مهما لم يشهدوا، وحضوراً لكى يشهدوا الزور، كل ذلك منفى بـ (لا يشهدون الزور) حيث الكل محرمات ولكنها دون الثلاث السابقة (واذا مروا باللغو) وهو كل ما لا يعنى (مروا كراماً) ولا يشهدون ولا يشاركون، فللمؤمن ما يشغله عن اللغو والهذر والتبذر، وليس لديه من الفراغ والبطالة ما يدفعه الي اللغو الفارغ.

←

الذئوب قال ولم ذاك قال: يتأولون هذه الآية يبدل الله سيئاتهم حسنات، فقال ابو العالية وكان اذا اخبر بما لا يعلم قال: امنت بما انزل الله من كتاب ثم تلا هذه الآية. يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً يعيداً).

. تفسير البرهان ٣ : ١٧٦ - الكينى بسند متصل عن ابى عبدالله X فى الآية قال: الغناء.

١١ - (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُماً وعمياناً).

فهم عند ذكري آيات ربهم، لا يصمون عن قوارع الذُّر، ولا يعشون عن مواقع العبدِ، متطلعين الي نور و هدي، ر غم غيرهم حيث يخرون علي آيات ربهم صماً لا يسمعون، وعمياناً لا يبصرون، آيات سمعية وبصرية كالقرآن، ام سمعية او بصرية كسائر الآيات آفاقية وانفسية، مسموعة لا تبصر، ام مبصرة لا تسمع، ام تسمع وتبصر.

١٢ - (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين

إماماً)

هنا وبعدهما اكتملت في هذه الأدعية كل شروطات الايمان بحبل من الله وحبل من الناس، في رئيسية الايجابيات والسلبيات، نري (عباد الرحمن) يطلبون من الرحمن قمة الايمان وهي الإمامة للمتقين، وما لم يصل العبد الي قمة التقوي لا يحق له تطلب (واجعلنا للمتقين اماماً).

اجل - ولأن لكل حال مقال، ولكل دعاء مجال، فلنختص هذه الدعاء بمن تخطي كافة درجات الايمان، حتي يحتل الإمامة للمتقين ككل، كما الرسول الاعظم (صلي الله عليه وآله وسلم) ^١ فانه إمام المتقين عي الإطلاق، من الملائكة والجنة والناس اجمعين، من نبيين وائمة طول الزمان وعرض المكان. ومن ثم الطاهرون المعصومون من عترته،

^١ . تفسير البرهان ٣ : ١٧٧ محمد بن العباس بسند عن ابي سعيد الخدرى في الآية قال رسول الله 3 لجبرئيل: من ازواجنا؟ قال: خديجة، قال: ذرياتنا؟ قال: فاطمة، قال: قرّة اعين؟ قال: الحسن والحسين، (واجعلنا للمتقين اماماً) قال: اميرالمؤمنين، اقول هذه انتقاله لطيفة من امامة الرسول 3 الي امامة اميرالمؤمنين حيث المذكورون دليل علي امامة الرسول 3.

فاطمة الصديقة والأئمة الاثني عشر^١ فى مرحلة ثانية من إمامة المتقين، ثم بعد سائر المعصومين، ومن ثم العلماء الربانيون فى كل عصر ومصر، وبطبيعة الحال (المتقين) فى كل مجال من هذه المجالات تقدّر بقدرها سعة وضيقة، إلا الإمامة المطلقة غير المحدودة كما للرسول³.

وتري هؤلاء الرجال الأتقون لهم إمامة المتقين، فهل النساء كالصديقة الطاهرة (عليها السلام) لها إمامة المتقين كما لهم؟ نعم!

لأن الإمامة هنا هى إمامة التقوي، ان يصبح الإمام أسوة للتقوي، سواء أكان نبياً أو وصياً أم اى أسوة للتقوي، فهذه الدعاء - اذاً - تشملها، وهى فى قمتها بعد الرسول³ مع الأئمة من آل الرسول (عليهم السلام).

اتري فى هذه الدعاء أثراً من أثره وكبرياء، فى أية مرحلة من مراحل امامة التقوي؟ كلا! واما هى تسابق فى الخيرات، وتزايدها فى الدرجات، ففى سباق الخيرات بدرجاتها ليس لعباد الرحمن الإقتصار باصل التقوي، بل وقمتها التى هى بطبيعة الحال أسوة وإمامة لما دونها ممن دونهم، كل كما يأهل (وأن ليس للانسان إلا ما سعى).

فالسماح لهكذا دعاء لا يختص بذروة التقوي، بل يعم كل السالكين فى سبيل التقوي، أن يجعلهم الله فيها لحدّ الأمامة لسائر المتقين، الذين قَصَرُوا عن القمة ام قَصَرُوا.

ميدان فسيح، ومسرح فصيح لسباق التقوي (وسابقوا إلى مغفرة من ربكم) دون بخل وضيقة بسائر السالكين إلى الله، وإنما تناصراً فى هذه السبيل أئمة او مأمومين، فلا يؤم

^١ . المصدر القمى بسند متصل عن ابان بن تغلب قال سألت ابا عبدالله X عن الآية قال: هم نحن اهل البيت، وعن ابي الجارود عن ابي جعفر X فى الآية - اى هداة يهتدي بنا وهذه لآل محمد (عليهم السلام) خاصة وعن ابي بصير عن ابي عبدالله X مثله.

المتقين من يا هل إلا تكلمة لسلوكهم، ولا يأتون بإمام لهم إلا تكلمة لسلوكهم، فالركب كله في سبيل الله مهما كانوا درجات حسب القابليات والفاعليات.

ولماذا (اماماً) واحداً وهم عدة؟ عليه لان امامة المتقين واحدة الجذور، كما المأمومين امة واحدة : (وان هذه امتكم امة واحدة) (٢٣ : ٥٢) مهما كان الأئمة عدة .

ثم وإشارة قاصده الي ضرورة وحدة الإمامة المطلقة في كل عصر دون منازع، مهما كان معه ائمة فروع يأتون به، هم ائمة لسواهم، فـ (فوق كل ذي علم عليم)! لذلك نري الرسولين موسي و هارون في صيغة مفردة (إننا رسول رب العالمين).

نري في هذه الدعاء (أزواجنا وذرياتنا) دون سواهم من الأقرباء والأنسباء، مما يدل علي مدي فرض المحبة والحنان اولاً للأزواج، ومن ثم ذرياتهم .

ولان هذه الدعاء لاتختص من عباد الرحمن – فقط – قبيل الرجال، وان الزوج تشمل الزوجين فـ (ازواجنا) تعم قبيلي الأزواج بعولة وزوجات، بل وتعم ازواج التقوي وهم قرناء التقوي، وكما (ذرياتنا) تعم ذريات الايمان .

فأئمة التقوي يؤمنون قرناهم الأتباع، وذرياتهم الأتباع، فالأزواج هم الاولون والذريات هم الآخرون .

و (من) تخرج الدعاء عن استحالة الإجابة، فليس كل الازواج والذريات نسبياً ممن يأهل ان يكون قررة أعين التقوي، فهي اذاً (تبعيضية، كما وهي نشوية او سببية ان تحصل لنا من ناحيتهم وبسببهم قررة اعين، وما اجملها جمعاً لهذه الثلاث!

و (قررة اعين) تعنى القررة العُرة في مسرح التقوي، وهي من (القَر): البَرْد – مقابل الساخن، فالعين الساخنة هي الباكية، الحاكية عن كآبة، ولاتبكى عين التقوي إلا

علي الطغوي في (ازواجنا وذرياتنا)! والعين القرة هي البارة عن حر البكاء، القريرة الغريرة الفرحة علي ما تري من تقوي (ازواجنا وذرياتنا)!

وذلك شعور فطري وفي موقف الإمامة ومسؤولية القيادة الايمانية، أن يتطلب الإمام ويعمل ويسعي لبث القرة الغرة بين المؤمنين به.

و (أعين) منكرة دون (الأعين) لأنها تقصد أعينهم كمتقين لاكل الأعين الشاملة للطاغين، ويؤيده قلة الجمع في (أعين) دون (عيون).

الكائنات تسبح بحمد الله

(سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) (١٧: ٤٣)

إنه متنزه متعال عما يقولون: إن له شركاء أم بنات أو أبناء أم ماذا مما يمس من ساحة الربوبية الوحيدة، وتعالى علواً كبيراً كما هو الكبير المتعال.

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (١٧: ٤٤)

إن الكون كله محراب فسيح فصيح يفصح عنه يسبح له وينزهه عن شركاء فيوحده ويسجد له ويسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم!

السموات هنا هي الأجواء السبعة بما فيها ومن فيها، والأرض هي الارضون السبع: (ومن الارض مثلهن...)(٦٥: ١٢) حيث الآية تستعرض الكون كله اياً كان (ومن فيهن) تعم عامة العقلاء في السماوات والارضين من ملك أو إنس وجان اياً كانوا وإيان (وان من شيء) تستغرق كل شيء دون إبقاء لشيء، انها تسبح بحمده (ولكن لاتفقهون تسبيحهم...).

و (هم) في (تسبيحهم) راجع إلي كل شيء لمكان الإستغراق لكل شيء في التسبيح بالحمد و (لكن لاتفقهون) حيث يتطلب شعوراً وادراكاً

نحن لا نفقهه في كل شيء فالأشياء تعرف ربها فتسبحه بحمده، لافحسب العقلاء من ملك وانسان وجان، بل والحيوان: (ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون) (٢٤ : ٤١) (والطير محشورة كل له أواب) (٣٨ : ١٨) ف (صوت الديك صلاته وضربه بجناحيه سجوده وركوعه:)^١ ف (لاتضربوا وجوه الدواب فان كل شيء يسبح بحمده)^٢ و (لا تتخذوها - الدواب - كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راكبها واكثر ذكراً لله منه)^٣. فكل صنف من صنوف الدواب والطير امة تسبح حتي النمل وصوت الضفدع تسبيح:

لافحسب الدواب كلها بل والأشجار والجمادات : (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) (٢١ : ٧٩) ، (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب) (٣٨ : ١٨) : (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) (١٣ : ١٣) (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحية إلا أوم أمثالكم ما

^١ . الدر المنثور ٤ : ١٨٣ - اخرج ابن مردويه ابو نعيم في فضائل الذكر عن عائشة ان رسول الله³ قال: صوت... وركوعه ثم تلا هذه الآية: وان من شيء...).

. المصدر اخرج ابوالشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابي سعيد الخدري قال، قال رسول الله³...

^٢ . المصدر اخرج احمد عن معاذ بن انس عن رسول الله³ انه مر علي قوم وهم وقوف علي دواب لهم وروا حل فقال: اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي.

. المصدر اخرج ابن مردويه عن ابي هريرة ان رسول الله³ قال: ان النمل يسبحن، واخرج البخاري ومسلم وابوداود والنسائي وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه عن ابي هريرة قال قال رسول الله³: قرصت نملة نديا من الأنبياء فامر بقرية النمر فاحرقت فأوحى الله إليه: من أجل نملة واحدة احرقت امة من النمل تسبيح.

. المصدر اخرج النسائي وابوالشيخ وابن مردويه عن ابن عمر قال: نهى النبي³ عن قتل الضفدع وقال: نعيقها تسبيح.

فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيَّ رَبِّهِمْ
يَحْشُرُونَ) (٦ : ٣٨).

فقد يردف الإنسان بكل دابة، والطير
والملائكة بالرعد، والطير بالجبال، في
التسبيح بالحمد، مما يبرهن انهما تسبحان
كما الطير وكما الملائكة والانسان.

وانه لمشهد كوني رهيب عجيب فريد حين
ينبئنا ربنا أن كل شيء يسبح بحمده، من كل
ذرة، وكل زاحفة وحشرة، وكل طير ودابة، وكل
ما في الارض والسماء، وكل سابحة في الماء
والهواء، الكل تسبح (ولكن لا تفقهون
تسبيحهم):

جمله ذرات عالم	با تو مي گویند
در نهان	روزان و شبان
ما سمیعیم و بصیر	با شما نامحرمان
وبا هشیم	ما خامشیم

ان ذرات الكون ايا كان تنتفض روحاً حية
حيث تنبض بالحياة في تسبيح الله، فالكون كله
حركة وحياة، وكله تسبحة لله، محراب واسع
تسجد فيه الكائنات لربها، وجدان الانسان
يرتعش وهو يستشعر كونه غارقاً في السبحات،
وهو غارق في الشهوات، غافل عن الله (إنه كان
ظلوماً جهولاً) فالأمانة العامة التي نعرفها في
الكون كله هي تسبيحه بالحمد، فقد اذاها

جون شما سوي جمادی می	محررم جان جما دان کی
روید	شاید
از جمادی در جهان جان	غلغل اجزای عالم
روید	بشاید
فیش تسبیح جمادات	وسوسه تاویلها بر با
آید	یاید
چون ندارد جان تو	بهر بینش کرده ای
فنیله	تاویلها
که غرض تسبیح ظاهر کی	دعوی دیدن خیال و غی
بود	بود
یس چه از تسبیح یادت	آن دلا لت هم چو گ فتن
می دهد	می شود
این بود تاویل اهل	وای انکس کو ندارد
اعتنا	ننو رحمان

الكون كله وحملها وخانها الإنسان بظلمه وجهله، فـ (ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله تعالى إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشيطان واغنياء بني آدم)^١.

تري ما هذا التسبيح الشامل لكل شيء، هل هو قول عن اعتقاد بعمل: مثلث التسبيح الكامل؟ ولا نسمع إلا الإنسان المسبِّح! ام هو التسبيح التكويني لا عن شعور وادراك إلا لذوى الشعور؟ والتسبيح فعل لمن يسبح وهو بحاجة الي شعور مّا واختيار! والا استدلال باتقان الصنع من العقلاء ظرف لتسبيح العقلاء والكون موضع لهذا الظرف، لا أنه المسبِّح لولا شعوره بنفسه! ومن ثم (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) تعريف بكيان هذا التسبيح أنه لا يُفقه للإنسان الفقيه دقائق من العلوم الخفية، فهل الإستدلال بالكون علي المكون وكيانه لا يُنال للإنسان وإن فكر ما فكر ودبر وما دبر، والكون كله آيات لله لمن فكر ودبر: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق او لم يكف بربك أنه علي كل شيء شهيد)(٤١ : ٥٣)

والآيات الافاقية هي كل شيء يستدل بها علي الله بما يرينا الله برسل الفطرة والعقل والحس الذاتية وسائر الرسل الخارجية، فهل بعد (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) لو كانت الدلالة التكوينية هي المعنية؟!

فالفقه هو التوصل بعلم حاضر الي علم غائب، وغائب التسبيح بالحمد في كل شيء واصل لحد لا يتوصل إليه بأي علم حاضر، والتسبيح التكويني لكل شيء حاضر لكل ذي حجي فكيف (لاتفقهون تسبيحهم)؟

نحن لا نفقه تسبيحهم: قولتهم هذه وفعلتهم وعقيدتهم، إلا ان يفقهنا الله كما فقه سليمان: (وقالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم

^١ . الدر المنثور ٤ : اخرج ابن مردويه عن عمرو بن عمرو بن عبسة عن رسول الله ﷺ قال..

لا يحط منكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون.
فتبسم ضاحكاً من قولها...). (٢٧ : ١٨) وداود
(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا
فاعلين). (٢١ : ٧٩).

وهنا يتحقق أن لكل شيء لساناً أياً كان و
ان كنا لا نفقه لغاتها ثم من وراء اللسان
جنان وعمل بالاركان، تسبح بحمد ربها وتسجد
لربها (ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعاً
وكرهاً وظلاً لهم بالغدو والآصال) (١٣ : ١٥)
(اولم يروا الي ما خلق الله من شيء يتفياؤا
ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم
داخرون: ولله يسجد ما فى السماوات وما فى
الارض من دابة والملائكة وهم يستكبرون.
يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما
يؤمرون) (١٦ : ٥) (والنجم والشجر يسجدان) (٥٥ :
٦).

تسبيحات بالحمد وسجودات مخيرين لحد
لامسيرين، وفى ضياع لهم فيما يتوجب عليهم
من تسبيح ضياعاً لأعمارهم فى الاولي كما فى
تخلف الدواب عن سنة العدل عقاب لهم فى
الاخري (.. ثم الي ربهم يحشرون) وعل فى كل
حركة وكل صوت لكل شيء عبادة وتسبيحة^٢ (ولكن

١ . الدر المنثور ٤ : ١٨٤ - اخرج ابن راهويه فى
سنده من طريق الزهرى قال أتى ابو بكر الصديق بخراب
وافر الجناحين فقال: سمعت رسول الله³ يقول: ما صيد
من صيد ولا عضدت عضة ولا قطعت وشيعة الا بقلته
التسبيح) وعن ابى هريرة عنه³ مثله (الا بتضييعه
التسبيح) واخرج ابونعيم فى الحلية وابن مردويه عن
ابن مسعود قال قال رسول الله³: ما صيد من طير فى
السماء ولا سمك فى الماء حتى يدع ما افترض الله عليه
من التسبيح، واخرج العقيلدى فى الضعفاء وابوالشيخ
والديلمي عن انس قال قال رسول الله³: آجال البهائم
كلها وخشاش الأرض والنمل والبراغيث والجراد والخيل
والبغال والدواب كلها وغير ذلك آجالها فى التسبيح
فاذا انقضى تسبيحها قبض الله ارواحها وليس الي ملك
الموت منها شيء.

٢ . الدر المنثور ٤ : ١٨٥ - اخرج ابوالشيخ عن انس
قال: أتى رسول الله³ بطعام ثريد فقال: ان هذا الطعام
يسبح، قالوا: يا رسول الله³! وتفقه تسبيحه! قال: نعم
ثم قال الرجل: اذن هذه القصعة من هذا الرجل
فادناها منه فقال: نعم يا رسول الله هذا الطعام يسبح

لاتفقهون تسبّحهم).. ومن تسبّحهم (سبحان الله وبحمده)^١.

وتري إن كون الأشياء مسبحة عن علم علي ان جماداتها امواتٌ غير احياء هلاً يمنع من الإستدلال علي حياته تعالي بعلمه؟.. كلاً حيث الحياة لزام العلم ولكل شيء حياة حسبه، والله محيي الأشياء الأحياء، حيٌ بغير حياتهم (باين عن خلقه وخلقهم باين عنه).

هذا هو الكون كله يسبح الله بحمده ولكن الإنسان خان هذه الامانة الكبرى، طاعته وعبادته (انه كان ظلوماً جهولاً).

(إنا عرضنا الأمانة علي السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً. ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله علي المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً) (٣٣ : ٧٢).

←

فقال: ادنها من آخر وادناها منه فقال: هذا الطعام يسبح ثم قال: ردها، فقال رجل يا رسول الله³ لو امرت علي القوم جميعاً، فقال: لا لو انها سكنت عند رجل لقالوا من ذنب، ردها فردها، وفيه اخرج الخطيب في تاريخه عن عائشة قالت دخل علي رسول الله³ فقال لي يا عائشة اغسلي هذين البردين فقلت يا رسول الله³ بالأمس غسلتهما، فقال لي، أما علمت ان الثوب يسبح فاذا اتسخ انقطع تسبّحه؟ أقول: ومن طرق اصحابنا احاديث عدة تجاوب ما اوردناه عن اخواننا السنة ففي نورالثقلين ٣ : ١٦٨ ج ٢٢٢ في الكافي عن ابي عبد الله^X: قال سألته عن قول الله عزوجل: وإن من شيء الا يسبح بحمده قال: تنقض الجدار تسبّحها وفي تفسير العياشي عنه^X مثله وعن زرارة عن ابي جعفر^X مثله وعن الباقر^X نهى رسول الله³ عن ان توسم البهائم في وجوهها وان تضرب وجوهها لانها تسبح بحمد، ربها وعنه^X ايضاً انه دخل عليه رجل فقال: فداك ابي وامى انى اجد الله يقول في كتابه (وان من شيء..). فقال له: هو كما قال: فقال: اتسبح الشجر اليابسة؟ فقال: نعم، اما سمعت خشب البيت كيف ينقض؟ وذلك تسبّحه فسبحان الله علي كل حال.

١. الدر المنثور ٤ : ١٨٣ - اخرج احمد وابن مردويه عن ابن عمر بن الندي³ قال: ان نوحاً لما حضرته الوفاة قال لابنيه: امركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء.

هذا العرض تكويني تبياناً لكيان الكون
اجمع من حيث الطاعة والعصيان وعصيان
الإنسان دون الكون اجمع.

والامانة واجبها الأداء الي اهلها ما دامت
امانة لدي غير اهلها، فاذا حملت تحققت
الخيانة، سواء نوي ألا يؤديها منذ أخذها،
ام لم يؤديها عملياً، فمن الأمانة الفطرة
والعقل حيث يحملان التكليف أمام الله، ولكنما
الإنسان يخون الفطرة والعقل رسولى الباطن،
ويخون سائر الرسل حيث يعصي ربه.

و (إنه كان حليماً غفوراً) محطه تغافل
الإنسان عن تسبيحه بحمده بين سائر الكون ما
لم يصل إلي الشرك والذفاق: وكما في آية
الامانة: ويتوب الله علي المؤمنين والمؤمنات
وكان الله غفوراً رحيماً.

وكذلك (لاتفقهون تسبيحهم) فعدم فقهه علمياً
قصور معذور، ولك تركه عملياً وعدم مجاراة
الكون في التسبيح بالحمد تقصيراً محذور،
وفى سواه معذور.

(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
مَسْتُورًا) (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ
رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أذْبَانِهِمْ نُفُورًا) (٤٦)

(واذا قرأت) تعنى الرسول 3 ومن ثم من معه،
الذين يقرءون القرآن قرائته 3، فليس كل
قاريء للقرآن يجعل الله بينه وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً، فرب تال
للقرآن والقرآن يلعنه، وليس (الذين لا يؤمنون
بالآخرة) هم كل الكفرة، وانما هم الذين
(سواء عليهم أن نذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون) (٢:٦) فهم يستهزئون او يهاجمون علي
قاريء القرآن فالقرآن حفاظ علي قارئيه إن
كانوا يقرءون كما كان الرسول يقرء او
قريباً منه، كل قدره.

هنا بين قاريء القرآن وبين الكفار حجابٌ
مثلث: علي أعينهم فلا يرونه، وعلي آذانهم

فلا يسمعونه وعلي قلوبهم فلا يفقهونه ، لانهم (لا يؤمنون بالآخرة) : (كتابُ فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون)(٥:٤١) كُنْ القلوب ووقر الآذان لزامان علي الذين لا يؤمنون، وهما خسار الظالمين: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)(١٧ : ٨٢) وليس هناك علي الحقيقة كنان علي قلب ولا وقر فى سمع، وانما هم لاستثقالهم سماع القرآن حيث يتلي عليهم ويُفرغ فى آذانهم، هم كالذين علي قلوبهم أكنة دون علمه، وفى آذانهم وقر دون سمعه، وإن كانوا أتوا من قبيل نفوسهم، وأخذوا بسوء اختيارهم، ولذلك ذموا علي إطراحه، ولم يعذروا بالاضراب عن استماعه.

ثم الحجاب المستور عن أعينهم عليها ليس إلا علي الذين يريدون به شراً وضراً حين يقرء القرآن كما هنا (واذا قرأت.. حفاظاً علي كرامة الوحي وحامله، وكما فى يس حفاظاً علي نفسه المقدسة: (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون)(٣٦ : ٩) أم علي حرمة حين يهتك كما قصدته حمالة الحطب فما رأته ورأت أبا بكر فرجعت بعدما خسئت.

١ . الدر المنثور ٤ : ١٨٦ - اخرج ابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن اسماء بنت ابى بكر ان أم جميل دخلت علي ابى بكر وعنده رسول الله ﷺ فقالت يا ابن ابى قحافة ما شأن صاحبك يئشده فى الشعر فقال: والله ما صاحبي بشاعر وما يدري ما الشعر فقالت: اليس قد قال: فى جيدها حبل من مسد، فما يدريه ما فى جيدى فقال النبي ﷺ قل لها: هل ترين عندي أحداً فأنها لن ترانى جعل بينى وبينها حجاب فقال لها ابوبكر فقالت: أتجهز بى والله ما اري عندك أحداً واخرج ابن مردويه عن ابى بكر قال: كنت جالساً عند المقام و رسول الله ﷺ فى ظل الكعبة بين يدى اذ جاءت ام جميل بنت حرب بن امية زوجة ابى لهب ومعها فهران فقالت: اين الذى هجانى وهجأ زوجى والله لئن رأيت لارض انثييه بهذين الفهرين وذلك عند نزول

إن (حجاباً مستوراً) هو المستور عن الأنظار الكافرة، ثم لا حجاب لمن سواها، فهو ساتر مستور كالجحر المحجور بين بحري العذب والمالح: (وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً) (٢٥ : ٥٣)

ان القرآن يكشف عن حجب المؤمنين و هو حجابٌ علي الكافرين، كما يجعل بينه وبينه حجاباً مستوراً، وهو حرزٌ يحترز به من يعتمده ويقرأه مؤمناً او يكتبه وكما في سلسلة الذهب الجعفرى عن امير المؤمنين علي^ع:^١ وتري ما هو ذكر الرب وحده في القرآن اذ

←

تبت يد ابي لهب قال ابوبكر: فقلت لها: يا ام جميل ما هجاك ولا هجا زوجك قالت: والله ما انت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم تترك فقال النبي^ص3 حال بيدي وبينها جبرائيل. اقول واخرج مثله عديد من روا الحديث والجامعين.

. الدر المنثور ٤ : ١٨٦ - اخرج ابن عساكر وولده القائم في كتاب آيات الحرز عن العباس بن محمد المنقري عنه قال، قدم حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه المدينة حاجاً فاحتجنا الي ان توجه رسولاً وكان في الخوف فأبي الرسول ان يخرج وخاف علي نفسه من الطريق فقال الحسين (رض) اننا اكتب لك رقعة فيها حرز لن يضرك شيء ان شاء الله تعالى فكتب له رقعة وجعلها الرسول في صورته فذهب الرسول فلم يلبث ان جاء سالمًا فقال مررت بالأعراب يميننا وشمالاً فما هيجني منهم احد والحرز عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب وان هذا الحرز كان الأنبياء يتحرزون به من الفراعنة (بسم الله الرحمن الرحيم).

قال: اخسئوا فيها ولا تكلمون اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً، اخذت بسمع الله وبصره وقوته علي اسماعكم وابدباركم وقوتكم، يا معشر الجن والانس والشياطين والاعراب والسباع واليهوام والذنوص مما يخاف ويحذر فلان بن فلان سرت بيته وبينكم بستر الذبوة التي استتروا بها من سطوات الفراعنة جبرائيل عن ايمانكم وميكائيل عن شمالكم ومحمد صلي الله عليه وآله وسلم امامكم والله سبحانه وتعالى من فوقكم يمنعكم من فلان بن فلان في نفسه وولده واهله وشعره وبشره وماله وما عليه وما معه وما تحته وما فوقه واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا علي قلوبهم اكنة ان يفقهوه الآية الي نفوراً. وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كانوا يولون علي أدبارهم نفوراً؟ إنه كلمة التوحيد؟ وأنه البسمة حيث كان الرسول³ يجهر به كما عنه³ والأئمة من عترته (عليهم السلام).^١

فذكر الرب وحده دون سواه يعم كلمة التوحيد حيث تنفي من سواه وسائر ذكره في بسمة وسواها حيث لا يقرن به سواه. إن ذكر من سوي الرب دونه إلحاد، وذكره مع سواه إشراك، وذكره وحده توحيد، وإن كان

١. الدر المنثور ٤: ١٨٧ - أخرج البخاري في تاريخه عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: لم كتمتم بسم الله الرحمن الرحيم فنعم الاسم والله كتموا فإن رسول الله³ كان إذا دخل منزله اجتمعت عليه قريش فيجهر بسم الله الرحمن الرحيم ويرفع صوته بها فتولي قريش فراراً فأنزل الله (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولو علي أدبارهم نفوراً أقول ورواه مثله في روضة الكافي بسنده عن أبي عبد الله^X وفي المجمع قال رسول الله³ إن الله من علي بفاتحة الكتاب فيها من كنز الجنة بسم الله الرحمن الرحيم الآية التي يقول الله تعالى (وإذا ذكرت ربك..). ورواه مثله القمي عن أبي عبد الله^X.

والعياشي عن زيد بن علي قال: دخلت علي بن جعفر فذكر بسم الله الرحمن الرحيم فقال: تدري ما نزل في بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقلت: لا - فقال: إن رسول الله³ كان أحسن الناس صوتاً وكان يصلي بفناء الكعبة فرفع صوته وكان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وجماعة منهم يستمعون قرائته قال: وكان يكثر ترداد بسم الله الرحمن الرحيم فيرفع بها صوته قال: فيقولون إن محمد ليردد اسم ربه ترداداً أنه ليحبه فيأمرون من يقوم فيتسمع عليه ويقولون: إذا جاءت بسم الله الرحمن الرحيم فاعلمنا حتى نقوم فنسمع قرائته فأنزل الله (وإذا ذكرت ربك..). بسم الله الرحمن الرحيم) ولوا علي أدبارهم نفوراً.

وفيه عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله^X قال: كان رسول الله³ إذا صلي بالناس جهر بسم الله الرحمن الرحيم فتخلف من خلفه من المنافقين عن الصفوف فإذا جازها في السورة عادوا الي مواضعهم وقال بعضهم لبعض: إنه ليردد اسم ربه ترداداً أنه ليحب ربه فأنزل اليه الآية.

وفيه عن أبي حمزة الثمالي قال قال لي أبو جعفر^X يا ثمالي إن الشيطان ليأتي قرين الإمام فيسأله هل ذكر ربه؟ فإن قال: نعم اكتسح فذهب وإن قال: لا - ركب كتفه وكان أمام القوم حتى ينصرفوا - قال قلت: جعلت فداك وما معني قوله: ذكر ربه؟ قال: الجهر بسم الله الرحمن الرحيم.

لا يعنى الذاكر ما تعنيه اللفظة فيما سوي التوحيد. حيث التوحيد ليس قصداً دون إعلان، فليكن الإعلان بدلالته توحيداً كما يعتقده من يعلن بكلام او كتب او إشارة أم ماذا.
(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) (٤٧) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) (١٧:٤٨)

نجوي شيطانية تتهدم صرح الرسالة الالهية علي حد تصميمهم، فهم يستمعون الي الرسول³ ليعلموا ما يقول، ولكي يكيدوا له كيداً، ثم يستمعون بكيد عليه فيما بينهم كشوري ابليسية ليتسقط فيها عن كيان الوحي، ثم يتناجون في حُصالة الشوري الظالمة: (إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً)^١.
(هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ..) (٥٣:٣٢)

(هو) الله (أعلم بكم) منكم ومن سواكم من العالمين في مِلِّ العالمين، (أعلم بكم): بذواتكم و صفاتكم وأفعالكم وطوياتكم وكل كيانكم إسراراً وإعلاناً.
(أعلم بكم) إذ لم تكونوا شيئاً مذكوراً: (إذ أنشأكم من الأرض) كما أنشأ آدم الأول من طين لازب، ثم أنشأ ذريته - كذلك - من أجزاء الأرض إذ خلق منها نطفته، ورباها في الأرحام وقواها بمواد الأرض، و(أعلم بكم) كذلك إذ كنتم شيئاً مذكوراً: (إذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) إذ لم تكونوا لتعلموا شيئاً، وإلي ان أخرجكم: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لتعلمون شيئاً) (١٦ : ٧٨).
تري كيف تصح صفة التفضيل في العلم: (هو أعلم بكم) حين إذ لا علم للمفضل عليه: (إذ

^١ . في الدر المنثور

أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم؟! .

علَّه لأن (أعلم) لاتختص بالحياليتين الجاهلتين، فإنها شاملة للحالات كلها، وإلى أعلى درجات العلم، كما تشمل أدنى درجات الجهل، وقد توحى به (كم) فأحري أن تشمل حالة الشعور العلم، لكى يصلح للخطاب، وإنما ذكر حالتنا الجهل الأشعور: (أنشأكم.. أجنة) ذكرنا دون حالة العلم؟ إذ لا ممارسة فى جهلها المطلق: حين الإنشاء والأجنة، إضافة إلى أنهما تحملان حجة الأفضلية:

(هو أعلم بكم) فان المنشئ للشئ لايعزب عن علمه منه شئ، والجنين المستور عن كل فاعل ومحاول، العاجز عن تدبير أمره، لايعلم من نفسه وسواه شيئاً، كما لا يعلمون عنه شيئاً، والله المنشئ البارئ للجنين هو الذى يعلم منه كل شئ فهما إذاً حجتان للأعلمية الشاملة الألهية بنا، وفيما نعلم الكثير الكثير فى زعمنا! ولكن أين علم من علم! علم سابق شامل، وعلم لاحق جاهل، فمهما علمنا أشياء، نجهل آلاف الأضعاف أشياء! علم ذاتى جوهرى، وعلم عارضى، علم لا يخالطه جهل، وعلم أكثره جهل، علم حادث يزول، وعلم أزلى لا يزول؛ ما يحق أن يقال: علم مطلق وجاه جهل مطلق! ولكن الله يمن علينا إذ يصفنا بصفة العلم، ثم يفضل نفسه علينا فيه كما فى سواه، رغم التباين الكلى بين صفاته وصفاتنا، كما وبين ذاته وذواتنا!

(فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) (٣٢:٥٣)

(هو أعلم بمن اتقى) توحى أن التقوى هى السبب الوحيد للتزكية الحقيقية، والإنسان المنشأ من الأرض بطبعه يميل ويثاقل إليها

١ . فى (إذا) هنا وهناك تحميل معني الزمان والتعديل، هو أعلم بكم حين أنشأكم .. ولأنه إنشأكم فإن المنشئ أعلم من المنشأ وان كان هو أيضاً عالماً، أفضلية الخالق من المخلوق.

إلا من هداه الله واهتدي وسلك سبيل التقوي،
وجانب وبيل الطغوي فلأنه (هو أعلم بكم)
بكونكم وكيانكم كما أنتم (فلا تزكوا
أنفسكم): ادعاءً أنى برئ من وصمات الطغوي،
وملىء بسمات التقوي.

والتزكية، وهى التحزى عما فيه التطهير
عن الأدناس الخلقية والعقائدية والعمدية،
إنها كما تنسب إلى العبد، كذلك إلى الله وإلى
رسول الله الحاملين رسالات الله ببلاغات التزكية
للمرسل إليهم، وسواءً فى ذلك القول أو
العمل والسعى، إن كان فى الدنيا أم فى
الآخرة.

فالتزكية العملية فى نطاق التأييد
والتوفيق دنيماً، وفى التكفير عن السيئات
دنيماً وعقبى، إنها خاصة بالله تعالى شأنه،
وكما أن القولية منها شهادة على النزاهة
الصادقة، ولاتعتبر إلا منه أو بوحي منه، فإن
المكلف قد يجهل أخطاءه العامة منها أو
الساهية، فلا يحق له اعتبار نفسه مزكياً إلا
بشهادة الله: (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم
بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون شيئاً) (٤: ٤٩).
والتزكية البلاغية بالوحي قولياً وعملياً
خاصة برسول الله: (يتلى عليكم آياتنا
ويزكيكم) (٢: ١٥١): وساطة فى بلاغ الوحي دون
أن تملك هداية المهتمدين: (إنك لاتهدى من
أحبت ولكن الله يهدى من يشاء) (٢٨: ٥٦).
وتزكية السعى فى التزكى خاصة بالمكلفين،
وهى لاتكفى فى الحصول على النتيجة إلا بفضل
من الله ورحمته تأييداً وتوفيقاً: (ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحداً أبداً
ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم). (٢: ١٧٢)
(ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم)
(٣: ٧٧).

فتزكياتنا العملية بتوفيق الله ودلالات رسول
الله، إنها واجبات محتومات، والقولية منها
تنزيهاً لأنفسنا قد تجوز فيما إذا كانت حقاً،
وقد تجب إذا كانت فى مقام دفع فرية أو

تهمة، أو إثبات عدالة أو فضيله وجاه الناكرين أو الغاصبين حقوق العدل والفضل أو أية ضرورة^١ كما كان يفعل النبليون وسائر المعصومين والعلماء الربانيون.^٢ ومن التزكيات القولية ما تحرم كالمدعاة فى غير حق، من فضيلة منفية تدعى، أو متواجدة يدعى واجدها أنها من سعيه متحللاً عن توفيق الله، أو دلالة رسل الله فـ (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) تنحو نحو الأولي، و (ولكن الله يزكى من يشاء) (٢٤ : ٢١) نحو الثانية، كما أن (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون شيئاً) (٤ : ٤٩) تشمل الآخرة والأولي، تزكية التقوي فى الأولي، وتزكية عن الطغوي فى الاخرى.

ومهما يكن من شيء فى التزكية الحققة منا لأنفسنا، فإنها مرجوحة الأ عند الضرورة، وبسناد الوحي أو شبهه، متنيهاً منبهاً أن

١ . فى تفسير العياشي قال سفيان لابي عبد الله X: ما يجوز أن يزكى المرء نفسه؟ قال: نعم إذا اضطر اليه أما سمعت قول يوسف، اجعلنى على خزان الأرض انى حفيظ عليم، وقول العبد الصالح: وانى لكم ناصح أمين.
٢ . الاحتجاج الطبرسي عن معمر بن راشد قال سمعت ابا عبد الله X يقول: اتى يهودى الي رسول الله 3 فقام بين يديه يحد النظر اليه فقال، يا يهودى ما حاجتك؟ فقال: انت افضل ام موسى بن عمران النبي الذى كلمه الله عزوجل وانزل عليه التوراة والعصا وقلق له البحر واطله بالغمام؟ فقال له النبي 3 انه يكره العبد ان يزكى نفسه ولكنى اقول: ان آدم لها اصاب الخطيئة كانت توبته انه قال: اللهم انى اسالك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي فغفر الله له وان ابراهيم X لما القي فى النار قال: اللهم انى اسالك بحق محمد وآل محمد لما انجيتنى منها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وان موسى X لما القي عصاه واوجس فى نفسه خيفة قال: اللهم انى اسالك بحق محمد وآل محمد لما أمنتنى قال الله عزوجل: (لا تخف انك انت الاعلى) يا يهودى! ان موسى لو ادركنى ثم لم يؤمن بي وبنبوتى، ما نفعه ايمانه شيئاً ولا نفعه النبوة، يا يهودى! ومن ذريتى المهدي اذا خرج نزل عيسى بن مريم X لنصرته فيقدمه ويصلى خلفه. (الفرقان - م ٢٩)

تزكية المرء لنفسه قبيحة^١ وكما (يخشى الرسول³ علي أمته أن تزكى أنفسها)^٢ إلا من يزكيه الله، أو يعرف زكاته عند الله، فيما يرضاه الله.

(أفرايت الذي تولى. وأعطى قليلاً واكدي. أعنده علم الغيب فهو يرى. أم لم ينبأ بما في صحف موسى. وإبراهيم الذي وفى. الاتزر وازرة وزر اخرى. وأن ليس للانسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يُجزاه الجزاء الأولي. وان إلى ربك المنتهى).

توحى هذه الآيات أن هذا الذى تولى وأعطى قليلاً وأكدى، هو الذى ألقى وزره علي وازرة أخرى، كأنها تتحملها عنه، فلذلك (تولى) عما يتوجب عليه فعله أو تركه (وأعطى قليلاً) : فيما أعطي، قبل أن يتولى، إذ كان يذفق كفارة لسيئاته رجاء أن تعفى، وبعدما تولى، أعطي لمن يزعمه أنه يزر وزره بعد هذا (وأكدى): قطع ما كان ينفقه من ذى قبل.

فالآيات الست الأخيرة تنديدات بهذا المتولى المكدي، وبكل من حذى حذوه، من الذين لا يعملون صالحات، ثم يأملون الثواب من أعمال غيرهم، أو من ادعائاتهم أنهم يتحملون أوزارهم: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم و ما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون. وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون). (٢٩: ١٣) (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير

^١ . في معاني الاخبار للصدوق باسناده الي جميل بن دراج قال سالت ابا عبد الله X عن قول الله عزوجل (فلاتزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى) قال: قول الناس: صليت البارحة وصمت أمس ونحو هذا، ثم قال: ان قوما كانوا يصبحون فيقولون: صلينا البارحة وصمنا أمس فقال علي X لكني انام الليل والنهار ولو اجد بينهما شيئاً لنمته.
حم ٤ : ١٧١

علم) (١٦ : ٢٥) .

يُروى أن المتولى المكدي هنا (هو عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق فقال له أخوه من الرضاة عبدالله بن سعد بن أبي سرح: ما هذا الذى تصنع؟ يوشك أن لا يبق لك شيء، فقال عثمان: إن لى ذنوباً وإنى أطلب ما أصنع رضى الله وأرجو عفوه، فقال له عبدالله أعطنى ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن النفقة فنزلت الآيات).^١ وكما يروى ذلك فى غيره أيضاً وعدّها من أشخاص عدّة تنزىل الآيات تنديداً بهم وأمثالهم أياً كانوا.

فهنا الآيات تندد بمن يزعم هكذا، أولاً: أن لاسناد له من علم الغيب، وحمل أوزار الآخرين لو صح، فهو من غيب الله (أعنده علم الغيب فهو يري) والغيب الوحيّ خاص برسول الله، وهؤلاء المناكيد هم رسل الشيطان وأولياؤه.

وأخيراً هنالك إثباتات من كتاب الوحي: (أن لا تزر وازرة وزر أخرى. وأن ليس للانسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يري. ثم يُجزاه الجزاء الأوفى).

ففى كتاب موسى (سفر التثنية ٢٤ : ١٦): (لا يُقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل) كما وفى فرع من فروعه: (حزقيال ١٨ : ٥ - ٢٢): (النفس التى تخطيء هى تموت ٥ - والذى سلك فى فرائضى وحفظ أحكامى ليعمل بالحق فهو بارّ حياةً يحيى ٩ - وان ولد ابناً رأى جميع خطايا أبيه... ولم يفعل مثلها ١٤ - وسلك فى فرائضى فإنه لا يموت. باثم أبيه - ١٧ - وأما أبوه فهو ذا يموت باثمه ١٨ - وأنتم تقولون - ... لماذا لا يحمل الابن من اثم الأب ١٩ - وأما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً حفظ جميع فرائضى وعمل بها فحياتاً يحيى ٢٠ - النفس

^١ . كما حدده الزمخشري فى الكشاف، ورواه ابن عباس والسدى والكلبى وجماعة من لمفسرين.

التي تخطيء هي تموت ٢١ - الابن لا يحمل من
 اثم الأب والأب لا يحمل من اثم الابن ٢٢ - بر
 البار يكون عليه وشر الشرير عليه يكون ٢٣

وإنها حقيقة جارفة أوهاام الضالين،
 تحملها فيما تحمل، هذه الآيات التوراتية
 وآيات عدة قرآنية^١ تجاوباً مع نداء الفطرة
 العادلة، منددة بما اختلقته الكنائس: (ان
 المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار
 لعنة لأجلنا) و (ان بنى آدم كلها عصات فى
 ذواتهم إذ عصي آدم ربه فغوي، فلا بد من فاد
 يفدى بنفسه ليخلصهم من وزر العصيان و هو
 المسيح الفادى إذ لُعن بصلبه لأجلنا!)^٢
 ومن أشمل الآيات الناكرة لها، المنددة
 بها آية الإسراء: (من اهتدي فانما يهتدى
 لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة
 وزر اخرى) (١٧: ١٥): أن الهداية والضلالة
 لاتعديان بنتائجهما إلي غير الساعى لهما
 ولو كان ذا قربي: (ولاتزر وازرة وزر اخرى
 وان تدع مثقلة إلي حملها لا يحمل منه شيء
 ولو كان ذا قربي) (٣٥: ١٨) بل الضالون
 المدعون هكذا حمل: (ليحملوا أوزارهم كاملة
 يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير
 علم) (١٦: ٢٥) ودون ان ينقص من أوزار
 المضللين شيء.

فهذه بالنسبة للأوزار من أى كانت ولأئى،
 كما و أن مساعى الخير لاتعدي أصحابها: (وأن
 ليس للإنسان إلا ما سعى) ضابطة عامة لاتستثنى،
 شاملة لكل المساعى فى الدنيا ولها وللآخرة،
 طالما المؤمن لا يراها فى الأولي إلا قليلاً،
 ولكنه: (وأن سعيه سوف يُرى) فى البرزخ
 والقيامة، رؤية تبهجه وتبشره (ثم يجزاه
 الجزاء الأوفى): فسعيه يوم الدنيا هو

^١ كما فى السور ٦: ١٦٤ و ١٧: ١٥ و ٣٥: ١٨ و
 ٣٩: ٧.
^٢ راجع (عقائدنا) ص ١٦٠ - ٢١٩.

جزاءه يوم الآخرة، إذ تظهر حقيقته بعدل الله وفضله.

فهنا في الحياة الدنيا يري بعض الجزاء لما سعي، ثم في الوسطي: البرزخ، يري وفيماً من الجزاء، وثم في الآخري يري جزاءه الأوفي، وهو ظهور ما سعي بكامل حقيقته كما وعد الله الساعين الصالحين، وأوعد الساعين الطالحين: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينه وبينها أمداً بعيداً) (٣: ٣٠).

(حوار حول آيتي الوزر والسعي)

آية الوزر تنقي ان تزر نفس وازرة نفس وازرة اخري، ولا تنفي ذلك من نفس غير وازرة كالمعصومين الطاهرين عن الأوزار، فلا تنقي إذأ أن تزر نفس المسيح X أوزار أمته. أو سواه من المعصومين عن سواهم من الوازرين؟! الجواب: أن الوازرة هنا ليست هي الحاملة لوزرها، بل هي المتحملة ادعاءً لوزرها، بل هي المتحملة ادعاءً لوزر وازرة اخري حاملة لها، و (لاتزر) تضرب هدفين بسهم واحد: أنها لاتحمل ما تحملته، يوم الحساب - ولو استطاع - (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون) (٢٩: ١٢) إذ هي مثقلة بأوزارها لتخف هي عنها، وهي نفس كافرة أو فاسقة لاتستقيم علي وعداها يوم الدنيا، فكيف بالاخري!.

وانها لا يؤذن لها أن تتحمل وزر غيرها ولو صدقت، طالما تتحمل من أوزار من أضلتها دون أن ينقص عن المضلل شيء.

ثم إذا لا يؤذن لنفس خاطئة إن تزر وزر أخري، رغم استحقاقها العذاب فكيف بأنفس معصومة طاهرة مستحقة لكل تكريم، أن يؤذن لها لتحمل أوزار غيرها فتعذب هي عنها، وترحم صاحبة الوزر، إن هي إلا قسمة ضيزي وفرية علي السيد المسيح: أن تحمل بصلبه جميع لعنات الناموس، وازرة معصومة طاهرة، تحمل أوزار أنفس عاصية قذرة! فسلام لك ايها

المظلوم المهتك ممن يذود عنك تلك الوصمات، واللعن علي المفتريين عليك. وما شفاة الشافعين الطاهرين لبعض العصاين حملاً لأوزارهم، إنما هي غص عنها كأن لم تكن شيئاً.

وهكذا نري في آيات الجزاء - كلمة حتم لاتستثنى - : (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى)(٤: ١٦٤) (ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى)(١٧: ١٥) إنما الخطيئة علي أصحابنا، دون أن تتخطاها إلي غيرها، مؤمنة أو فاسقة، حكم عادل عاقل لاتخلف فيها ولا استثناء عنها. وحول آية السعي، كيف يكون للميت عائدة وفا ئدة عما يسعاه الحى، وما هو بساع لنفسه، ولاينفعه لو سعي بعد ما قضي نحبه؟ و كذلك حى عن حى أو شفاء عن لهم يشفعون فيشفعون؟

الجواب: أن العائد إلي الميت ليس الا قليلاً وفي إطارات خاصة، وما عوده الي الميت إلا عوداً الي الساعى، فانه يسعي للميت، فلو لم يعد من سعيه شيء الي الميت لم يجده سعيه في بغيته، فكما أن للإنسان ما يسعاه لنفسه، كذلك له ما يسعاه لغيره، فما يبغيه لغيره يعتبر بغية له لنفسه، كسائر القربات المهداة الي المؤمنين أحياء وأمواتاً، سواء أكانت باجور ام قرابة دون مقابل، علي أن ذلك ليس فوضى كما يبغيه الساعى، وإنما فيما يؤهل له و من يؤهل، فهذان سعيان ينتجان عائدة للمهدي إليه و كما ياذن الله، وفي الغائبة من واجبات جزئية قصوراً او تقصيراً أم ماذا.^١

^١ . اصول الكافي باسناده عن اسحاق بن عمار عن ابي ابراهيم X قال: سألته عن الرجل يحج فيجعل حجته وعمرته او بعض طوافه لبعض الله وهو عنه غائب في بلد آخر، قال: قلت فيدنتقص ذلك من اجر، قال: هي له ولصاحبه وله اجر سوي ذلك بما وصل، قلت: وهو ميت هل يدخل ذلك عليه؟ قال: نعم، حتي يكون مسخوطاً عليه فيغفر له او يكون مضيقاً عليه قلت: فيعلم وهو

واما شفاعة الشفعاء، فهي ايضاً من سعى المشفع لهم بفضل الله، من توبة، واجتناب لكبائر المنهيات، ومن رجاحة للحسنات، ومن أهلية للشفاعات، فكل ذلك مما سعاه المشفع له، وهو من سعى الشافع ايضاً لأهليته لها، كما وان غيرهما - غير - الآهلين للشفاعة لايشفعون او يشفع لهم.

ومن هؤلاء من سن سنة حسنة او سيئة فان له مثل أجر او وزر من عمل بها الي يوم القيامة ولا ينقص اولئك من اجورهم او اوزارهم شيء، كما في مستفيض الاحاديث، فان ذلك كله من سعيه الصالح او الطالح ولو انقطع عمله، فان له سعياً في أعمالهم، فله او عليه ما سعاه كما سعي.

ولقد سبقت آية الإلحاق: (الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) وان الإلحاق فيها من مساعي الطرفين، اتباع الملحقين بهم بايمان، وايمان الاصول المتبوعين الراجين ذلك الإلحاق، كما فصلناه مسبقاً.

جولة اخرى في آيتي الوزر والسعي

(افرايت) رؤية البصيرة والتبصرة والإدكار (الذي تولى) عن منهج الإيمان، والتعرض لمواضع الغفران (وأعطي قليلاً): كما وكيفاً، قدراً وزمناً (وأكدي): بلغ كدى العطاء وانقطاعه، فترك القليل ايضاً وضئي به (أعنده علم الغيب) وحيماً كما عند الموحى اليهم (فهو يري) الغيب: سماعاً له باذن القلب، ومنه ما ادعي؟ والغيب لله، ثم من يوحى إليه كما



في مكانه انه عمل ذلك لحقه؟ قال: نعم، قلت: وان كان ناصباً ينفعه ذلك؟ قال: نعم يخفف عنه. اقول: واما بالنسبة للمشركين فلا نفع ولا تخفيف حيث النهي عن الاستغفار لهم، وفي نياية العبادات روايات كثيرة الا فيما يخاطب المكلف فقط كالصلاة والصوم.

يشاء ، وهذا المكدي المتولى من رسل الشيطان يوحى إليه ما يشاء (ام) اذ ليس عنده الغيب، فهل (لم ينبأ بما فى صحف موسى . و ابراهيم الذى وفي): فان دين الله فى أصوله قديم، موصولة أوائله بأواخره، يصدق بعرضه بعضاً عبر الرسالات، دون ان يفصل بعرضه عن بعض فواصل الزمان والمكان، ومنه كاصول لكتابات الوحي المفصل (صحف ابراهيم وموسى) فالإنجيل ليس إلا فرعاً لهما، إضافة الي تحرفه عن هذا الأصل كالكثير من الأصول، و صحف نوح غير متواجدة، ولو كانت فهى بدائية إجمالية دون تفصيل، ثم القرآن و هو الصحيفة الأصلية المهمة علي سائر صحف الوحي يكرر هذا الأصل مرات: (أن لاتزر) نفس (وزارة وزر) نفس (أخري) لا تخفيفاً عنها تثقيلاً لنفسها، ولا لنفس أخري، ولا تخفيفاً دون أى تثقيل (وان ليس للانسان) كما ليس لسواه من الساعين (إلا ما سعي) لا أقل منه إلا ما أحبطه وأفسده، لا، إلا قدره او زيادة بفضل الله ومدته، فليس له فى شريعة الله دنياً، وفى جزاءه عقبى (إلا ما سعي) فلا يحق استثمار مساعى الناس واستغلالها لمن لم يسع او لم يشارك الساعى، اللهم إلا قدر سعيه فكرياً او عملياً ام ماذا؟ و بقسطاس الحق والعدل.

ومهما يكن من ظلم وانتقاص فى المساعى دنياً، ففي الاخري: (وأن سعيه سوف يري) يراه الساعى وسواه فى البرزخ والقيامة رؤية تناسبه ويناسبها، لمساً او ذوقاً او سماعاً او إبصاراً ام ماذا؟ وكما سعي! وكما سعي! يراه ويجزاه كجزاء موقت فى البرزخ (ثم) فى القيامة الكبرى (يجزاه) : سعيه : (الجزاء الأوفى) فانه هو السعى الظاهر بحقيقته فى الأخرى.

والأوفى هنا توحى بان السعى هنا فى الصالحات، فغيرها بين مكفرة، او ناقصة عنها، او قدرها وهو الوفى، والأوفى تشير الي زيادة أقلها عشر امثالها: (من جاء

بالحسنة فله عشر امثالها) فالأولي في هكذا اطلاق يعني أوفي من سعيه ومن كل جزاء يتصور كضابطة عامة في جزاء الحسنات، بخلاف السيئات التي يجزاها صاحبها - فيما يجزي - الجزاء الوفي او دونه، فان الأوفي فيها ظلم، بخلافه في الحسنات فانه فضل.

و (ثم) عليها اشارة الي التراخي بين الجزاء في الأخرى، عن البرزخ والاولى، طالما رؤية السعي كذلك من جزاءه.

(وان الي ربك المنتهي) وكما أن منه المبتدء، فهو المنتهي في المهمات والملمات، واليه الرجعي في كل القضايا، لايملك معه أحد شيئاً إلا باذنه.

كما (وان الي ربك المنتهي) في التفكير والإكتناه، فكل شيء يجوز فيه التفكير علك تعرفه بكنهه، او قدر ما تحاول، إلا الله، فلا تنفك عميقات التفكير في ذاته وصفاته إلا حيرة وضلالة وبهوة، وكما يروي عن الرسول³: (تفكروا في الخلق ولاتفكروا في الخالق فانكم لن تقدروه)²

(وانه هو أضحك وابكى)(١٧:١٥)

ان هذا النبأ وما قبله وبعده - وهي إحدى عشر نبأ - كلها مما نبيء بها في صحف ابراهيم وموسي، ذات صلة قريبة ام بعيدة بدحض الوهم المسبق ممن يزكى نفسه و يلقي وزره علي غيره، ويتولي عما يتوجب عليه. فالإضحك والإبكاء هما - مبدئياً - من الله، فقد خلق ما منه يضحك او يبكي وحالة الضحك وحالة البكاء، مهما كان للإنسان صنع فيهما، فانهما وإن كانا من سائر الأفعال

^١ . التوحيد للصدوق عن زرارة قال قلت لابي جعفرX: إن الناس قبلنا قد اكثروا في الصنعة فما تقول؟ فقال: مكروه، اما تسمع الله عزوجل يقول: (وان الي ربك المنتهي).

^٢ . الدر المنثور ٦ : ١٣٠ اخرجه ابوالشيخ عن ابن عباس قال: مر النبي³ علي قوم يتفكرون في الله فقال:...

الإختيارية، لا ينقطعان عن ارادة الله، الذى هو وإليه المنتهى، وأما غير الاختيارى منهما فالأمر فيهما واضح.

فالله أنشأ للإنسان دواعى الضحك والبكاء فى تركيبات نفسية وعضوية، وظروف خارجية او داخلية يضحك منها او يبكى، فهما من أسرار التكوين البشرى، كالألوف من أضرابهما.

(وأنه هو أمات وأحيى): فإنه خلق الموت والحياة كسائر الخلق، مهما كان للإنسان حيلة او محاولة للموت، فلن تكون للحياة! : (خلق الموت والحياة لنبلوكم أيكم أحسن عملاً) وأنى للإنسان أن ينشئهما، وهو حتى الآن حائر فى حقيقتهما وبواعثهما وأسرارهما، تري بعد انه خالق لهما ولا يدري ما هما؟ ومن أين؟ وكيف؟ ومتى؟ ولماذا؟!)

(وأنه خلق الزوجين الذكر و الانثى. من نطفة إذا تمنى)

عدم ذكر الخنثى التى لاهى ذكر ولا أنثى أو يجمعهما، إنه يدلنا هنا فى مقام استعراض الخلق، أن الصنفين هما الحاضران لثالث لهما، ولا برزخ بينهما، وكما فى سائر الآيات المستعرضة لهما، وموقع الزوجين هنا وفى غيرها، دون ازواج ثلاث، يؤكد ذلك الحصر، فالخنثى هى فى الواقع إما ذكر أو أنثى وقد تظهر بعملية حقيقتها الجراحة.

ثم النطفة إذا تمنى: تقدر بالقدرة الإلهية، ضمن تقدير المنى:

(ألم يك نطفة منى يمى) (٧٥ : ٣٧) فالمنى هو التقدير، وهو هنا تقدير المنى فى ذاته وصفاته وأفعاله وانفعالاته، ومنها إنبثاقه الي قعر الرحم، ثم تقدير نطفة من المنى لكى يبدء منها الجنين دون زملاءها، فغير المقدر من منى او نطفة لايصبح جنيناً، ويا لهذه الخلية الميكرو سكوبية السابحة هى وملايين أمثالها فى نقطة واحدة من منى يمى، يا لها من أعجوبة فى ملايين من عجائب التكوين، أين كانت كامنة بما تملكها من ميزات؟ واين خصائص الذكورة او الأنوثة،

والوارثة ام ماذا؟^١.
(وان عليه النشأة الأخرى) (١٦:١٧)

النشأة الأخرى هي الإحياء مرة أخرى في الأخرى، وكما أحيانا في الأولى.. (ثم انشأناه خلقاً آخر) وهي النشأة الأولى، فتلك النشأة كهذه، ليست إلا عليه تعالى لا سواه، فإنه الإياب وعليه الحساب، وهو المالك يوم الدين لا سواه.

فتلك النشأة عليه واقعاً وفرضاً، واقعاً لانه الخالق المنشئ للمنشآت، لا خالق سواه، وفرضاً بما وعد (انا نحن نحى الموتى) وبما فرض وكتب هو علي نفسه من الرحمة عدلاً وفضلاً لا سواه: (كتب علي نفسه الرحمة ليجمعنكم الي يوم القيامة لا ريب فيه) (٦: ١٢) (ثم الله ينشئ النشأة الأخرى) (٢٩: ٢٠) كما وعليها من النشأة الأولى دليل علي إمكانيتها وفرضها (ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لاتذكرون) (٥٦: ٦٢) تذكر بواقعها، لاعلمنا بحقيقتها: (علي أن نبدل امثالكم وننشأكم فيما لاتعلمون) (٥٦: ٦١) فان الإنشاء ولاسيما في الأخرى، هو من ملكوت علم الله.

وتري إذا انحصرت النشأة - وهي مرة منها - في الآخرة والأولى، فاين اذاً النشأة الوسطى: الحياة البرزخية؟

اقول: إنها استمرارية للحياة الدنيا، فليس الموت إلا انفصال الروح ببدنها البرزخي عن هذا البدن، دون أن تنشأ هناك روح او يخلق بدن، ثم في الأخرى يخلق البدن مرة أخرى وتنشئ فيه الروح نفخاً، بعد أن أصبح البدن رفاتاً، واصبحت الروح في القيامة الأولى في صعقة كالموت، إلا من شاء الله: (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) (٣٩: ٦٨)

^١ . راجع ص ٣٦٤ من الفرقان الجزء الثلاثين.

(وانه هو اغنى واقنى)(١٧:١٧)

والإقناء هو الإرضاء بالقضية الكفاف، فهو الذى أغنى الأغنياء وأقنى الأقناء غنى المال والحال، حالاً فى الاولي او مآلاً فى الأخرى، كذلك وقناهما فيهما او أحدهما، مهما كان للإنسان محاولة فيهما، فهما لا تحصلان إلا بإرادة الله، فكم من غنى لا يحاول إلا قليلاً وكم من فقير هو فى محاولة دائبة إلا قليلاً، ولكى نعلم ان: ازمة الأمور كل بيده. والكل مستمدة من مددة، ولا يعنى ذلك ابطال المساعى، وانما بطلان استقلال الساعى.

ولاتعنى الآية انه تعالى أغنى كل فقير، او اقناهما (وانما الغنى الذى استغنى بالله، بمال او منال او حال، أو هو والفقير الذى رضى بما آتاه الله، من قليل او كثير، فغير الراضى منهما عما أوتى، أو الغنى بمكاسب السوء، لم يغنه الله رغم غناه، ولم يقنه لانه ماقنى.

أو يقال: إن الغنى كلها من الله، وان كانت من غير حل، اذ لم يمنع عن واقعها، مهما لم يرض بها، فلو أراد الله تعالى تكويناً تحقيق ما أرادته تشريعاً لأفقر من يبغى الغنى من غير حله.

وكما أن القنى كلها من الله، سواء الحقيقة منها كما فى المخلصين من عباد الله، أو النسبية كما فى كثير من الناس فقراء او أغنياء، إذ يقنون بما أوتوا، رغم آمالهم ومحاولاتهم فى الإستزادة، وان حالة القنى: الرضا بما عندنا، من مال او حال او منال، انها لمن أعظم النعم، كما و ان فقدان القنى، سخطاً خالصاً وياساً بائساً لارجاء فيه ولا أمل، انه من اكبر النقم، اللهم اغننا بغيرنا وأقننا بغيرنا فى الحال والمال بحق محمد وآل 3.

(وانه هو رب الشعري)(١٧:١٨)

تري لماذا اختصت الربوبية هنا بالشعري؟

ألأنها نجم أثقل من شمسنا بعشرين مرة ، ونورها خمسون ضعف نور الشمس، وهي أبعد عنا بمديون ضعف؟! و هناك أنجم أثقل وأضوء وابتعد منها عنا بملايين الأضعاف!.

الجواب: ان الآية لا توحى باختصاص، وإنما لأن الشعري كانت معروفة منذ القرون الأولى دون غيرها، وانها كانت معبودة لأقوام، كخزاعة وحمير، وكانت تُرصد كنجم ذي شأن، وان السورة بدأت بالنجم إذا هوي، لذلك يقول هنا (وانه هو رب الشعري) تنديداً بمن يعبدها ويرصدها، انتهاءً للجولة بما ابتداء فيها، رغم اختلافهما، ان ذلك نجم الرسالة والقرآن، وهذا نجم عُبدت من دون الله، فالنجم الأول رسول من الله ليزييف مكانة الثاني، تثبيتاً للربوبية المطلقة الإلهية، والشعري هذه هي اليمانية المضيئة المعبودة، لا الشامية.

(وأنه اهلك عاداً الأولى. و ثمود فما ابقي. وقوم نوح من قبل انهم كانوا اظلم

واطغى. والمؤتفكة أهوى. فغشاها ما غشى. فبأى آلاء ربك تتمارى).

جولة في مصارع أربعة من الغابرين، لتكون ذكري للحاضرين و من يتلوهم، فيكفوا عن مظالمهم، فكل غابر ذكري لكل حاضر تبشيراً وإنذاراً.

فعاد الاولي هم قوم هودX و ثمود هم قوم صالح، فما أبقي منهم باقية: (فهل تري لهم من باقية)(٦٩: ٨) . (وقوم نوح من قبل) عاد و ثمود (إنهم): قوم نوح (كانوا أظلم وأطغى) من عاد و ثمود ومن سواهم منذ وجد الإنسان إلي زمن نزول القرآن. إذ لايعرف تاريخ الرسالات قوماً يدعوهم نبيهم الف سنة إلا خمسين عاماً و هم بعد صامدون في كفرهم، عا مدون في ظلمهم، إلا قليلاً نجاهم الله مع نوح X بما نجي. (والمؤتفكة أهوى): الأقوام الفاعلة الإفك: الصارفة

الحق عن وجهه، الجاعلة اياه في هوات جارفة لكي يخيل إلي الجهال أنه باطل، الرافعة

أعلام الباطل بمظاهر الحق تمويهاً أنه الحق، فهم - إذاً - سائر الأقوام المكذبة بآيات الله، التي أهواها الله يوم الدنيا، إذ أسقطها في مهاوى ومساقط بمختلف العذاب، فلا تختص إذاً بقوم لوط، المؤتفكة المنقلبة قراهم، لأنها مفعولة الإفك (المؤتفكة) وذلك فاعلته (المؤتفكة) فأولاءهم الذين ائتفكوا وقلبوا الحق باطلاً، أي كانوا من كفار التاريخ من الذين أهواهم الله بعذابه يوم الدنيا قبل الآخرة: (وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات) (٩: ٧٠) (وجاء فرعون و من قبله والمؤتفكات بالخاطئة) (٩: ٦٩) فان القري المؤتفكة ليست بخاطئة!

وعلى المؤتفكة الفاعلة هنا تشمل المنفعلة أيضاً، من ديار الأفاكين الطاغين: ولأنه انفعال يجب كونه فعلاً، بما ان الإفك هو القلب والصرف، إن من الأفكين باطلاً، أو من الله حقاً جزاءً لهم وفاقاً، إذ أفك وقلب ديارهم فائتفكت، وأهواها الله تعالى فانجرفت، كما في ديار قوم لوط و عاد و ثمود و اضرابهم من السابقين واللاحقين، مثل البصرة علي حدّ تعبير أمير المؤمنين^X: (يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة..).

(فغشاها ما غشى) : (غشي) الله اياها (ما غشي) من عذاب الهاوية، فكا غشوا هم الحق، كذلك الله

^١ . . . با جند المرأة واتباع البهيمة، دعا فاجبتم وعقر فأنهزمتهم، فانكم زعاق واديانكم رقاق، وفيكم النفاق، لعنتم علي لسان سبعين نبياً، ان رسول الله³ اخبرني ان جبرئيل اخبره انه طوى له الأرض فراي البصرة اقرب الأرضين من الماء، وابعدها من السماء، وفيها تسعة اعشار الشر والداء العضال، المقيم فيها بذنوب، والجارح منها برحمة. وقد ائتفكت بأهلها مرتين وعلى الله الثالثة وتمام الثالثة في الرجعة (نهج البلاغة).

وفى الكافي عن علي بن ابراهيم باسناده الي ابي عبد الله^X في (المؤتفكة اهوي) قال: هم اهل البصرة، وهم المؤتفكة، والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات، قال: اولئك قوم لوط ائتفكت عليهم اي انقلبت عليهم، اقول و هذا من تفسير المصداق.

غشاهم بما غشوا جزاءً وفاقاً، وذلك من آلاء الله للمؤمنين علي الكافرين:

(فبأى آلاء ربك تتمارى)؟ فان كلاً من هذه الأنبياء

المذكورة هنا، وفي صحف ابراهيم وموسي، إنها من آلاء ربك: نِعَم الربوبية البالغة الشاملة، فمن ذا الذي يتماري فيها تشككاً وارتياباً.

والخطاب في (تتماري) عله لكل من يصح خطابه، تنديداً بمن يتماري منهم، وتسديداً لمن لا يتماري، او أنه خطاب للنبي³ بـ (اياك أعنى واسمعى يا جارة) أو استفهام تقرير له إذ يقر بآلاء الله كلها، ولكي يقرر لمن سواه، فانه نذير لمن مضى:

(هذا نذير من النذر الأولي) : هناك طوال تاريخ الرسالات نُذِر، من الأولي والوسطي والأخري، كتباً ورسلاً، وتري هذا النذير هل هو القرآن، او نبي القرآن، او هما علي البديل؟ مع العلم أن النذر غير الأولي من الأولي فيمن عليهم دار الوحي، وهم اولي العزم من الأنبياء.

علّ الأولي هنا لايعنى الأولي زمنياً، وانما الاولي مكانة، فكما أن محمداً هو أول العابدين: (قل إن كان للرحمان ولد فانا أول العابدين)(٤٣ : ٨١) كذلك هو من اولي النذر وأولاهم: اولي العزم الخمسة الذين هم مدار الرسالات كلها، كما القرآن النذير (لإحدي الكبر. نذيراً للبخير)(٧٤ : ٣٦).

فـ (هذا النبي الكريم، وبقرآنه العظيم (نذيرٌ من النذر الأولي) وهم الأولي تبشيراً و إنذاراً: الخمسة العظماء، إنه منهم في أصالة الإنذار، والرسالة الأصيلة العالمية، والشريعة المستقلة، فليس بدعاً من الرسل: (قل ما كنت بدعاً من الرسل)(٤٦ : ٩) إذ نُبيء كما نُبيئوا، وأرسل كما أرسلوا، ودعي إلي الله والصلوات كما دعوا، اللهم إلا أن فيه وفي قرآنه المبين، وتبياننه المتين، فيها زيادات خالقات، وميزات بارزات، تستحكم

فبها عرى النبوات وقواعء البشاراء والنذاراء؁ كأنه البشبر لاسواه : (وقل انى أنا النذبر المببب) (١٥ : ٨٩) (تبارك الذى نزل الفرقان على عبءه لىكون للعالمبب نذبراً) (٢٥ : ١) .

وقء فعنى الأولى فبما فعنى هنا كل من سوب مءمء من الرسل؁ فهم عباءه على الالبان به وإء آءء المبثاق من أنببائه (لببؤمنن به ولتنصرنه . .) فمءمء فى المبثاق الأول كان من النذر؁ ءون أن بكون بعءاً من الرسل؁ وفى المبثاق الثانى كان نذبراً ورسولاً للربل .^١ فهو أولى المنذربب وأولاهم زمنأاً - أم ماءا - فى النذر؁ ومكانة طوال الزمن؁ فهو رسول الزمن؁ وفى آءر الزمن؁ تمءء رسالته ونذارته إلى أن :

(ازفت الازفة. لبس لها من ءون الله كاشفة)

(وأنذرهم بوم الآزفة إء القلوب لءبى الءنابرب كاظمبب) (٤٠ : ١٨) .

^١ . فى ففسبر القمى باسناءه البى اببى؁ عبءالله X فى الآبة قال : ان الله تبارك وءعالى لما ذرأ الخلق فى النذر الاول اقامهم صفوفاً قءامه؁ وبعء الله مءمءاً³ ببء ءعاهم؁ فأمن به قوم وانكراه قوم؁ فقال الله عزوجل : (هءا نذبر من النذر الاولبى) بعبنى به مءمءاً³ ببء ءعاهم البى الله عزوجل فى النذر الاول؁ وروب ذبله فى بصائر الءرءاء عنه X .

. سءءء ففصبل البءء ءول النذر فى آبة النذر العام (واءا آءء ربك على نبى آءم من ظهورهم ذرببهم واشءهم على انفسهم البسب بربكم قالوا بلبى . . .) .

تفسحوا في المجالس

(يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) (١١:٥٨)

بما أن الدين ليس تكاليف حرفية جافة، ولكنه تحول في الشعور، واستجاشة لمكارم الأخلاق، وحساسية في الضمير، لذلك نرى الآيات تتري في تأديب الجماعة المسلمة بالمثل العليا، وتأييدها فيما ينافيها، في كل قولة وحركة وسكون.

والتفسح في المجالس هو التوسع فيها، وأحري المجالس بذلك مجالس النبي³، كما أنه أفضل القائلين: (تفسحوا - انشزوا)، وقد كان المسلمون يتضامون في مجالسه³ ركاماً، تنافساً علي القرب منه، وتجارصاً علي استماع كلامه، فإذا ورد وارد ضنوا بالتفسح له، فأمرهم رسول الله³ ألا يضيئوا، ويتفسحوا في المجالس ترحيباً وترغيباً للواردين، ولا سيما إذا كانوا أفضل منهم في الإيمان - هنا - (فافسحوا) وبأحري إذا كان الوافد أعلم، (فانشزوا): ارفعوا: قوموا وقدموهم علي أنفسكم في المكان كما هم أفضل منكم في المكان.

نزلت الآية يوم الجمعة ورسول الله³ جالس في الصفة وفي مكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فقدم جماعة منهم عليه³، فما فسح لهم في المكان، فأمرهم الرسول³ (فسحوا) وأمر بعضهم (فانشزوا): ارفعوا.

أجل وإن فسح المكان والمجال للأفضل والأعلم فرض من الله إكراماً للعلم والإيمان (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب).

فعلي المؤمنين انابهين أن يفسحوا أو

ينشزوا: يقوموا للأفضل منهم، وعلي القائد
المسئول عن تظيم الجماعة المسلمة، أن
يأمر الغافلين غير العارفين أن يتأدبوا
بهذا الأدب الرائع، ولكي يكون الجو دائماً
جو التفضيل للأفضل، فالتنافس في الفضائل،
وهذه الفسحة في المكان تتخطاهم الي فسحة
في النفس، ووسعة في الصدر، ورحبة في
القلب، فمتي رحب القلب اتسع وتسامح
واستقبل الجالس إخوانه بالحب والسماحة،
كما وأن النشوز عن المكان يتخطاه الي
النشوز والرفعة في المكانة.

(تفسحوا يفسح الله لكم): في الدنيا أن
يخرجكم عن ضيق الحياة و ضنك العيش، وفي
الآخرة ألا يضيق عليكم في الحساب، فيدخلكم
في فسيح جنته ووسيع رحمته.

إن ذيل الآية (يرفع الله الذين آمنوا والذين
أوتوا العلم درجات) يتجاوب تماماً وما
استوحيناه، أن واجب التوسع والنشوز هو
للقدام الأفضل في العلم أو الإيمان، مهما
كان راجحاً لغير الأفضل تأدباً، وكما فعله
الرسول الأقدس³ بالقدامين من أهل بدر¹، ولكن
هذا يعنى أنه يحق للقدام – ولو كان أفضل –
أن لا يقيم الجالسين فيجلس مكانهم، وكما عن
الرسول³: (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه
فيجلس فيه، ولكن تفسحوا أو توسعوا)²،

^١ . الدر المنثور ٦: ١٨٥ – نزلت الآية يوم الجمعة
وجلس رسول الله³ يومئذ في الصفة وفي مكان ضيق وكان
يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار. فجاء ناس من
أهل بدر وقد سبقوا الي المجلس، فقاموا حيال رسول
الله³ فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته، فرد النبي³ عليهم، ثم سلموا علي القوم
بعد ذلك فردوا عليهم، فقاموا علي أرجلهم ينتظرون
أن يوسع لهم فعرف النبي³ ما يحملهم علي القيام
فلم يفسح لهم فشق ذلك عليه فقال لمن حوله من
المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان
وأنت يا فلان، فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم
قيام من أهل بدر، فشق ذلك علي من اقيم من مجلسه
فتزلت الآية.

^٢ . الاحتجاج للطبرسي: روى عن الحسن العسكري X انه
اتصل بأبي الحسن علي بن محمد العسكري X ان رجلاً من

وإنما الأدب الاسلامي لبقادام أن يجلس بدون الشرف، كما كان من دأب الرسول³ والأئمة من آل الرسول³.

ثم ورفع درجات للذين آمنوا والذين أتوا العلم، ذلك حسب درجات العلم والإيمان - كما للجهال والذين كفروا دركات - درجات في الدنيا ودرجات في الآخرة، ومن درجات الدنيا فرض التفسح لهم في المجالس، والقيام لهم احتراماً وإجلالاً في مقامهم، ومنها اختصاصهم أو تقدمهم في مناجاة الرسول³ كما فرض في آيته، فالرفعة لهم شاملة للدارين وفي الناحيتين التصويرية والمعنوية، وعلي المؤمنين بالله التخلق بأخلاق الله في هكذا ترفيع.

←

فقهاء شيعته كعلم بعض النصاب فأفحمه بحجته حتى أبان عن فضيخته، فدخل علي علي بن محمد^X وفي صدر مجلسه دست عظيم منضوب وهو قاعد خارج الدست وبحضرته خلق من العلويين وبني هاشم، فما زال يرفعه حتى أجلسه في ذلك الدست وأقبل عليه، فاشتد ذلك علي أولئك الأشراف، فأما العلويون فعجلوه عن العتاب، وأما الهاشميون فقال له شيخهم: يا ابن رسول الله! هكذا تؤثر عامياً علي سادات بني هاشم من الطالبين والعاسيين؟ فقال^X: إياكم و أن تكونوا من الذين قال الله تعالى: (ألم تر الي الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون الي كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولي فريق منهم وهم معرضون)، أترضون بكتاب الله عزوجل حكماً؟ قالوا: بلي، قال: أليس الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم.. يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) فلم يرض للعالم المؤمن إلا أن يرفع علي المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلا أن يرفع علي من ليس بمؤمن، أخبروني عنه قال: (يرفع الله الذين آمنوا والذين أتوا العلم الدرجات)؟ أو قال: يرفع الله الذين أتوا شرف النسب درجات؟ أو ليس قال الله عزوجل: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟) فكيف تنكرون رفعي لهذا لما وفقه الله؟ إن كسر هذا فلان الناصب بحجج الله التي علمه إياها، لأفضل له من كل شرف في النسب.

^١ الكافي عن أبي عبدالله الصادق^X قال: كان رسول الله³ لما يدخل منزلاً قعد في أوفي المجلس اليه حين يدخل. وفيه عنه^X: من رضى بدون الشرف من المجلس لم يزل الله عزوجل وملائكته يصلون عليه حتى يقوم.

ثم ولا ريب أن للعالم الدين درجات علي العالم غير الدين، أو الدين غير العالم، وفيما إذا جمعاً في اثنين واختلفاً في الدرجات، فالفضل للعالم الأتقي، فـ (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وآية الاستواء (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) إنما تفضل العالم علي الجاهل، فتدقي أفضلية الأتقي بين العلماء - علي درجاتهم - ثابتة.

(والله بما تعملون خبير): هكذا تؤمرون بتفضيل الفضلاء في العلم والإيمان، ولكي تخلقوا جواً طاهراً يلتمس فيه هذا الأدب الرائع، والله خبير بأعمالكم، الموافقة لأوامره، والمخالفة سواء.

(أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (١٣٣:٢)

هنا في ذكر اسماعيل في عداد آباء يعقوب دليل السعة في لغة الأب فهي تختلف عن الوالد، فابوه آزر في آيات ليس والدّه، لاسيما وانه تبرء من آزر (فلما تبين أنه عدو لله تبرء منه) ثم نراه في أواخر عمره يدعو لوالديه (ربنا اغفر لي ولوالدي) إذا فوالده غير أبيه.

وإنه لمشهد عميق التدليل - في لحظات الموت - علي عمق عقيدة التوحيد بين آل إبراهيم، فيعقوب - وهو رأس الزاوية في بيت اسرائيل - لا يوصى عند احتضاره بمال، ولا يشغله بال، إلا ذلك الأمر الجلل فهو المبتدئ وهو المال، فهو - فقط - تركته وتركه آباءه، قضية كبرى لاتشغله عنها سكرات الموت، بل هي تشغله عما سواها.

(وما تعبدون من بعدى) إختبار حاسم تظهر فيه مدي الدعوة التوحيدية لهم طول حياته الرسالية، يتلوه جواب حاسم (نعبد إلهك

و...). أن إلهنا جميعاً إله واحد، خلاف المشركين الذين لكل إله أو آلهة، ثم (ونحن له مسلمون) لافقط مقرون وإنما إسلام له قلباً وقالباً.

(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ)(١٣٤)

(تلك أمة) موحدة مسلمة (قد خلت) فخلف من بعدها خلف أضاعوا ملتها الوحيدة الموحدة المسلمة، وتخلفت عن شرعة الله المرسومة بينها، ف (لها ما كسبت) من خير (ولكم) الخلف المتخلف (ما كسبتم) - (ولا تُسألون) أنتم (عما كانوا يعملون) كما وهم لايسألون عما كنتم تعملون، كما (ولكم) المسلمين (ما كسبتم...). أمم ثلاث لكل ما كسبت وعليها ما اكتسبت. وليست الأمة في ميزان الله هي أمة الجنس والإقليم والعنصر والتراب والدم، فإنها موازين لحيونة الأمم، أم وإنسانيتها المنفصلة عن شرعة الله، وإنما هي جماعة ذات قصد واحد: خيراً أو شراً، مهما اختلفت أجناسهم وأواصر الأنساب والقرايات فيما بينهم.

أجل - إنها أمة دينية وليست أمة طينية، وعلي هذا القياس فالكتلة الموحدة من آل إبراهيم (أمة قد خلت لها ما كسبت) ثم الكتلة الكافرة من آل إبراهيم (ولكم ما كسبتم) وكذلك المسلمون، من آمن منهم حق الإيمان و من لم يؤمن، فد كل حساب حسب الصالحات والطالحات، دونما فوضي جزاف بحساب القوميات والعنصريات أم سائر الصلوات غير الروحية.

(وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ)(١٣٥)

قالت اليهود: (كونوا هوداً .. تهتدوا)

وقالت النصراري: (كونوا.. نصاري تهتدوا)^١ فكلُّ يتمسك بطائفية خاوية عن (ملة إبراهيم حنيفاً) فمجرد كونك من أولاء أم هؤلاء يكفيك هدياً! (قل) لا هذا ولا ذاك (بل ملة إبراهيم حنيفاً) لا نسل إبراهيم كإبراهيم - إسرائيل وسواها - وإنما (ملة إبراهيم حنيفاً و ما كان من المشركين) هذه هي الهدي دون سواها، أياً كنت في أصلك ونسلك، في وصلك وفصلك، وقد يروي عن رسول الهدي³ قوله: بعثت بالحنيفة المسحة^٢، وتري الحنافة لمّا تكفى هدياً لأنها الإعراض عما يخالف الحق، ويقابله الجَنَف، فلماذا - إذاً - (وما كان من المشركين)؟.

عنه لأنهم تمسكوا بظاهر الحنيفية وانتساب إلي إبراهيم الحنيف، فلكي يسد عليهم كل ثغرات الجَنَف تحريفاً لمعني الحَنَف يصرح (وما كان من المشركين) وقسم من اليهود والنصارى مشركون.

ولقد وصف (حنيفاً) وصف إيضاح ب (مسلماً) في أخرى: (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) (٣: ٦٧) مما يلمح أنهم كانوا يتذرعون بصيغة (حنيفاً) لإلصاق أنفسهم إلي إبراهيم، وكان (حنيفاً) لقب يلقب به نسل إبراهيم أياً كانوا، فجاء (مسلماً - وما كان من المشركين) كإيضاح يخيب آمال المشركين الحنفاء! الحنفاء!

فلان الملة الإبراهيمية هي الناصعة بين الغابرين في خالص التوحيد، المعروفة لدي

١ . الدر المنثور ١ : ١٤٠ عن ابن عباس قال قال عبد الله بن سوريا الأ عور للنبي (صلي الله عليه وآله وسلم): ما الهدي إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتدي، وقالت النصراري مثل ذلك فأنزل الله فيهم...
 الدر المنثور ١ : ١٤٠ - أخرج أحمد عن أبي أمامة قال قال رسول الله 3 :...، وفيه عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله 3 أي الأديان أحب إلي الله؟ قال: الحنيفية المسحة، وعن سعد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال قال رسول الله 3: أحب الدين إلي الله.

الخواص والعوام، لذلك فليعلن بملته الوحيدة الكبرى بين أهل الملل الثلاث وسواهم من الموحدين - رفضاً لكل الفواصل المختلقة - من لدن إبراهيم إلي موسى والمسيح وإلي خاتم النبيين 3: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (١٣٦)

(قولوا) أياً كنتم من الملل، سلسلة موصولة متواصلة من ملل كتابية (آمنا بالله) كأصل هو رأس زوايا الإيمان، ومن ثم فروع: (وما أنزل إلينا) ككل الكتابيين، (وما أنزل إلينا) كمسلمين، والإيمان بكتابات السماء ذريعة للإيمان بالقرآن وكما يروي عن النبي 3: (آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل وليسعكم القرآن)^١.

أم و (قولوا) أيها المسلمون (آمناً بالله وما أنزل إلينا): القرآن - لا فحسب بل (وما أنزل إلي إبراهيم... وما أوتي النبيون) قبل إبراهيم وبعده ككل. وترانا كيف نؤمن بعدما أنزل إلينا - وهو ناسخ - بما أنزل إلي سائر النبيين وهي منسوخة؟

إنه إيمان تصديق بكل ما أنزل الله أنه من الله، ثم وإيمان تطبيق لكل في زمنه، فتطبيق لشرعة القرآن الناسخة للبعض من سائر الشرائع، وهو تصديق لها إذ تبشر بالقرآن، ثم ومحور الإيمان هو الإيمان بالله وبرسالته واليوم الآخر، الأصول الأساسية لكل إيمان، (لانفراق بين أحد من رسله) في هذه الأصول، ولا سيما رأس الزاوية وهو توحيد الله (ونحن) ككل (ونحن) المسلمين (له) لا لسواه (مسلمون).

^١ . الدر المنثور ١ : ١٤٠ - أخرج ابن أبي حاتم عن معقل بن يسار قال قال رسول الله 3...

كما و (لانفرق بين أحد منهم) في ضابطة الإيمان، أن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، فلا تفرق هنا أو هناك، وذلك كلمة الإيمان الجاسم الحاسم (لانفرق بين أحد من رسله) حيث (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله...) (٢: ٢٨٥)

هذه هي قضية الإيمان المجرد عن إنحيازات طائفية أم قبلية أما هي من امتيازات جاهلة قاحلة لادور لها في حقل الإيمان الصالح.

وتري لماذا اختلاف التعبير لمنازل الوحي ب (ما أنزل) أولاً و (ما أوتى) ثانياً، وهذا أعم من الوحي كما (ولقد آتينا لقمان الحكمة) (٣: ١٢) والوحي النازل الي موسى وعيسى أعلي نازلاً من نازل من النازل الي إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأبساط!

علته لأن أصل الوحي هو النازل علي إبراهيم، ثم تبعاً له ولمن تبعه، ومن ثم أوتى موسى وعيسى والنبيون نفس الوحي مهما اختلف وحي عن وحي في درجات وبعض الطقوس، وذلك معاكسة لما كان يزعمه اليهود والنصاري أنهم الأصل في الوحي.

وكما أن (أنزل) أعم من الإتياء والإعطاء، كذلك (أوتى) أعم من الوحي وسواه، فهذان التعبيران لسلسلة الرسائل الجامعة للوحي - علها - للتدليل علي أن النازل إلي

المرسلين ليس عطية لهم فهم مالكوها، بل هو إتياء كإمانة ووديعة مرجوعة بعد تطبيقها، فتلك الوحدة الكبرى بين الرسل والرسالات في أصول الدعايات والإتجاهات، هي القاعدة المتينة الرصينة للتصور الإيمانى المسلم السليم، السائرة في كل الدروب علي هدي ونور، التي تجمع كل الشعوب - بلا تمييز - علي درب الإسلام التام و السلام العام، مفتوحاً للناس جميعاً وكل العالمين في مودة ووئام، ذلك هو الإيمان الإسلام السليم أياً كان وأيان ومن أى كان:

(فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (١٣٧)

(آمنوا بمثل... ..) دون (آمنوا بما آمنتم به) تنازل في درجات الإيمان، فإنهم لم يكونوا مؤمنين بمثل ذلك الإيمان المجرد عن حسابات دخيلة فيه، فكيف يُدعون إلي نفس ذلك الإيمان المجرد، ولا تناسب سليم الدعوة والدعاية. فليؤمنوا أولاً (بمثل ما آمنتم به) إيماناً بكل ما أنزله الله علي رسله دون تمييز، ثم وذلك الإيمان المجرد بجرهم بطبيعة الحال إلي اللأيمان، أم هو أنحس - أحياناً - من الكفر المطلق!

إذاً (فسيكفيكم الله) بعدما أديت واجب الدعاء وبالغ الدعوة، فالله هو الكافي لاسواه، فلا ترجوا في سدّ ثغراتهم إلاّ إيّاه (وهو السميع) لحواركم حول الدين، و(السميع) لدعاءك وسؤالك حفاظاً علي الدين (العليم) بما يصلحك ويصلح هذا الدين، ف (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم) (٥: ١٠٥) وكل ما في البين حقاً ولا حول عنه هو: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) (١٣٨)

آية فريدة في صبغة التعبير، عرضاً جامعاً لما يتوجب الإلتزام به علي كل العالمين، فما هي (صبغة الله) حتي نصطبغ بها و نلتزمها؟ وليست لله صبغة يمكن الإصطباغ بها، ولا آية صبغة!

(صبغة الله) هي من إضافة الفعل الي فاعله، كخلق الخلق وروح الله واخلاق الله و شرعة الله وأم أي فعل لله، وهي كفطرت الله أدبياً ومعنوياً مهما كانت اعم منزهة ومن سائر الصبغة، تكوينية وتشريعية، فهي مفعول مطلق نوعي تعني صبغاً خاصاً إلهياً لقبيل الإنسان وسائر المكلفين، مما للإنسان في أصله خيار كمتابعة الفطرة والعقل والشرعة الإلهية، أم ليس له خيار كأصل الفطرة، أمّا يقدم سببه كتطبيق ماله

خيار ثم الله يهديه كما اهتدي.
وإضافة الفعل إلي فاعله كما هنا تقدّر
(من) النشوية، أي: صبغة ناشئة من الله كسائر
خلق الله.

فليست من إضافة الصفة الي موصوفه تقديرًا
ل (في) ان تكون هذه الصبغة في الله كسائر
صفاته الذاتية، ام (ل) حيث تعم ما تعنيه (من)
- و - (في).

ففي ذلك المثلث من تقادير الجار المحذوف
لاتصلح هنا إلا (من) اذ ليست لذات الله صبغة
وحتي المعنوية، حيث الصبغة حالة خاصة من
الصَّبِغ وليست له تعالي حالة دون أخرى إذ لا
حد لذاته وصفاته حتي تصبغ بصبغة! وإنما
المعنى منها ما صبغ به خلقه.

ولقد صبغ الله الناس كلهم بصبغة الفطرة، ثم
العقلية التي تنبناها، ثم شرعة من الدين
الهادية لهما، الشارحة لأحكامهما، الشارعة
سبيلهما الي الخير المُرام، ولقد اختصرت
في: (آمنا بالله وما أنزل الينا و..) ولها -
ككل - حصيلة مزيد الهدي والتقوي: (الذين
اهتدوا زادهم هدي و آتاهم تقواهم) (٤٧: ١٧)
ثم وهي (الإسلام)^١ و(الولاية في الميثاق)^٢:
إسلاماً لله ورسله وكتبه، وولاية توحيدية
ورسالية أماهيم من ولايات إسلامية، كل علي
درجاته.

وقد تتعلق (صبغة الله) بكل من (اسلمت لرب
العالمين) - (اصطفى لكم الدين) - (نعبد
إلهك..) - (بل ملة إبراهيم) - (آمنا بالله...)
(آمنوا بمثل ما آمنتم) والكل راجع إلي
الإسلام والولاية في الميثاق في ذلك المثلث
البارع الذي هو كيان الإنسان كإنسان: (فطرت

^١ . تفسير البرهان ١ : ١٥٧ يروي تفسير (صبغة الله)
بالاسلام عن عبدالله بن سنان وحمزان ومحمد بن مسلم
وأبان وعبدالرحمن بن كثير كلهم عن ابي عبدالله X قال
(الصبغة هي الإسلام).

^٢ . المصدر عن الكافي عن ابي عبدالله X في الآية قال:
صبغ المؤمن بالولاية في الميثاق.

الله - العقل - شرعة الله)! .
صبغة صبغة سابقة علي كل صبغة لأنها (صبغة
الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) كما
صبغنا - في مثلث الفطرة والعقلية والشرعة
- بعبادته السليمة عن كل إشراف ودون أي
عراق.

ويا له من تعبير منقطع النظير، يتصبغ
أولاً ب (صبغة الله) أمراً إلزامياً من الله، بمواصفة
غالية تجعلها في أعلم قمم الحسن والجمال،
وثانياً بإقرار المصبوغين بها (ونحن)
المسلمون المحمديون (له) لا لسواه (عابدون) لا
نعبد إلا إياه، كحصيلة بارزة لصبغة الله.
فحذار حذار في دين الله وشرعته عن كل صبغة
غير إلهية في قال أو حال أو فعال علي أية
حال، في تكوين أو تشريع أم أية صبغة
ربانية.

وكما الصبغة المادية تظهر علي المصبوغ
كأولي المظاهر، كذلك الصبغة الروحية من
طبعها الظهور في كافة المظاهر الحيوية
الإنسانية، وقد سميت بصبغة الله عناية بتلك
الظاهرة في مظاهر الأقوال والأفعال، كما هي
في كامنات العقائد والأحوال، فكل إناء بما
فيه يرشح، فالفطرة - وهي أعرق أعماق
الإنسان - لما تصبغ بصبغة الله، فلتصبق - علي
آثارها - النفس بكل جنودها ومراحلها
الخيرية: عقلاً وصدراً ولباً وقلباً وفوآداً، ومن
ثم في كافة الحواس ومظاهرها في
كافة الحقول، والقلب الفوآد هو المحور
الأصيل كإمام الأئمة في مملكة النفس
الإنسانية، حيث (القلوب أئمة العقول والعقول
أئمة الأفكار والأفكار أئمة الحواس أئمة
الأعضاء).

وكل صبغة دون صبغة الله هي صبغة ابليسية
مهما اختلفت دركاتها، كما والصبغة الإلهية
- في حقل التكوين والتشريع والتكليف،
والواقع الحاصل بينها - درجات.
أجل (صبغة الله) لا الصبغة اليهودية

والذصرانية^١ أمأهيه من المختلفات الزور والغرور التي هي من صبغ الغرور (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)!

وكما أن (فطرت الله) آية يتيمة، كذلك (صبغة الله) وهي أعم منها وأتم وأطم حيث تعم كل صبغة ربانية تكويدية او تشريعية، ما بالإمكان الإلتزام له أو تحصيله حتي يصبح صاحبها من أهل الله وخاصته وخيرته وحزبه، اللهم اجعلنا منهم بحقهم.

(قُلْ أَتَحَاجُّونَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ

مُخْلِصُونَ)(٢:١٣٩).

فلماذا الحاجة في الله: في ذاته وصفاته وأفعاله، في وحيه وآياته، لماذا الحاجة فيه بين من يرببه دون نكير حسب الأصل الكتابي وصبغة الله، ثم (ولنا أعمالنا) دونكم (ولكم أعمالكم) دوننا كما (ونحن له مخلصون) دونكم؟

إن الحاجة في الدين هي حصيلة أحد أمرين: الإختلاف فيمن يُعبد (وهو ربنا وربكم) او الإختلاف في: أى الأعمال أصلح وأقرب الي الرب.

املاء ابتلاء للكافرين المعاندين

(إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(٢:١٧٧)

وهذا يشمل كل دركات الكفر، فطرية ملية أمأهيه، كما الإيمان هنا يشمل الإيمان الفطري والملى، حاضر الإيمان بمراتبه، وغائب الإيمان بحاضر براهينه أفاقياً وانفسياً، إنهم ككل (لن يضرُوا الله شيئاً) ضراً

^١ . الدر المنثور ١ : ١٤١ عن قتادة قال: ان اليهود تصبغ أبناءها يهود وان الذصاري تصبغ أبناءها نصاري ولدى صبغة الله الاسلام ولا صبغة احسن من صبغة الله الاسلام ولا أظهر وهو دين الله الذي بعث به نوحاً ومن كان بعده من الأنبياء.

بالشارع أو شرعته أو حامل شرعته رسولياً أو رسالياً، اللهم إلا الذين فى قلوبهم مرض (ولهم عذاب أليم).

هنا أليم لاشتماله كل دركات الكفر، وهناك عظيم لأنه أسفل دركات الكفر لمكان المسارعة فى الكفر، فمشتري الكفر بالإيمان قد يسارع فى الكفر وقد لا يسارع وإنما يصارع فى ميادين الكفر والإيمان فيُصرع تقصيراً من عند نفسه فلهم عذاب أليم، ولأولئك عذاب عظيم.

ومن العذاب الأليم العظيم للذين يسارعون فى الكفر، أو يشترون الكفر بالإيمان بلية الإملاء التى يحسبها الجاهل خيراً:

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا

وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (١٧٨)

هنا (الذين كفروا) هم المسارعون فى الكفر، الذين (سواءً عليهم أن نذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) ولا يعنى (الذين كفروا) ككل، إذ قد يؤمن البعض بالإملاء بطول النظر والعبر، الذين كفروا لشبهة دون عناد، أم عناد غير عريق، أم عريق غير غريق، ف (إنما نملي لهم ليزدادوا) بيان لواقع المستقبل للمسارعين فى الكفر المصارعين الإيمان وأهله على علم وعمد.

فالذين كفروا - ومعهم بسطاء الإيمان القاحل - يحسبون أنما نملي لهم فى نفس ونفيس خيراً لأنفسهم فيخيّل إليهم أن لو كان الإيمان حقاً لما أملي الله للكافرين.

كلا! بل (وأملي لهم إن كيدى متين) (٧) : ١٨٢ و ٦٨ : ٤٥) والإملاء له طرفان، ربانى ابتلاءً وامتهاً فى امتحان بكيد متين، وشيطانى حيث (الشيطان سول لهم وأملي لهم) (٤٧ : ٢٥) : (ولقد استهزيء برسول من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) (١٣ : ٣٢) - (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود. وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذبت موسى فأمليت

للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير) (٢٢: ٤٤) (وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير) (٤٨).

والإملاء هو الإمداد ومنه قيل للمدة الطويلة ملاوة من الدهر وملئ من الدهر، فالإملاء هو الإمهال مدة وعدة، إمداداً بأموال وبنين، ف (الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) (٢: ١٥) (أيحسبون أنما نمدهم به من أموال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون) (٢٣: ٥٦).

أجل، إنه ليس الإملاء الإمداد من الله للذين كفروا خيراً لأنفسهم بل هو شر ف (إنما نمدي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين) ثم وشرعة الله وعباده الصامدون مأمونون عن إملاء الكافرين، وهو لهم امتحان ليزدادوا إيماناً بجهدهم المتواصل، ولأولاء إمتهان ليزدادوا إثماً.

وثالوث العذاب العظيم الأليم المهين متوارد علي المسارعين في الكفر، المنهمكين في وسائل ترّفهم، المهملين في كل طرّفهم. وهذا أنسب ختام بعد عرض الحرب وانهزام المسلمين، فإن هناك شبهة كاذبة مريبة تحيك في صدور ضيقة أمام المعارك الناشبة بين الحق والباطل، حين يعود منها الباطل منتصراً ذا جولة وصول: لماذا يا رب يصاب الحق بما يصيب الباطل أهل الحق، وهذه فتنة تهز القلوب، وكما حصلت في هزيمة أحد (أنى هذا)؟

ففي هذا المطلع الختامي يأتي حاسم الجواب الصواب بعد سائر الجواب الصواب، ان ذهاب الباطل ناجياً عن المعركة وبقاءه متفشاً في فترة قليلة او طويلة، إنه لايعنى أن الله يمدى الباطل ويمهله باهمال الحق، وأنه يوافقه او ناسيه، متروكاً للباطل يغتاله ويُرديءه، فإنما هي حكمة وتدبير، إملاءً للباطل ليمشى ويمضى الي نهاية المطاف، وليرتكب ابشع الآثام ويرتبك فيها

فينال العذاب المهين، ويصمد اهل الحق وجاه الباطل فينالوا الثواب العظيم. إنما يريد الله استنفاد رصيد الباطل في هذه المعارك لينال خالص العذاب، وتبلور رصيد الحق لينال خالص الثواب فان الدار دار الإمتحان لأهل الحق، والإمتهان لأهل الباطل في جو ذلك الإمتحان.

فلا تعنى (ليزدادوا) ما تعنيه (ليعبدون) في (ما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون) حتي تتعارض، فالعناية الأولى تكوينة عقوبة علي أهلها الكافرين، والثانية تشريعية مغبة العبادة من المؤمنين. فالغاية القصوي من خلق الجن والأنس هي العبادة، كآية محكمة تفسر الغاية الجانبية في (ليزدادوا).

ثم قد تكون الغاية معنية كما العبادة غاية للخلق، وأخري غير معنية ولكنها واقعية كازدياد الإثم في إملاء الذين كفروا، فإنها غير معنية لله، وإنما هي واقعية لم يحجب الله عنها تكوينا كما في (ليكون لهم عدواً وحرزاً) ولم تكن هذه الغالية معنية لآل فرعون، بل هي واقعية.

فإنما التعمير يعنى في عناية شرعية التذكير (او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) (٣٥: ٣٧) فقد انعم الله عليهم ليشكروه واحسن اليهم ليطيعوه، فتمادوا وتتابعوا في ضلالهم فتركهم وما افتعلوا، وخلي بينهم بين ما اختاروا، فلم يمنعهم من ذلك اجباراً، ولم يحل بينهم وبينه اقتساراً، فسمى ذلك التترك املاءً، فكما أجهلهم الله في المضمار وأجرهم طول الإنفطار يعاجلهم بمستحق العقاب تمادوا غياً، وازدادوا إثماً.

ذلك، وحتى اذا كانت زيادة الاثم معنية في التعمير، فهي عناية تكوينة لاتشريعية، والعناية التكوينية الربانية تحلق علي كافة الحوادث خيرة وشريرة دون تناحر مع

صالح الاختيار والتكليف. لذلك تري ان الله قد ينسب فعلة الشيطان الي نفسه، تدليلاً علي انه تعالى غير مذعزل ولا معتزل عما يفعله العباد مهما كان لهم اختيار في تكليفية الأفعال. وهكذا توجه ارادة الله لزيادة الاثم كفاية معنية من إملاء الكافرين، أنها غاية واقعية هي لهم مختارة، عقوبة عليهم بإثمهم فيزدادوا اثمًا، (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم).

وتري اذا كان املاء الكافر وامهاله شراً له فموته خير، فهل ان المؤمن كما الكافر موته خير مهما كانت حياته أيضاً خيراً؟ نعم موته خير حين يزداد بإملاءه شراً، وحياته خير حين يزداد خيراً، والرواية القائلة بان موته خير مؤولة علي الحالة السائرة بين المؤمنين أنهم - في الأكثر - لا يزدادون باملاءهم إيماناً، بل اثمًا، وعلي حد المروى عن سيد الساجدين (عليه السلام) (اللهم إن كان عمري بذلة في طاعتك فعمّرني وإن كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل ان يسبقني مقتك وغضبك).

(ما كان الله ليذّر المؤمنين على ما أئتمّ عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسوله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) (١٧٩)

(ما كان) من شأن الله (ليذّر المؤمنين)

١ . نورالثقلين ١ : ٤١٣ في تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليهما السلام) قال قلت له: أخبرني عن الكافر الموت خير له ام الحياة؟ فقال: الموت خير للمؤمن والكافر؛ قلت: ولم؟ قال: لان الله يقول: (وما عند الله خير للابرار) و يقول (ولاتحسبن الذين كفروا...).

اقول: صحيح ان (ما عند الله خير للابرار) ولكن الحياة الايمانية الموفقة لصالح الايمان وتقدمه تزيد خيراً فيما عند الله، فالتأويل الصالح ما ذكرناه في المتن.

الصالحين الواقعيين (علي ما أنتم) المتظاهرين بالإيمان (عليه) أن يدع صف الإيمان مختلطاً دون تمييز حيث يتواري المنافقون وضعفاء الإيمان فيه وراء دعوي الإيمان ومظهرة، فالدور الإيماني العظيم يقتضى الصفاء والتجرد والوفاء والتميز والتماسك والتحيز، فلا يكون في صف الإيمان خلل ولا في بنائه بلبناته دخل.

ما كان ليدرهم حتي يميز الخبيث من الطيب: (وتلك الأيام نداوها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا منكم ويتخذ منكم شهداء.. وليلمح الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (١٤٢: ١٤).

فالعلم هنا هو المميز هناك يعزيان ميز الخبيث من الطيب أن يعلم كلاً بعلامته، فيظهر الصف ليخرج منه الخبيث، وان يضغط لتتهاوي اللبنة المتهاوية، وان تسلط عليه الأضواء لتكشف الدخائل والضمائر: (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعرضه علي بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون) (٨: ٣٧)

وان لميز الخبيث عن الطيب أدواراً متدرجة حتي يصل الدور الي ميز مطلق مطبق زمن القائم المهدي (عليه السلام)، و (لا تمضي الأيام والليالي حتي ينادى مناد من السماء يا أهل الباطل إعتزلوا فيُعزل هؤلاء من هؤلاء ويُعزل هؤلاء من هؤلاء..).

وإن لزمان الغيبة دوراً عالياً لذلك المبين حتي تبين أهل الحق عن أهل الباطل فيحكم الحق صالحى أهله دون خلط ولا خبط فـ

١ . نورالثقلين ١ : ٤١٤ في تفسير العياشي عن عجلان بن صالح قال سمعت ابا عبدالله X يقول: ... قال : قلت أصلحك الله يخالط هؤلاء هؤلاء بعد ذلك النداء؟ قال: كلا انه يقول في الكتاب: (ما كان الله ليذر المؤمنين علي ما انتم عليه حتي يميز الخبيث من الطيب).

(لتغربلن غربلة ولتبلبلن بلبلة حتي يعود
اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم).
ذلك (وما كان الله ليطلعكم علي الغيب)
المختص بربوبيته او بوحيه (ولكن يجتبي من
رساله من يشاء) أن يُطلع علي غيب وحيه قضية
رسالته (فآمنوا بالله) عالم الغيب طليقاً
(ورسله) عالمي غيب الوحي حقيقاً (وان تؤمنوا)
بالله ورسله (وتتقوا) الله حق تقاته ما استطعتم
(فلکم أجر عظيم).

وهنا تناسب سلبية الإطلاع علي الغيب ميز
الخبث من الطيب، فليس كما الله يعلم الخبيث
من الطيب بالغيب، ان يُطلعكم علي هذا الغيب
كما لا يطلعكم علي سائر الغيب (ولكن يجتبي من
رساله من يشاء) فيوحي إليه بشطر الغيب من
وحي الأحكام وميز الخبيث من الطيب، أحياناً
بما يطلعهم الله عليها، وأخري بما يوحي إليهم
بسرّ البليات ومنه (ليميز الله الخبيث من
الطيب)، فذلك من الغيب المستور، كيف ينهزم
المؤمنون - أحياناً - وجاه الكافرين، وهم
معودون بالذصر؟ فيوحي إلي رسله ما يكشف
الستار عن هذا الغيب (ليميز الله الخبيث من
الطيب..).

ذلك، إضافة إلي أن الميز بالإمتحان أميز
من الميز بالاطلاع دون امتحان، فقد يتبلور
الإيمان في خضمّ الإمتحان كما يتعور أخري
فيمن يدعيه خاوياً، فيعلم غيب سرّ الهزيمة
بذلك الوحي، ثم يعلم غيب الإيمان واللا
إيمان بذلك الإبتلاء، فعند الإمتحان يكرم
المرء أو يهان.

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ
سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ) (١٨٠)

كما أن إملاء الذين كفروا شرّ لهم، في
أموالهم وأحوالهم، كذلك إملاء البخلاء في
أموالهم، فرغم أنهم يحسبون بخدّهم بما

آتاهم الله من فضله خيراً لهم، إذ لا ينقص من أموالهم، فتصبح ركماً من المال، (بل هو شرٌّ لهم) هنا حيث يحرض عليهم المحاويج فيقضون عليهم يوماً مماً، ويعيشونه أعداءً طول حياتهم، ثم هو شرٌ لهم في الأخرى حيث (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) طوق النار كما طوقوا أنفسهم بها في الأولى بخلاً عن إنفاقها في سبيل الله (ولله) لا سواه (ميراث السماوات والأرض) بعد تقضى الحياة الدنيا، فلماذا - إذا - البخل بما آتاهم الله من فضله؟ فلو كانت هذه الأموال حصيلة مساعيهم - فقط - دون فضل من الله، لكان أنفاقها مفروضاً بأمر الله، فضلاً عن أنها - كواقع لامرئ له - من فضل الله، كما أن طاقاتهم ومساعيهم أيضاً من فضل الله خالصاً بالمال، بل إن فضل المال كما (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك كبيراً) تجعله الفضل الأفضل الكبير، ثم البخل به، المعنى بالتهديد هنا، هو بخل بواجب الإتياء والعطاء، مقدرًا بأقدار الحاجات فردية وجماعية، فلا يختص ماله بالزكاة المصطلحة، اللهم إلا إذا عني بالزكاة طليق واجب الإنفاق من مال أو حال، وقيلة القائل (سيطوقون ما بخلوا به) دليل

١ . الدر المنثور ٢ : ١٠٥ - أخرج البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله 3: من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاع اقرع له زيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بهزمتيه يعنى شذقه فيقول انا مالك انا كنزك تم تلا هذه الآية . وفيه اخرج ابن ابي شيبة فى مسنده وابن جرير عن حجر بن بيات عن النبي 3 قال: ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله من فضل ما اعطاه الله اياه فيدخل عليه الا خرج له يوم القيامة من جهنم شجاع تتلمظ حتى يطوقه ثم قرأ هذه الآية . وفى نورالثقلين ١ : ٤١٤ فى الكافى بسند متصل عن محمد بن مسلم قال سألت ابا عبدالله X عن قول الله عزوجل (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) فقال: يا محمد ما من احد منع من زكاة ماله شيئاً الا جعل الله عزوجل ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً فى عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب ثم قال هو قول الله عزوجل (سيطوقون..). يعنى ما بخلوا به من الزكاة .

علي اختصاصه بالمال حيث العلم لا يطوق به ، مردودة بان طوق العلم المتخلف أطوق من متخلف المال، مهما اختلف طوق عن طوق، او تخلف طوق العلم عن طوق علم القليل، حيث الأعمال الشريفة كلها أطواق: (وكل انسان الزمناه طائره فى عذقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) (١٧: ١٣) ، وقد يروي عن رسول الله الهدي 3 (من سئل عن علمه فكتمه أجمه الله بلجام من النار يوم القيامة).

وهنا تجاوب عام بين آية الطوق و سائر آيات الإنفاقات المفروضة، و آخر خاص بينها وبين آية الكنز: (الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم. يوم يحمي عليها فى نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (٩: ٣٥).

ومن الملاحم الغيبة فى آية الطوق هى حشر عوامل الشر كما يحشر العالم بعلمه، فهناك مثلث من الحشر تحضيراً حذيراً لثالوث الشرير (والله بما تعملون خبير) لايعزب عنه مثقال ذرة . وانما (هو خيراً) لا (هو خيراً) حيث (هو) ضمير فصل عن المفعول المحذوف المعروف من (يبخلون بما آتاهم الله من فضله) فلا يحسبته خيراً^١ .

ورداً علي زعم ان الله فقير، وإلا فلماذا يأمر بالإنفاق وله أن ينفق إذا يشاء؟ يقول: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ

الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (١٨١)

هؤلاء الأغبياء (الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) هم اليهود وكما قالوا (يد الله

^١ . فلان للمبتدء حقيقة وللخير حقيقة وكون المبتدء موصوفاً بحقيقة الخير امر زائد على حقيقة المبتدء وحقيقة الخير فلا بد من صيغة ثالثة دالة على هذه الموصوفية وهى هنا (هو)، والبصريون يسمون (هو) هذه فصلاً والكوفيون عماداً والثاني أحسن اعتماداً فالعماد هنا عماد الفعل لوقوعه عليه فهو مفعول.

مغلولة) حيث حسبوا انفسهم أغنياء في ذوات
 أنفسهم وأغنياء عن الله، فلا حاجة لهم إلي
 جزائه ولا إلي أضعاف مضاعفة يعدها الله لمن
 ينفق في سبيله، ولقد قالوا بكل قِحةٍ
 مقالتهم هذه وأنه: ما بال الله يطلب إلينا أن
 نقرضه من أموالنا فيضاعفه لنا وهو رباً شدد
 الذهي عندها والنكير عليها؟!^١ حاسبين بسوء
 تصورهم ان الله بحاجة الي ما آتاهم من فضله،
 رأوا اولياء الله فقراء فقالوا: (لو كان غنياً
 لأغني أولياءه ففخروا علي الله بالغني)^٢، ورأوا
 أن أفضلهم وهو محمد³ قد يستقرضهم وسواهم
 لسد جوعته، فقد تقولوا قيلات وتفعلوا
 افتدعالات لانجدها بين سائر الأقسام حتي
 المشركين رغم أنهم أولاء أهل كتاب.
 (سكتب ما قالوا) نسخة طبق الأصل عما
 قالوا (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) و
 (سكتب قتلهم الأنبياء بغير حق)، وتري هذه
 الكتابة إن كانت هي ذلك الاستنساخ فلماذا
 (سكتب) مستقبلاً عن نزول هذه الآية وبينها
 وبينهم أمة من الزمن؟

القصد من الكتابة هنا هو واقعها العذاب
 بعد واقع الكتاب، وكما تلمح له (ونقول
 ذوقوا عذاب الحريق) فان هذا القول لا دور
 لواقعه إلا بعد الموت حيث هو بداية العذاب.
 فكتابة قولتهم هذه وقتلهم الأنبياء بغير
 حق هي كتابة الملكوت ان تظهر القولة
 والقتلة وسائر القيلة والغيلة بمظهر

١ . الدر المنثور ٢ : ١٠٥ عن ابن عباس قال دخل
 ابوبكر بيت المدارس فوجد يهود قد اجتمعوا الي رجل
 منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم واحبارهم
 فقال ابوبكر ويملك يا فنحاص اتق الله واسلم فوالله انك
 لتعلم ان محمداً رسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في
 التوراة فقال فنحاص والله يا ابابكر ما بنا إلي الله من
 فقر وانه الينا لفقير و ما نتضرع اليه ما يتضرع
 الينا و انا عنه اغنياء ولو كان

٢ . في تفسير العياشي في الآية عن الصادق X قال: والله
 ما رأوا الله حتي يعلموا انه فقير ولكنهم رأوا
 اولياء الله فقراء فقالوا: لو كان غنياً لأغني اولياءه
 ففخروا علي الله بالغني.

الواقع المستور هنا المشهور هناك فـ (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد).

ولقد حفظ تاريخ بنى اسرائيل سلسلة عظيمة أثيمة من قتلهم الأنبياء بغير حق، آخرها محاولة اغتيال المسيح X زاعمين انهم قتلوه، متباهين بذلك الجرم العظيم (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم).

ذلك ومن قتلهم الأنبياء إذا عة أسرارهم المسببة لقتلهم^١ حيث المسبب للقتل قاتل مهما اختلف قاتل عن قاتل.

(سنكتب.. ونقول ذوقوا عذاب الحريق) وهونفسه المكتوب عليهم من أقوالهم وأعمالهم المسجلة في مختلف سجلات الكون.

وتري كيف يتفوه عاقل مهما كان جاهلاً بهذه القولة القاحلة الجاهلة مهما كان مشركاً فضلاً عن اليهود وهم أهل كتاب؟

قد تكون هذه منهم علي سبيل الهزء والإلزام، أن لو كان محمد3 نبياً وكان القرآن كتاباً من الله لما تطلب إلي ربه قرصاً من عبده، ولا نبذ قرصاً مناً، ولا أمته فقراء، ثم وليس بذلك البعيد جد هذه القولة ممن يقتلون الأنبياء بغير حق، وكما قالوا قيلات مثلها ينقلها القرآن ك (يد الله مغلولة) واضرابها.

(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (١٨٢)

(ذلك) العذاب وكتابة قولتهم وفعلتهم (بما قدمت ايديكم) منهما، فأصبحنا منسوختين في سجلات الاقوال والافعال، ثم ظاهرتين يوم الحساب بواقعهما، فليس العذاب - إذا - إلا ما قدمت ايديكم كما قدمت فـ (إنما تجزون ما كنتم تعملون) - (بما كنتم تعملون).

١ . نورالثقلين ١ : ٤١٦ في اصول الكافي عن ابي بصير عن ابي عبد الله X في الآية فقال: اما والله ما قتلوهم بأسيا فهم ولكن كانوا أذاعوا أمرهم وافشوا عليهم فقتلوا.

فـ (ذلك بما قدمت ايديكم و) بـ (ان الله ليس
بظلام للعبيد) فلو كان ظلاماً للعبيد لما
عذبكم بما عذبتموهم، فترك العذاب عن عذب
العبيد ليس ظلاماً، بل التارك ظلام للعبيد،
فانهم ظلموا علي علمه وقدرته.

ان في الخلق كله آيات

(إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِزَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤:٢)

هنا وحدة الألوهية مزودة بآيات سبع (لقوم يعقلون) حقَّ العقل، وهي: (خلق السماوات والأرض - عبارة أخرى عن خالقيته - ككل - لكل كائن - واختلاف الليل والنهار - والفلك ... - وما انزل الله - وبث فيها ... - وتصريف الرياح - والسحاب المسخر).

و (إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ونصر النبيين بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: وإلهكم اله واحد...).

فإن (وجود الأفاعيل دلت على أن صانعاً صنعها) وهذه الأفاعيل السبعة دالة بإتقان على خالق ومدبر واحد (لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) حيث الرحمة الرحمانية العامة والرحيمية الخاصة هنا وهناك نجدها بانتظام دون تفاوت واصطدام: (ما تري في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل تري من فطور...؟!)

آيتنا تلك هي من أوسع الآيات التوحيدية دلالة على توحيده تعالى من جوانب شتى، وفي أسباب النزول أنها نزلت بديلة عما

١ . نورالثقلين ١ : ١٤٩ في اصول الكافي بعض أصحابنا رفعة عن هشام بن الحكم قال قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) يا هشام... المصدر عن كتاب التوحيد قال هشام فكان من سنوأل الزنديق أن قال: فما الدليل عليه؟ قال أبو عبد الله X: وجود الأفاعيل... ألا تري أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبنى علمت أن له بانياً وأن كنت لم تر الباني ولم تشاهده.

أقترحتهن قريش عليه 3 (ان يجعل لنا الصفا ذهباً...)^١.

الآية الأولى من السبع: (إن في خلق السماوات والأرض) وتري أنه (خلق السماوات...)? والناكر لربوبيته ناكر لخلقه واحداً أو كثيراً، مهما اعترف المشركون أنه خالق!

فكان (خلق) هنا بمعنى (مخلوق): إن في مخلوقية السماوات والأرض، أو أنه (خلق) دون فاعل مصرح، يصرح به الكون المخلوق، وعلي أية حال فحدوث الكون بسماواته وأرضه دليل أن له محدثاً، وأصول الدلالة علي حدوث الكون ككل هي: التركيب - التغيير - الزمان والحركة، فإنها أدلة قاطعة لامرد لها علي حدوث الكون بمادته الأولية الأم، إذا فله محدث.

ولأن الخلق علي شتات أجزاءه وخواصه منسجم كهيدكل واحد ذي أجزاء مرتبطة مع بعضها البعض، ف (ماتري في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل تري من فطور) فذلك دليل وحدة الخالق، فان من لزامات تعدد الخالق عديد الصنع المتفاوت، إضافة إلي استحالة التعدد في الكمال المطلق للأ محدود، حيث العدد بحاجة الي مايز بين أصحاب العدد مزيجاً بجهة الإشتراك وذلك تركيب وعجز ونقص

^١ . الدر المنثور ١ : ١٦٣ - أخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال قالت قريش للنبي 3 ادع الله ان يجعل لنا الصفا ذهباً نتقوي به علي عدونا فأوحى الله إليه إنى معطيهم فأجعل لهم الصفا ذهباً ولكن ان كفروا بهد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحد من العالمين فقال رب دعنى وقومى فأدعوهم يوماً بيوم فأنزل الله هذه الآية.

وفيه عن ابي الضحى قال: لما نزلت: وإلهكم إله واحد عجب المشركون وقالوا إن محمداً يقول: وإلهكم إله واحد فليأتنا بآية ان كان من الصادقين فأنزل الله... وفيه عن عطاء قال: نزل علي النبي 3 بالمدينة: وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم - فقال كفار قريش بمكة كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله: ان في خلق...).

في كيان الخالق.

(واختلاف الليل والنهار) ولنأخذ مثلاً مثلاً بين أيدينا ليل نهار، الليل والنهار الأرضيين، والاختلاف افتعال من الخلف ان يتكلف الإتيان خلف الآخر، او الخلف ان يختلف عن الآخر تخلفاً عن مسيرة أو مصيرة، فالاختلاف - إذاً - منه رحمة ومنه زحمة، والأول هو المعنى من اختلاف الليل والنهار، أن يأتي كل خلف صاحبه وفق نظام التدبير من الخلق العظيم، فالليل والنهار كل مختلف صاحبه، وليس مختلفاً عن صاحبه متخلفاً عن مسيره، ولا مختلفاً (في) مع صاحبه، وذلك الاختلاف يأتي في أبعاد هي إضافة الي اختلاف كل صاحبه في ظهور - اختلاف في البعد الزماني والمكاني، فاننا نجد في كرتنا الأرضية علي كل حال ليلاً ونهاراً مع بعض في أفقين متقابلين اختلافاً مكانياً، ونجد كلاً من الليل والنهار تختلف ساعاته، فأقصر الأيام هو نصف ساعة كما في السويسرا، وأطولها ستة أشهر كما في القطبين، وبينهما عوان من ١٢ - الي - ٢٠ - الي ٢٤ ساعة، فالحركة اليومية الأرضية علي محورها ترسم لها الليل والنهار بمواجهة نصف الكرة أو يزيد مع الشمس، إكتساباً من نورها وحرارتها فيسمى النهار، واستتار الشمس عن النصف الآخر أم يقل، فتدخل تحت الظل المخروطي وتبقي مظلمة فتسمى الليل، اختلاف دائم لكل من الفرقدين وراء بعضهما البعض حول الأرض.

وعامل ثان هو ميل سطح الدائرة الإستوائية او المعدل عن سطح المدار الأرضي في الحركة الإنتقالية شمالاً وجنوباً، وقضيتها ميل الشمس من المعدل شمالاً أو جنوباً راسماً للفصول، و هو سبب استواء الليل والنهار في خط الإستواء في القطبين.

أما القطبان أنفسهما فلهما في كل سنة شمسية تامة يوم واحد و ليلة واحدة كل منهما نصف سنة، والليل في قطب الشمال نهار في

قطب الجنوب وبالعكس.
فالسنة في المنطقتين القطبيتين نصفها
ليل ونصفها نهار علي التساوي، ثم بينهما
وخط الإستواء يختلف كل من الليل والنهار عن
الآخرين من ١٢ ساعة الي ٢٤، ف ١٢ عند خط
الإستواء، و ٢٤ عند الدائرة القطبية، ثم
تأخذ في الزيادة في الدائرة القطبية من ١٢
ساعة الي ٢٤ وإلي شهر فشهرين إلي ستة
أشهر، وأعجِب باختلاف زمني بين نصف ساعة
وستة أشهر!

كما والسنة كلها حاضرة الفصول الأربعة في
مختلف أيامها، فالصيف في الشمال كمصر
وأورو باشتاء عند أهل الجنوب ك (ناتال).
وكل ساعات الليل كائنة حاضرة في كل
الساعات حسب مختلف الآفاق في كرتنا الأرضية،
فالصباح عندنا مساءً عند آخرين وليلاً عند
ثالث وفجرٌ عند رابع وهكذا سائر الأوقات،
قضية الكروية لأرضنا، واختلاف أنحاء الأرض
قرباً وبعداً.

اختلافات ثلاث منضدة منتظمة، فأصل حدوث كل
بعد الآخر دليل علي محدثهما، ونضد المحدث
دون تفاوت وتهافت دليل وحدة المحدث، سبحان
الخلق العظيم.

ذلك! وإن توالى الإشراق والعتمة — فذلك
الفجر وذلك الغروب — يهتز له المشاعر
الحية، والقلوب النابضة، مهما فقد الإنسان
وهلتها وروعتهها مع التكرار، ولكن القلب
المؤمن تتجدد في حسه هذه المشاهد، ويظل
دائماً في ذكر الله بهذه الآيات المكرورة.

(والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع
الناس) فان جريانها هو بريح مسخرة بين
الأرض والسماء، ام و بطاقات أخري كشف عنها
العلم وكل ذلك من نعم الرحمن (وله الجوار
المنشآت في البحر كالأعلام. فبأي آلاء ربكما
تكذبان) (٥٥: ٢٤) ولو أن هناك آلهة دون الله
لكانت هناك رياح متضاربة متطاحنة كل تحمل
إلي جانب، لكن (هو الذي يسيركم في البحر

حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنه أحيط بهم دعواوا لله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)(١٠: ٢٤).

فجرئُ الفلك في البحر آية، واتجاه القلب في أعماق الفطرة الي ربوبية وحيدة في خضم البحر الملتطم - شئت أم أبيت - آية (لقوم يعقلون): (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم الي البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً)(١٧: ٦٨).

(وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) ففي ضم ميت الماء بميت الأرض بما فيها من ميت الحبوب، نري في مثلث الميتات حياة، سبحان الخلاق العظيم.

(وبث فيها من كل دابة) ومهما كان ضمير التانيث في (فيها) راجعاً إلي الأرض مبدئياً كظاهر التعبير لتقدم الأرض، ولكنه راجع - أيضاً - إلي السماوات لسبق ذكرها، ولأن (من آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو علي جمعهم إذا يشاء قدير)(٤٢: ٢٩).

فخلق الدواب وبثها دون تهافت وتفاوت آية لقوم يعقلون أنهما من إله واحد.

(وتصريف الرياح...) و (الرياح) جمعاً هي في سائر القرآن رياح الرحمة، والريح - إلا الموصوفة بالطيبة - هي ریح العذاب، و (ما هبت ریح قط إلا جثا الندي³ علي ركبتيه وقال: (اللهم إجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً، اللهم إجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً)^١

^١ . الدر المنثور ١ : ١٦٥ - أخرج الشافعي وابوالشيخ والبيهقي في المعرفة عن ابن عباس قال: ... قال ابن عباس: والله ان تفسير ذلك في كتاب الله: ارسلنا عليهم ريحاً صريراً... فارسلنا عليهم الريح العقيم... ارسلنا الرياح لواقح، وارسلنا الرياح مبشرات. اقول: وهكذا نجد في القرآن كما في آيات الرياح العشر.

فهناك أرياح خبيثة يعبدُّ عذها بصيغة الأفراد (رياح فيها صرٌّ) (٣: ١٢٧) (رياح عاصف) (١٠: ٢٢) (رياح قاصف) (١٧: ٦٩) (الرياح العقيم) (٥١: ٤٢) (رياح صرصر عاتية) (٦٩: ٦) (رياح مصفرة) (٣٠: ٥١) اللهم إلا (رياح طيبة) (١٠: ٢٤) لولا وصفها لكانت خبيثة، فهذه ستة.

ثم رياح بصيغة الجمع كلها طيبة كما هنا (وتصرف الرياح) و (هو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) (٧: ٥٧) (وارسلنا الرياح لواقح) (١٥: ٢٢) (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً) (٣٥: ٩) وهذه أربعة. وتلك - إذا - عشرة كاملة من الرياح بين خبيثة وطيبة، كلها - فيما أراد الله - طيبة، ف (الرياح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فلا تسبوا و سئلوا الله من خيرها وعودوا بالله من شرها).^١

ولو أن هناك مصرفين للريح والرياح لتفاوت التدبير والتقدير، و (ما تري في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل تري من فطور).

ومن عجائب الرياح انها تحصل وتفعل ما تفعل بين الأرض و /١٦٠٠٠٠ ذراعاً فوقها، والأغلب في تحصيلها أن الأشعة الضوئية الواقعة من الشمس على الهواء تتبدل حرارة، فتعرضها خفة قضية الحرارة، فلا يستطيع الهواء علي حمل ما يعملوها أو يجاورها من بارد الهواء الثقيل، فيتساقط علي الحار الخفيف، فيجرى الخفيف - إذاً - إلي خلاف سمت الدفع، وهذه هي الأغلب في ظاهرة الرياح.

^١ .المصدر - أخرج الشافعي وابن ابى شيبة واحمد وابو داود والنسائي وابن ماجة والبيهقي في سننه عن ابى هريرة قال: أخذت لنا الريح بطريق مكة وعمير حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح؟ فقلت: سمعت رسول الله³... وفيه عن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح فقال له النبي³ لا تلعن الريح فانها مأمورة وانه من لعن شيئاً له بأهل رجعت اللعنة عليه.

(والسحاب المسخرين السماء والأرض) والسحاب هو المسحوب من أبخرة الأرض، حيث تُركم وتُمطر (فتري الودق يخرج من خلاله) وقد يعبر عنه بالمُزن والمُعصر، ولكن الغمام ما ليس فيه ماءً ويحسبه الناظر سحاباً.

ففي خلق السحاب بين السماء والأرض، وإرسالها بصورة منظمة دون فوضى أو تهافت دليلٌ أن صاحبها الساحب لها الممطر بها إله واحد، سبحان الخلاق العظيم.

فتري هذه السبع مؤتلفة متآلفة غير متخالفة وأن فيها (آيات لقوم يعقلون) عقل فطرة وفكرة، وعقل إحساس وعلم لو كانوا يعقلون.

فلو أن الإنسان ألقى إلي عقله عقليته، وألغى عنه بلادة الغفلة وكرور الألفة، فاستقبل مشاهد الكون بإحساسات متجددة جادة، ونظرات مستطيلة مستعلية علي نزوات، كالرائد الذي يهبط إلي الكون أول مرة، فتلفت عينه كل ومضة، وسمعُه كل نامة، وحسُه كل حركة، وتَهز كيانه تلك الأعاجيب التي تتوالي كدائرة الشريطات علي الأسماع والأبصار فالقلوب، سبحان الله مقلب القلوب.

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

العَذَابِ)(١٦٥:٣)

الأنداد هم الأمثال الأضداد، أمثال في الألوهية بعضاً أو كلاً فأضداد في شؤون الألوهية كلاً أو بعضاً، و (يتخذ) هنا، لاسيما بعد (إلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) لمحة صارحة أن لا أنداد لله ذاتياً أو مُتخذة من عند الله، وإنما (من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) كما وان تنوين التنكير تهوين لمكانة هؤلاء الأنداد.

وقد يخرج من الأنداد الأولياء المعبودون من دون الله إذ هم ليسوا بأضداد لله، مهما

اتخذوا انداداً. وهنا تنديد شديد بمن يتخذون من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله (فماذا تعنى كحب الله؟) هل هو كحبهم الله؟ ونراهم يحبون أندادهم أكثر مما يحبون الله، بل وقد لا يحبون الله! أو هو كحب المؤمنين لله؟ (والذين آمنوا أشد حبا لله) تلمح بأشدها أن هؤلاء الأنداد يحبون الله كما يحبون أندادهم! أم كحب يديق بالله و هو توحيد الحب إلهياً، وقد تعذى (كحب الله) ككل المحتملات الثلاث، أنهم يحبون أندادهم كحبهم الله، أو كحب المؤمنين الله، أو كحب يديق بالله، و كل هؤلاء علي دركاتهم تشملهم (يحبونهم كحب الله).

ثم (والذين آمنوا أشد حبا لله) تعذى انهم أشد حبا له منهم لله أو لآلهتهم، لأنهم يوحدون حبهم لله و هؤلاء يقتسمونه بين أندادهم، وقد يحبون معهم الله، مهما كان الأشد لا يشمل الملحددين الذين لا يحبون الله حتي يكون حب المؤمنين أشد منهم، أو يحبونهم كحبهم الله في أصل الحب إلهياً حيث يحبونهم كآلهة كما المؤمنون يحبون الله لأنه الله، مهما اختلفت درجات الحب عندهم تسوية بين الله والأنداد، أم ترجيحاً عليه، ولكن (الذين آمنوا أشد حبا لله) إذ لا يشركون في حبهم بالله أحداً كما لا يشركون بالله.

فكما يجب توحيد الله في كافة ميّزات الألوهية والربوبية، كذلك توحيد في حبه، ألا يساوي ولا يُسامي في الحب بسواه، لا كإله وان في ذرة مثقال، ولا كمحبوب سواه اللهم إلا حبا في الله فانه قضية حب الله: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله...)(٣: ٣١).

والحب الأشد من حبهم - للمؤمنين - ذو بعدين اثنين: أشد من حبهم لله، وأشد من حبهم لأندادهم، فان ذلك حب موحد خالص دون أي شريك وهذا حب فيه شركاء أو شريك، فقضية الإيمان الموحد هي الحب الأشد الموحد لله، لحد لا يبقى مجالاً لحب غير الله كإله ولاسواه. وحين يندد بمؤمنين ساقطين يحبون غير الله

أحب من الله، فليس القصد منه هو الحبُّ الإيماني، بل حباً عملياً أنهم يعاملون غير الله كأحب من الله، غفلة أو تغافلاً عن حب الله: (قل إن كان آباءكم و أبناءكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال أقرفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب إليكم من الله و رسوله و جهاد في سبيله فتربصوا حتي يأتي الله بأمره و الله لا يهدي القوم الفاسقين) (٩: ٢٤). فانهم لا يحبون هؤلاء - إذ يحبونهم - كأندادٍ لله فانه إشتراكٌ بالله، بل كأحباءٍ إعتياديين قضية العواطف و المصلحيات البشرية الحاضرة، التي قد يغيب معها حب الله المتفوق عليها، و ذلك فسق في الحب و ليس كفرأ فيه.

و حب من سوي الله بين ممنوع و ممنوح، فالأول هو الأنداد و هو إشتراك بالله، و بعده حب أهل الله كما تحب الله - علي سواه - دون إشتراك لهم بالله و لا تأليه، و هو يتلو الإشتراك بالله، و من ثم حب من لا يحبه الله لا كإله و لا كأهل الله، و هو تخلف عن شرعة الحب في الله.

و الثاني هو حب الله و الحب في الله، ثم التسوية في حب أهل الله علي اختلاف درجاتهم ضلال، كأن تحب سلمان كما تحب الرسول 3 في درجة واحدة، إفراطاً بحق سلمان و تفريطاً بحق الرسول 3 و كما الذين (اتخذوهم ائمة من دون الإمام الذي جعله الله للناس اماماً) قد اتخذوا لهم أنداداً يحبونهم كما هم، فكفر الحب و إلحاده أن تحب غير الله و لا تحب الله، و إشرাকে تأليهاً أن تحب من دون الله أنداداً كحب الله، و فسقه - دون تأكيد - أن تسوى في الحب بين الله و أهل الله، أم أن تحبهم أقل منه استقلالاً

١ . نورالثقلين ١ : ١٥١ في اصول الكافي بسند عن جابر قال: سألت ابا جعفر (عليهما السلام) عن هذه الآية قال: (هم والله فلان و فلان اتخذوهم... هم والله يا جابر ائمة الظلمة و اشياعهم) اقول: هذا من باب الجري و التأويل الي مضداق ادني، فان حرمة التسوية بين غير المتساوين جارية علي كل حال.

بجذبه، وإيمان الحُب أن توحد حُبك لله كإله
 مهما تحب سواه، وأعلي منه ألا تحب سواه إلا
 في الله، وقمته أن تصبح بكل كيانك حياً لله.
 إن دوافع الحُب الموحد الأصيل لله حاضرة
 حاضرة، وهي في حُب غير الله كما الله غائبة خاسرة
 حاضرة، فبصيغة واحدة حُب غير الله لا في الله
 إشراف في شرعة الحُب بالله مهما اختلفت
 دركاته، فمطلق الكمال - أياً كان - محبوب
 فطرياً وعقلياً، فضلاً عن الكمال المطلق وهو
 الله تعالى شأنه فكيف نحُب مَنْ سواه كما نحبه؟
 ومطلق المنعم - أياً كان - محبوب كذلك،
 فضلاً عن المنعم المطلق وهو الله تعالى شأنه،
 ومطلق العلم والقدرة أما شابه من كمال
 محبوب، فضلاً عن العالم القدير اللانهائي في
 كل كمال مرغوب وهو الله تعالى شأنه.
 وقد خرف وهرف وانحرف من تقول ألا يمكن حُب
 الله، اللهم إلا حياً لنعمه وإكرامه، ومن عباد
 الله مَنْ يحبونه لأنه الله، لا طمعاً في جنته ولا خوفاً
 من ناره.

والحُب هو أول تعلق فطري بين المنعم
 ومنعمه، وله درجات حسب درجات النعمة
 والمنعم والمعرفة به (والذين آمنوا أشد حياً
 لله) هم درجات في ذلك الأشد لحد الشغف، ألا
 يبق في قلبه وفي كل كيانه إلا حُب الله أمّن
 يحب الله طول حُب الله وطوليه، بحوله تعالى وقوله،
 وإنهم تجسّد حُب الله وكأنهم هم حُب الله، لا كون
 لهم ولا كيان إلا حُب الله وطاعته، وأفضلهم رسول
 الله محمد³ فإنه أول العابدين والعارفين بالله،
 ومن أسماءه الجيبته (حبيب الله) وهو أفضل
 أسماءه وسماته كما (الله) أفضل أسماء الله.
 وتري (أنداداً) هنا هي كل ما سوي الله من
 أوثان وطواغيث؟ ولا مرجع لضمير العاقل في
 (يحبونهم) إلا ذوا العقول الذين قد اتخذ
 وامن دون الله أنداداً! ولا يُعقل حُب الأصنام كحُب
 الله! ولا أن الأصنام متبّعون مهما هم معبودون،
 وهنا تبرؤ (الذين اتبعوا من الذين اتبعوا)
 إذا فهم كل من يُعبد من دون الله اللهم إلا
 الصالحين إذ ليسوا أضداداً لله مهما اتخذ

واله شركاء، ولا هم متَّبِعُونَ إذ لا يدعون إلي أنفسهم.

ومن أُنذُ الأنداد وألذها الهوي: (افرأيت من اتخذته إلهه هواه) وقال 3: (أبغض إلي الله عبد في الأرض الهوي)! فمن يحب هواه كما يحب الله، حياً لها كاله أم سواه، فقد ضل عن شرعة الحب مهما اختلفت دركاته إشاراً بالله وفسقاً عن شرعة الله.

وقضية حب الإنسان نفسه أن يحب ربه المستكمل لها الخالق إياها، فليحب نفسه إذا أحبها الله حباً في الله، وليبغضها إذا أبغضها الله بغضاً في الله، وليقدر نفسه متعلقة - ككل - بالله يروضها بتقوي الله، ويمحور الله بمرضاته في حياته كلها دون سواه، وهذا هو من حق توحيد الله.

حب كل شيء راجع الي حب النفس، وليرجع حب النفس الي حب الله، لا ان يحب الله لأنه من حب النفس، بل يحب نفسه لأنه من حب الله، موحداً في الحب دون إشارك بالله حتي نفسه علي إيمانه، فضلاً عنها علي كفره وإشراكه!

كل منا يحول في كل حياته حول نفسه في كل حركاته الأفاقية والأنفسية، ولتكن نفسه طائفة حول ربه، فهو في كل حركاته وسكنانه الحائرة فيها حور نفسه، حائر في العمق حور ربه، لا يبتغي إلا مرضاته، تطوافاً علي طول خط الحياة بخطوطها وخيوطها حول ربه، حولاً معرفياً وحُبياً وعملياً، مبتعداً عن كل محور سوي الله حتي نفسه المؤمنة بالله، وذلك هو التوحيد الحق.

وللحب مراحل خمس هي الود والعشق والهيمان والخلة والشغف والخامسة هي البالغة مبالغ الحق ومراحلها إذ بلغت شغاف القلب وليه وفؤاده.

إن حب الشغف والخلة هما المعتمد عليهما في شرعة الحب، أن ليس معللاً بما يرجع الي منتفعات النفس أو الابتعاد عن مضارها فانهما حب العبيد والتجار، و ذلك الحب غير المعلل هو حب الأحرار، أن تحب الله لأنه الله، لا - فقط - لأنه الرحمن الرحيم، بل لأنه الكمال والجمال والجلال اللانهائي، و هو المحبوب فطرياً دون سبب إلا ليس سبب إلا هو، فانه هو حظه ذاتياً، فكما الإنسان يحب نفسه لأنه هو،

فليحب ربه لأنه أكمل مما هو، بل وهو بكل ما له ومنه، يكون منه، فلا محبوب له - إذا - إلا هو.

إذا فذات الله عين حظه، ثم ذوات أخري محبوبه لله هي علي الهامش، حياً في الله والله لا سواه، وذلك الحب لا يتغير إلا تقدماً كما الله لا يتغير، وأما الحب المعدل فهو متغير بتغير أسبابه أما صفات الجمال والجلال لد حق المتعال.

(وَلَوْ بَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعَذَابِ)(١٦٥:٣)

(لو) هنا في موقف التحسر ومسرح التاثر التكسر للذين ظلموا في شرعة الحب، ف (لو) مدوا بأبصارهم الي مسرح العذاب ومصرح القوة لله جميعاً، و (لو) تطلعوا ببصائرهم إلي حين يرون العذاب، لرأوا حينذاك (أن القوة لله جميعاً) دون سواه، ورأوا (أن الله شديد العذاب). لو يروا ذلك المسرح المصرح، الحاسم الموقف، القاصم الظهر، لا نتبهوا عن غفوتهم ولكن لا حياة لمن تنادى!.. لويروي..

(إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ

الْأَسْبَابُ)(١٦٦)

اجل (ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً)(٢٩: ٢٥) (كلما دخلت أمة لعنت أختها) (٧: ٣٨) (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)(٤٣: ٦٧) بل ورأس الأنداد ورئيسهم إبليس يتبرأ من تابعيه: (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) (١٤: ٢٢)! فهناك ويلات الحسرات للذين اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله.

فهناك الأسباب بينهم كلها متقطعة بهم، إذ ينشغل كل بنفسه عن سواه، وتسقط كافة الصلات غير الأصيلات، الذهم إلا صلة التقوي، وظهرت أكذوبات الأنداد وكل القيادات الضالة وخوت، وهنالك يتحسر التابعون.

كتمان الكتاب وعدم بيانه لعنة

(وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) (١٨٧:٣)

(و) اذكر (إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) وهم حملته العلماء دون الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، حيث التبيين لادور له إلا بعد التبيين وليس ذلك إلا للعلماء .

(لتبيننه للناس) واللام هنا في موضع القسم تأكيداً لمدخولها، والناس هم أعم من الناس الكتابيين والمشركين والمسلمين مهما اختلفت فاعلية التبيين فيهم، ومما تدل عليه (لتبيننه) وجوب تبيين الكتاب وتفسيره حسب نضه و ظاهره المستقر، تبيدنا لبعضه ببعض دون نثره نثر الدقل وضرب بعضه ببعض، فانه ليس من تبيين الكتاب وتفسيره، بل هو تفسير للكتاب عن مراده وتبيين لآراء الذين اوتوا الكتاب، وهو كتمان للكتاب عن مراداته ومقاصده .

تري ولماذا (لاتكتمونه) نهياً وقضية صحيح الأدب (لاتكتموه)؟ لأن (لتبيننه) ليس امراً حتي يعطف عليه النهى، إنما هو إخبار أكد من الإنشاء، فذلك (لاتكتمونه) عطفاً كمعطوف عليه .

وقد تكون (ولا تكتمونه) حالاً عن واجب التبيين، تبيدنا حال عدم الكتمان، فقد لا يبين الحق، وأخري يبين ويكتم واقع المعنى منه تحريفاً في لفظه أو تجديفاً في معناه . فلا يكفي تبيين الحق لفظياً حال كتمان صالح معناه، وإنما هو تبيين له متين دون خفاء وإخفاء ذلك، ولكن (فنبذوه): ميثاق الكتاب (وراء ظهورهم) نبذاً لتبينه كأصل، أو نبذاً لمعناه كما يعنى بعد تبيين الأصل، وكلاهما كتمان للاحق مهما اختلفا في أصل وفصل، والنبذ وراء الظهور يعنى أنهم

تغافلوا عن ذكره وتشاغلوا عن فهمه وتفهمه فأصبح كالشيء الملقى خلف الظهر لا يراه فيذكره ولا يلفت إليه نظره.

(نبذوه... واشتروا به ثمننا قليلاً) مالاً ومنالاً في قيادات زمينة أو روحية وكل ثمن الدنيا أمام الحق قليل ضئيل (فبئس ما يشترون) من ثمن بخير ما يبيعون من مئمن. إنهم نبذوا ذلك الميثاق وراء ظهورهم بين مثلث الناس، ناسهم الأميين، والناس المشركين والناس المسلمين، ومن أهم ما نبذوه البشارات المحمدية المودوعة في كتابات السماء تحريفاً وتجديفاً أم إخفاءً وكتماناً لها عن بكرتها^١.

هنا (الذين أوتوا الكتاب) حين تعذى أهل الكتاب الإصطلاحيين، بأحري تعذى أهل القرآن المسلمين، فعلى علماء الإسلام ان يمحوروا القرآن في كل علومهم ومعارفهم، ثم عليهم التبيين دون كتمان، فالكاتمون كتاب الله في ثلوثه: تعدوا وتعلماً وبياناً صالحاً لما يعلمونه، إنهم هم الملعونون أياً كانوا: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس أولئك يعلمونهم الله ويلعنهم اللاعنون)(٢: ١٥٩) وقد يروي عن رسول الهدي³ قوله: (من كتم علماً عن أهله أجم بلجام من نار)^٢، وعن علي^X: ما أخذ الله علي أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ علي أهل العلم أن يعلموا).

^١ . لمعرفة شاملة بما افتعلوه راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية).
^٢ . تفسير الفخر الرازي ٩ : ١٣١ وفيه حكى ان الحجاج ارسل إلي الحسن وقال: ما الذي بلغني عنك؟ فقال: ما كل الذي بلغك عني قلته ولاكل ما قلته بلغك، قال: انت الذي قلت النفاق كان مقموماً فأصبح قد تعمم وتقلد سيفاً؟ فقال: نعم، فقال: وما الذي حملك علي هذا ونحن نكرهه؟ قال: لان الله اخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب لبيئته للناس ولايكتمونه. وفيه قال قتادة: مثل علم لايقال به كمثّل كنز لا ينفق منه، و مثل حكمة لاتخرج كمثّل صنم قائم لا ياكل ولايشرب، وكان يقول: طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع، هذا علم علما قبله وهذا سمع خيراً فوعاه.

(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم

بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) (١٨٨:٣)

(الذين يفرحون بما أتوا) به من منكر بدليل المعروف (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) من معروف، اولئك الحماقى الأنكاد عليهم وزران اثنان: الفرح بفعلهم المنكر، وحبهم ان يحمدوا بما لم يفعلوه من المعروف، وهذا كفر ذو بعدين بعيدين عن اصل الايمان حيث الفرح بالعصيان نكران للعقاب كما الحمد بما لم يفعل تحريف لموقف الثواب عن الصواب.

(فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) كما يزعمون، بل (ولهم عذاب اليم) والمفازة هي الأرض البعيدة التي إذا قطعها الانسان فاز بقطعها وأمن من خوفها.

و (ما لم يفعلوا) تشمل الي سلبية الافعال المحمودة عن بكرتها، سلبية العدة و العدة فيها، أنهم فعلوا خيراً ما ويحبون أن يحمدوا بأكثر مما يستحقون ولم يفعلوا القدر الذي يستحق الأكثر، فمهما كان الاول ظملاً طليقاً فهذا ظلم نسبي.

ثم ان مناسبة السياق واطلاق الآية تصدق الرواية القائلة انهم اليهود والمنافقون وكذلك غيرهم من نصاري ومسلمين وان لم ترد به الرواية، هؤلاء الذين يفرحون بما أتوا من نقض الميثاق في تبين الكتاب و هم - مع ذلك - يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من

^١ الدر المنثور ٢ : ١٠٨ - اخرج جماعة عن ابن عباس سألهم النبي³ عن شيء فكتموه واخبروه بغيره فخرجوا وقداروه ان قد اخبروه بما سألهم عنه وإستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه.

وفيه اخرج جماعة عن ابي سعيد الخدرى ان رجلاً من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله³ إلي الغزو وتخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله³ فاذا قدم رسول الله³ من الغزو اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت الآية.

ميثاق الكتاب.
 وذلك حسب أصلهم النحس النجس: (الغاية
 تبرر الوسيلة) فالحفاظ علي الشريعة
 الإسرائيلية، أو الحفاظ علي باطن الكفر
 وظاهر الإيمان، يبرر عندهم التخلف عن ميثاق
 الكتاب فرحين وهمن يحبون ان يحمداوا بما لم
 يفعلوا: فهم من الأخرين اعمالاً: (قل نبيئكم
 بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة
 الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (١٨):
 (١٠٣).

وقد تظل الآية تذب بطلاق مضمونها كل هؤلاء
 الذين يفرحون بما أتوا من نقض الميثاق
 الرباني، و يحبون ان يحمداوا بما لم
 يفعلوا، تلبيساً علي المجاهيل الأغفال،
 فارحين فارحين بذلك الإغفال، (فلا تحسبنهم
 بمفازة من العذاب) علي حد زعم هؤلاء
 المجاهيل (ولهم عذاب اليم).

وكم من فرق فارق بين هؤلاء النحسين وبين
 (الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلت انهم
 الي ربهم راجعون) (٢٣ : ٦٠) فقد تعتبر
 طائفة او اشخاص أنفسهم من الناجين مهما
 ظلموا او بغوا او طغوا، و كأن الله يخذ صهم
 برحمته دونما شرط شرطه علي سائر عباده كما
 (قالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبائه
 قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن
 خلق) (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً
 او نصاري تلك أمانيهم...).

كلاً! (وأن ليس للانسان إلا ما سعي) دون ما
 ادعي فـ (كل نفس بما كسبت رهينة. إلا اصحاب
 اليمين) فانهم لم يكسبوا إلا خيراً فلماذا
 يُرهنون؟!

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١٨٩:٣)

(ولله) لاسواه (ملك السماوات والارض) وملكهما
 ضمن ملكهما بما فيهما وما بينهما (والله علي
 كل شيء) من فعل او شيء ممكن ذاتي (قدير).
 (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي

الألباب (١٩٠)

(ان فى خلق) الله (السماءات والأرض)، وان فى مخلوقية السماءات والأرض، بما لهما من مختلف الصنع المنضد، (و) فى (اختلاف الليل والنهار) وهو إتيان كل خلف الآخر بصورة منظمة (آيات) على وجود الخالق وتوحيده وقاصدية خلقه (لأولى الألباب) ألباب لعقولهم حيث القشور مقشرة.

ذلك - لأن الخلق دليل الخالق واختلاف الخلق دليل قصده وتصميمه، ونضد الخلق دليل توحيده.

وهذه حقيقة هى حقيقة بالتفكير الكثير، كمقوم قائم من مقومات التصور الإسلامى السامى عن الكون كله، والصلة الأصيلة بينه وبين الإنسان فطرياً وعقلياً وحسياً وعلمياً، حيث يدل على ضوء هذه الجهات الأربع الإنسانية على خالق الكون من جهة وعلى الناموس الذى يصرفه وما يصاحبه من غاية وقصد وحكمة من أخرى.

وإن فى ذلك لآيات لأولى الألباب، آية الوحدة والحكمة والحيطة العلمية وفى القدرة الخلافة أمأهيه من آيات الربوبية، وقد اتجهوا إليه سبحانه بدعاء خاشع منيب - والله من وراءهم رقيب مجيب - وهم يتدبرون كتاب الكون المفتوح بكل مصاريعه، متأملين ما ينطق به آيات وما يوحى به من حكم وغايات.

فالعقول القشرية تكتفى بألفاظ الإيمان، ومن ثم بعقيدة الإيمان والفكر دون العمل بالأركان، فأما أولوا الألباب فهم يصدقون باللسان معتقدون بالجنان وعاملون بالأركان كما جمعت لهم هذه الثلاث فى هذه الآية، ابتداءً بظاهر اللسان ثم التصديق بالجنان ثم التحقيق بالأركان، فإذا كان اللسان مستغرقاً فى الذكر، والأركان فى الشكر، والجنان فى الكفر، كان العبد مستغرقاً بكل كيانه فى العبودية وأصبح من أولى

الألباب... .

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (١٩١:٣)

(الذين يذكرون الله) قالاً وحالاً وفعالاً في
مثلثة الاحوال: (قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم)
فانها تحلق علي كافة الأحوال فيصبحون هم
أنفسهم بكل حالاتهم ذكر الله، ومن خلفاته
التفكر في خلق الله.

(هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) (١٣٨:٣)

(هذا) القرآن، وهنا (هذا) البيان (بيان
للناس) دون خفاءٍ ولا غطاءٍ (بيان) لهم كلهم،
ثم (وهديّ وموعظة للمتقين) فمهما كان هدي
دلالية للناس كلهم، فليس هديّ واقعية إلا
للمتقين، الذين إذا وقوا ببيان اتقوا وإذا
هدوا اهتدوا.

ومن الفارق بين البيان والهدي والموعظة،
ان البيان ليس إلا عن خفاء، خلفاء الجهل
بالحق، او خفاء التجاهل عنه، ام خفاء
التصديق به، فالبيان أياً كان يفيد إزالة
الشبهة، والهدي بيان لطريق الرشده،
والموعظة بيان لمحاذير طريق الرشده،
فالمتقى إنما يحتاج الي الهدي - حيث يتحري
عنها - فيتبعها، ثم إلي الموعظة فيتحرز
عما يوعظ به، وغير المتقى يحتاج الي بيان
حتى يجتأح جهله او تجاهله.

فلا اثر للبيان ما لم يكن التقوي، إلا أن
من البيان ما يبعث علي التقوي، لأن غير
المتقى جاهل بما يحرضه علي التقوي.

فالقرآن بيان للناس ككل، لمن يتبين به:
(ونزلنا عليك القرآن تبياناً لكل شيء) (١٦):
(٨٩) و (موعظة وشفاء لما في الصدور) (١٠):
(٥٧) ف (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم
يوقنون) (٢٥: ٢٠) وإذا كان (هذا بيان للناس)
فليكن تفهمه ميسوراً لهم كناس، فالمعتذرون
عن فهمه او تفهمه سواً في كونهم من

الذسناس الخناس، أكانوا من المؤمنين به المغالين تقصيراً في تفهمه، وأنه خاص بالمعصومين (عليهم السلام)، أم كانوا ممن قالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم).

فالقرآن (بيان للناس) ما تبينوا، بيان في ظواهره ومظاهره، ثم في إشاراته ولطائفه، مه ما اخذت حقايقه بكل تأويل بالر سول وعترته المعصومين (عليهم السلام) : فـ (لايكلف الله نفساً إلا وسعها).

ذلك - وإلي تعبئة وتقوية وتأسيسية وتثبيت، رجوعاً إلي ما مضي من مآسى غزوه أحد، وبإجابات جادة عن شطحات الأقاويل حول هزيمته العظيمة :

(وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (١٨:٤)

(يعملون السيئات) ككل ودون إبقاء، وهناك (السوء) بجهالة أم سواها، مستمرين فيها دونما توبة (حتي إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تببت الآن) لا أنه تاب، فلو تاب مهما كانت عند رؤية اليأس فعسى الله أن يعفو عنه: (فلو كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي ومتعناهم إلي حين) (١٠ : ٩٨)

فقولة التوبة والإيمان عند الموت وعند رؤية اليأس لاتنفع، اللهم إلا واقعها وقليل ما هو هؤلاء الذين عاشوا عصاة أو كافرين (كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون) (بلي من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (٢ : ٨١) : (وجاوزنا بني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون بجنوده حتي إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين. ألئن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) (١٠ : ٩١) (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في إيمانها خيراً) (٦ : ١٥٨).

اجل (ولا الذين يموتون وهم كفار) مهما قالوا قولة الإيمان كفرعون لما أدركه الغرق.

ذلك، وأما الدعوان بينهما ما: بين توبة مفروضة على الله ومفروضة، فإن شاء تاب وإن لم يشأ لم يتب، ايجابية وسلبية حكمة حسب الظروف المواتية المساعدة و سواها، فهم اولاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يسوفون التوبة، ام يعملون السوء على عمد تابوا من قريب أم سوفوا أمّن ذا من هؤلاء الذين يتوبون مصلحين ما قدروا عليه مهما كان عند رؤية الباس والموت، فقد يتوب الله عليهم وقد لا يتوب، وكما تقتضيه الرحمة والعدالة الربانية: (ليجزى الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) (٣٣: ٢٤) وذلك حين يتوب المنافق من بعيد ولا سيما عند الموت وعند رؤية الباس.

ف (إنما التوبة على...) فرضاً للأولين، (وليست التوبة) اطلاقاً لا على الله ولا لله للأخرين، ثم تكون التوبة لله - لا مفروضة عليه ولا مفروضة عنده - للدعوان بين الفريقين، إذ ألقى واقع التوبة إلى الله أينما حصلت توبة من الله محتومة أم مرجوة على شروطها المسرودة في الذكر الحكيم: (فمن تاب بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه) (٥: ٣٩) مهما سوف التوبة عن سوء عمد فعوان بينهما، أم تاب من قريب عن سوء جهالة فمفروض على الله، والمسوف العامد هو داخل في نطاق (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم أو يتوب عليهم والله عليم حكيم) (٩: ١٠٦) وذلك بعد إعلان عام (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عبادة ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم) (١٠٤).

والجهالة التي تقرض التوبة على الله ليست هي الجهل بحكم الله قصوراً أو تقصيراً، ألا يري السوء سوء ثم بعد العلم يتوب من قريب حيث العصيان مع الجهل بالحكم أو الموضوع ليس عصياناً مهما كان مقصراً في جهله، حيث الجهل

هنا هو العصيان لا العمل الجاهل، و (كل ذنب عمله العبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه ...^١) فليست هي الجهالة بل هي الحماقة علي علم بالسوء، أن غلبت عليه شقوته وشهوته دونما تهتك لساحة الربوبية، ولا تعمد عصيان، فلذلك يتوب من قريب لما خمدت نيران شهوته وزال غبارها عن وجه إيمانه ندماناً أسفاً.

وأما المسوف للتوبة فهو العامد، أو المستغل شطراً من حياته للسوء رجاء التوبة قبل الموت أم بعد ربح يقضى فيه وطّره. والجهالة علي علم اثنتان أخراهما أن يجهل عقاب الله ويتجاهل حضوره وحكمه كسنة في حياته بقليل أو كثير، والجهالة في الآية هي الأولى، دون العامة التي هي لزام كل عصيان أياً كان.

ومن الأولى المعنية هنا (أصب إليهن وأكن من الجاهلين) - (إني اعظك أن تكون من الجاهلين) - (أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين) فانها وأضرابها تعني الجهالة علي علم دون طليق الجهل حكماً أو موضوعاً، وانما جهالة بحضرة الربوبية غفلة عنها وتساهلاً.

فالاصل في حقل التوبة هو الإيمان والإعتراف بالذنب والندم عليه: (وآخرنم اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم) (١٠٢: ٩) وهم المرجون لأمر الله (إما يعذبهم أو يتوب عليهم والله عليم حكيم) (١٠٦).

ثم التوبة من الله واجبة أم مرجوة - مشروطة بشروط عدة، لتوبة كاملة إلاّ بها، أن تكون نصوحاً: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلي الله توبة نصوحاً) (٦٦: ٨) والإيمان والعمل الصالح

١ . نوالثقلين ١: ٤٥٧ المجمع عن أبي عبدالله X... فقد حكي الله سبحانه وتعالى قول يوسف لإخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) فنسبهم إلي الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله.

بعدها: (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) (٢٥ : ٧٠) والإصلاح والبيان: (إلا الذين تابوا واصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم) (٣ : ١٦٠) وجماع الأمر فى التوبة الصالحة هو الذى يرجع فيه التائب إلى حالته الشخصية والجماعية قبل العصيان، إصلاحاً خارجياً بعد إصلاح داخلي وهو يختلف حسب اختلاف حقول العصيان وإبعاده بآثاره وأبعاده.

فالذى ضل وأضل آخرين ليست توبته - فقط - إصلاح نفسه، بل وإصلاح الآخرين، فلو تاب الله عليه ولمّا يُصلح المضللين ام لم يسطع عليه، كانت هذه توبة من الله ظالمة بحق المضللين، واما الظلم فى غير الإضلال فقد توجد للتوبة عنه سبيل دون ذلك، كأن يعمل من الصالحات وهو لايسطع على رضى المظلوم فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم قضية رحمته الواسعة، ما لم يناف العدل، فقد كتب على نفسه العدل كما كتب على نفسه الرحمة.

ذلك، وأما التوبة عما عصى الله، بينه و بين الله، دونما تعدد على عباد الله، فقد يكفى فى توبته إلى الله واقعها النصوح مهما كان عند الموت، ولكن قبولها ليس على الله فهو من (مُرجون لأمر الله).

فإنما التوبة الواجبة على الله إلى عبده هى فى سيئة عن جهالة ثم توبة من قريب، دون فصل أم بفصل قريب غير غريب لكيلا يعُد من المصريين العامدين غير النادمين (فأولئك يتوب الله عليهم) ومن سواهم ف (عسى الله أن يتوب عليهم).

والقول انه لن تقبل التوبة عند الموت لأنها رجوع إلى عبودية وليست إلا فى حياة التكليف الراحلة عند الموت، مردود بأن أصل التوبة هو الرجوع إلى الله (توبوا إلى الله) مهما كان نصوحها إصلاح المستقبل فى التصميم إن كان، ثم والرجوع إلى العبودية لا واقع له للتائب عن الكفر الذى نشأ عليه منذ بداية

التكليف، فهلا توبة له اطلاقاً إذ ليست له سابقة عبودية، وواقع العبودية بعد التوبة للذئ عاش كافرأ ليس رجوعأ الي العبودية بل هو رجوع الي الله، الصادق فيه وفيمن يتوب إلي الله عند الموت.

ذلك، فأصل التوبة - إذاً - مقبول مهما لم يسطع التائب علي شروط لها قضية انقضاء المجال فقد تقبل تماماً إذا لم تكن التوبة عن مظالم فادحة غير منجبرة، ثم وفيها أيضاً يخفف عنه بالنسبة لحق الله مهما ظل عليه حق الناس.

فواقع التوبة مقبول علي أية حال بالنسبة لساحة الربوبية، محتوماً أم مرجواً، شرط أن تكون نصحاً مهما لم يبق مجال لمستقبل، ثم التبعات الأخرى للعصيان - أياً كان - قد تغفر وقد لاتغفر، والمغفرة هي الأصل ما كان لها مجال في حقل العدل والرحمة، فلا يستثنى إلا المغفرة الظالمة بحق الظالمين، وقد يروي عن الرسول³ قوله عن الله تعالى: (وعزتي لا أحول بينه وبين التوبة مادام فيه روح) و (ان الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر)⁴

١ . الدر المنثور ٢ : ١٣٠ - أخرج ابن جرير عن الحسن قال بلغني أن رسول الله³ قال: ان إبليس لما رأى آدم أجوف قال: وعزتك لا أخرج من جوفه مادام فيه الروح فقال الله تبارك وتعالى: المصدر - أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن ابن عمر عن النبي³ قال: ... وفيه أخرج البيهقي في الشعب عن رجل من الصحابة سمعت رسول الله³ يقول: ما من إنسان يتوب إلي الله عزوجل قبل أن تغرغر نفسه في شذقه إلا قبل الله توبته.

وفيه أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ابن عمر وقال: من تاب قبل موته بقواق تيب عليه قيل ألم يقل الله: وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتي إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن؟ فقال: إنما أحدثك ما سمعت من رسول الله³. أقول: لا منافات بين الآية وهذه الرواية حتي يحتج بها ضدها فإن مورد الآية قوله التوبة عند الموت ومورد الرواية وأقبحها.

وفيه أخرج أحمد والبخاري في التاريخ والحاكم وابن مردويه عن إبي ذر أن رسول الله³ قال: (إن الله يقبل توبة عبده أو يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب قيل

والتفصيل بين الجاهل والجاهل في قبول التوبة^١ خلاف الآية، إلا ان يؤول إلي صعوبة قبولها عن العالم.

ثم (الذين يموتون وهم كفار) وطبعاً دون قالة التوبة ولا واقعها، ليست توبتهم غير المقبولة إلا بعد الموت ومنهم القائلون (رب ارجعون لعلى اعمل صالحاً فيما تركت) فيجابون (كلا انها كلمة هو قائلها).

فقالة التوبة دون حالتها عند الموت، وواقعها بعد الموت، هي مرفوضة مرضوضة، وواقع التوبة بين مفروض القبول ومرجوه كما فصلناه علي ضوء الآية.

بل (ما لم تكن تعلم) كيفما كنت و أينما كنت وفي أية دراسة أو مدرسة لو كنت، أو أية كينونة من غير ما كونه فضل الله العظيم. وحين يسلب ذلك العلم عن أعقل العقلاء وأسعد السعداء، سلباً بأسره مهما كانت معداته الذاتية والخارجية قوية عالية، فبأحري سلبه عن كافة العالمين من الجنة والناس وسواهم أجمعين، اللهم إلا بفضل الله العظيم غير العميم، حيث خصه بذلك الفضل العظيم.

وهنا (علمك ما لم تكن تعلم) تعم مثلث الكتاب والحكمة وما أتاه من غيرهما ليحكم بين الناس بما أراه الله (ولاتكن للخائنين خصيماً).

وهكذا يعصم الله رسوله العظيم عن كل محاولة وحيلة شريرة مبيتة ضده، ولكي يعلم



وما وقوع الحجاب؟ قال: تخرج النفس وهي مشرقة وفي نهج البلاغة عن الإمام علي^X من أعطى التوبة لم يحرم القبول قال: (إنما التوبة...).

. نورالثقلين ١: ٤٥٦ في أصول الكافي بسند متصل عن أبي عبد الله^X يقول: إذا بلغت النفس ههنا - وأشار بيده إلي حلقه - لم يكن للعالم توبة، ثم قرء (إنما التوبة علي الله للذين يعملون السوء بجهالة). أقول: والآية تنفي واجب التوبة لأمروها.

الكائدون ألا يؤثر فيه كيدهم، ويعرف الماييدون ألا يتأثر هو بميدهم، ويشعر المتهمون إياه المهتمون بإثبات خطيئة عليه أن ساحته القدسية بريئة عن الخطايا، بل وعن وإهتمامها كدّها بما عصمه الله، فهو في عصمة طليقة لا غبار عليها.

فتلك هي نعمة يمن بها علي الأمة المرحومة، وعلي كافة المكلفين بهذا الدين المتين والرسول الأمين، النعمة التي التقطت المكلفين أجمعين من سفح الجاهلية الجهلاء، لترقي بها في الطريق الصاعد المساعد، الي القمة البالغة السامقة التي لا تساوي ولا تسامي علي مدار الزمن حتي القيامة الكبرى (فبأى آلاء ربك تتماري)!

(لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)(١١٤:٤)

(النجوي) قد تكون مصدرًا ك(ما يكون من نجوي ثلاثة إلا هو رابعهم) تعني مناجاتهم مع بعض البعض، أم هم المتناجون انفسهم (إذ هم نجوي) وقد تحتمل هنا المعنيان، ويتأيد الثاني بالإستثناء (إلا من أمر) تعني من المتناجين.

والنجوي هي نفس الذات محظورة إذ تُحزن من بحضرتها (إنما النجوي من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) (٥٨: ١٠) حيث الحق صراخ لا يحتاج الي نجوي، فليست النجوي - إذأ - إلا توطئة شريرة بحق المتناجي عليه، فلا تصلح إلا في الحق الذي لا يصلح أن يستبان كالنجوي مع الرسول³ بشؤون الحرب أم سائر الشؤون السياسية التي يجب أن تخفي لصالح الجماهير المسلمة.

و (وإلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) فيتناجي فيها كيلا تذاع فتضاع، كما (كل سر جاوز الإثنين شاع).

إذأ فقليل من النجوي محبورة مشكورة، ثم (لاخير في كثير من نجواهم إلا) والمستثنى هو

ذلك القليل، إذاً فهو استثناء منقطع، حيث انفصاله يقتضى قليلاً من ذلك الكثير مع سائر القليل.

ومهما يكن من شيء فالأمان الأمان وعوداً بالله من اللسان في نجواه وسواه وكما قال رسول الله 3: (كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن مذكر أو ذكراً لله عزوجل) ١ و (رحم الله امرءً تكلم فغنم أو سكت فسلم) ٢.

١. الدر المنثور ٢: ٢٢٠ عن أم صالح بنت شيبه عن أم حبيبة زوج النبي 3 قالت قال رسول الله 3: ... وفيه عن ابن شريح الخزاعي قال قال رسول الله 3 من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) وفيه عن سفيان بن عبدالله الثقفى قال قلت يا رسول الله 3 مرني بأمر أعتصم به في الإسلام قال قل قلت يا رسول الله 3 مرني بأمر أعتصم به في الإسلام قال قلت يا رسول الله 3 ما أخوف ما تخاف على قال: هذا و اخذ رسول الله 3 بطرف لسانه نفسه.

وفيه عن عقبة بن عامر قال قلت يا نبي الله ما النجاة؟ قال: (أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) وفيه عن اسود بن اسود بن أبي أحرم المجاربي قال قلت يا رسول الله أوصني قال: هل تملك لسانك قلت فما أملك إذا لم أملك لساني قال فهل تملك يدك قلت فما أملك إذا لم أملك يدي قال: فلا تقبل بلسانك إلا معروفاً ولا تيسط يدك إلا إلى خير.

٢. المصدر أخرج البيهقي عن الحسن قال بلغنا أن رسول الله 3 قال: (...). وفيه عن ابن مسعود أنه أتى علي الصفا فقال: يا لسان قل خيراً تغنم أو أصمت تسلم من قبل إن تندم، قالوا يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو سمعته قال لا بل سمعت رسول الله 3 يقول: (أن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه) وفيه عنه 3 من سره أن يسلم فليلزم الصمت.

وفيه عن أنس أن رسول الله 3 لقي أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا أدلك علي خصلتين هما أخف علي الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما قال بلي يا رسول الله 3 قال: عليك بحسن الخلق وطول الصمت والذي نفس محمد بيده ما عمل الخلائق بمثلها.

وفيه أخرج البيهقي عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوي الله فإنه رزين لأمرك كله قلت زدني قال عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه ذكر لك في السماء وتور في الأرض قلت زدني قال عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك علي أمر دينك قلت زدني قال وإياك وكثرة الضحك فانهجيت القلب ويذهب بنور الوجه قلت زدني قال قل الحق ولو كان مرا قلت زدني قال لا تخف في الله لومة لائم قلت زدني

وهنا (أمر بصدقة) مصداق بارز من الأمر، وقد تصدق الصدقة علي كافة الراجحات واجبة وسواها وفي كافة الحقول، ثم (أو معروف) تعميم للأمر ويلحقه النهي عن المذكر فإنه أمر معروف والأمر به أيضاً أمر بمعروف، ثم (أو إصلاح بين الناس) ولو بالكذب إذا كان الإصلاح بين الناس أصلح من الصدق حيث الكذب محرّم لإفساده وأفسد منه فساد الناس. (٢٤: ٢١) تزكية في الأولي توفيقاً لها وتعريفاً بها،

←

قال ليحجزك عن الناس ماتعلم من نفسك) وفيه أخرج البيهقي عن ركب المصري قال قال رسول الله ﷺ طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله. وفيه عن أبي سعيد الخدري رفعه إلي النبي ﷺ قال إذا أصبح ابن آدم فإن كل شيبي من الجسد يكفو اللسان يقول ننشذك الله فينا فإنك أن استقمنا استقمنا وإن اعوججت اعوججنا، وفي حديث طويل عنه ﷺ مع معاذ بن جبل: (وإن شئت أنبأتك بأملك الناس من ذلك كله قلت ما هو يا رسول الله فأشار بأصبعه إلي فيه فقلت وأنا لنأخذ بكل ما نتكلم به فقال تكلمت أمك يا معاذ وهل يكب الناس علي مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم وهل تتكلم إلا ما عليك أو لك) وفيه أخرج أحمد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لا يستقيم إيمان عبد حتي يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتي يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة حتي يامن جاره بوائقه. نورالثقلين ١: ٥٥٠ في أصول الكافي عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله X قال: الكلام ثلاثة صدق و كذب واصلاح بين الناس، قال قلت له جعلت فداك ما الاصلاح بين الناس؟ قال: تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبت نفسه فتلقاه فتقول سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه. وفي الدر المنثور ٢: ٢٢٢ عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ لا يصلح الكذب إلا في ثلاث الرجل يرضى امرأته وفي الحرب وفي صلح بين الناس، وفيه عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ أفضل الصدقة صلاح ذات البين، وفيه أخرج البيهقي عن أبي أيوب قال قال لي رسول الله ﷺ يا أبا أيوب ألا أخبرك بما يعظم الله به الأجر ويمحو به الذنوب تمشي في اصلاح الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً. وفيه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأفضل من درجات الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين، قال وفساد ذات البين هي إلحاقة، وفيه عن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال له يا أبا أيوب ألا أدلك علي صدقة يرضي الله ورسوله موضعها قال بلى قال تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا).

وأخري في الأخري غفراً للذنوب وقبولاً للشفاعة أمّاهيه من تزكيات أخروية، فقد (لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (٢) : (١٧٤) كهؤلاء المفترين علي الله الكذب، وقد يزكى كالصالحين من عباده تطهيراً لهم عما إعترضتهم من اللمم أو سيئات كما في آيات. فمن زكى نفسه فزكاها الله توفيقاً لها، ثم زكاها إنباءً أنه مزكى فمحبور مشكور. ومن لم يزك نفسه أم لم يعنه الله في تزكياته نفسه - فقلبه وعمله فارغان عن الزكاة - ثم ادعاها لنفسه ومن نفسه فمحذور. ومن زكى نفسه بتوفيق الله ولمّا يتزك كما يرام أم تزكى ثم زكى نفسه كأنه هو الذي زكاها فهو كاذب في دعواه رغم زكاته (بل الله يزكى من يشاء).

فليس الله ليظلم من لم يزكه واقعيّاً أم إنباءً، ولا من زكاه دون ما يرام ثم لم ينبىء إذ (لا يظلمون) المزكون وسواهم واقعاً وادعاءً (فتيلاً) حيث التزكية الربانية سلبياً وإيجابياً لا يعترىها أى ظلم، فإنما يحتاج الي الظلم الضعيف. والتزكية في قول فصل محظورة قولياً فارغاً عن الواقع، أو عملياً حين تُرائى الناس فيما تعمله من الراجحات وهكذا (يخشي الرسول 3 علي أمته أن تزكى أنفسها) ١ - (لا يزكى علي الله أحد) ٢ إلا من زكاه الله قدر ما زكاه. وأما التزكية الحقيقية المصدّقة من الله فقد تجب أمام الناكرين لحق واجب التصديق كالرسالة والإمامة وما دونهما من مقامات روحية واجبة الإتباع علي من دونهم وكما زكى يوسف نفسه ٣ وكذلك سائر المقربين كأفضلهم

١ . حم ٤ : ١٧١ .

٢ . في أدب ٥٤ .

٣ . في تفسير العياشي قال أبوسفيان لأبي عبد الله X ما يجوز أن يزكى المرء نفسه؟ قال: نعم إذ اضطر إليه أما سمعت قول يوسف (اجعلني علي خزائن الأرض إنني حفيظ عليم) وقول العبد الصالح (وإنى لكم ناصح

خاتم النبيين³.

وإذا كانت التزكية الصادقة محظورة إلا عند الضرورة - وكما يزكى الله عبده - فكيف تكون حال التزكية الكاذبة أو مبالغة أو المرائية؟

ذلك (ولكن الله يزكى من يشاء) تزكيتته، توفيقاً لذكاته كما يسعى لها وتصدقاً لها بوحى منه تعالى وكما زكى أولياءه المقربين السابقين ومن نحي مذاهم كلاً علي حده وصالحه.

ولقد نزلت هذه الآية تنديداً شديدة بهؤلاء الذين يزكون أنفسهم من هود أو نصاري و أضرابهم، فقد حصروا الجنة فى أنفسهم لأنهم أبناء الله وأوداءه! وسائر الناس كأنهم أغارب عن الله وأعداءه، متجاهلين كافة القيم والموازين لזكاة الأنفس إلا آت جوفاء عنصريات التصور، وكان الله منذ عزل الي بعض العناصر من خلقه دون آخرين!^٢

←

أمين) وحين يقول المنافقون للرسول³: اعدل فى القسمة يقول: والله إنى لأمين فى السماء أمين فى الأرض.

الإحتجاج للطبرسى عن معمر بن راشد قال سمعت أبا عبد الله X يقول: أتى يهودى إلى رسول الله³ فقام بين يديه يجد النظر إليه فقال: يا يهودى ما حاجتك؟ فقال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبى الذى كان كليمه الله عزوجل وأنزل عليه التوراة والعصا وخلق له البحر وأظله بالغمام؟ فقال له النبى³ انه يكره للعبد أن يزكى نفسه ولكنى أقول ان آدم لما أصاب الخطيئة كانت ثوبته انه قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد³ لما غفرت لي فغفر الله له وأن نوحاً لما ركب السفينة وخاف الغرق قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتى قال الله عزوجل (لا تخف إنك أنت الأعلى) يا يهودى إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتى ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوة، يا يهودى ومن ذريتى المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته فيقدمه ويصلي خلفه. أقول: راجع الفرقان ٢٧: ٤٤٧ - ٤٥٠.

ومن تزكياتهم لأنفسهم ما رواه فى الدر المنثور^٢: ١٧٠ عن ابن عباس قال: إن اليهود قالوا ان أبناءنا قد توفوا وهم لنا قربة عند الله وسيدفعون ويزكوننا فقال الله لمحمد³ (الم تر إلى الذين يزكون أنفسهم الآية) وفيه عنه قال: كانت اليهود يقدمون

←

وهم أولاء د الأُنكاد لم يكونوا يزكون أنفسهم من عند أنفسهم فقط، بل وكانوا يفترون تزكيتهم علي الله أنه هو الذي زكاهم وفضلهم علي من سواهم:

(انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا) (٥٠)

وتري ماذا تعني إفتراء الكذب علي الله وكل إفتراء هو في نفسه كذب؟ إنه إفتراء ما يعلمون كذبه علي الله، فقد يفتري أمر علي الله دونما علم بصدقه أو كذبه فهو إفتراء كذب وليس إفتراء الكذب إذ لا يُعلم كذبه، وهؤلاء يزكون أنفسهم إفتراءً علي الله أنه زكاهم وهم يعلمون كذبه (وكفي به إثمًا مبيناً) يبين كذبهم في إدعائهم ودعائياتهم.

فالإثم هو المبطيء عن الخير، فحين يزكي الإنسان نفسه في الأولي والأخري، فذلك يبطله عن كل خير، إذ يري نفسه في غني عن تكلف الخيرات، إذ ليس التجنب عن الطالحات والسعي في الصالحات إلا للحصول علي الزكاة في الحياة، فحين يزكي الإنسان نفسه فيراها مزكاة من كل الجهات فلا يري لنفسه حاجة الي تكلف الصالحات، كقسم من أهل الباطن - علي حد قولهم - المدعين الوصول الي اليقين، تاركين لما يوصل الي اليقين سناداً الي (وأعبد ربك حتي يأتيك اليقين)!

فعلي المؤمن بالله أن يري نفسه دائماً في قصور و تقصير، ولكي يحاول دائماً في الحصول علي زكاة جديدة وكما الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله) حيث يعنى إستزادة الإيمان بالله، ويخاطب الرسول 3 (وقل رب زدني علماً) - (وأعبد ربك حتي يأتيك اليقين) (١٥: ٩٩) فإذا لاحد نهائياً لليقين فلا حد لعبادة الرب الموصلة الي اليقين، ولذلك نراه 3 كان

←

صبيانهم يصلون بهم ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لاخطايا لهم ولا ذنوب وكذبوا قال الله إنى لا أظهر ذأ ذنب باخر لا ذنب له ثم أنزل هذه الآية.

يدأب في عبادة ربه مستزيداً لإستزادة اليقين وهو الآن في البرزخ ومن ثم يوم القيامة دون نهاية دائب في عبادة ربه تخضعاً لديه وحصولاً علي معرفة زائدة ليستزيد بها العبادة كما يستزيد المعرفة بالعبادة، فرقدان يتجاوبان علي طول الحياة الأبدية المحمدية في المعرفة والعبودية.

أجل والمتقون (لايرضون من أعمالهم القليل ولايستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون إذا زكى أحد منهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بى من نفسى اللهم لاتو آخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون وأغفر لى ما لا يعلمون)^١.

فيالتزكية النفس من إثم مبین ، يجمد صاحبها عن كل حراك حيوى صالح، ويورده فى كل طالع، حين يري نفسه مبرأة من كل القذارات والعقوبات والمسؤوليات.

وما شأن هؤلاء اليهود المزكين أنفسهم إلا شأن من يحسبون أنفسهم مسلمين فلا بد وأن الله ناصرهم ومخرج لهم اليهود من أرضهم، بينما هم منسلخون عن حبل من الله وحبل من الناس، واليهود مستمسكون بحبل من الناس، فهم متغلبون - علي قلتهم - عليهم علي كثيرهم.

فلئن يعجب من عجب هؤلاء اليهود فى تزكيهم أنفسهم فأمر الأكثرية الساحقة من المسلمين أعجب، حيث يكتفون بالجنسية الإسلامية وهم عن واقعها براء وفى عراء.

ذلك! وقد تذهب تزكية النفس الجهلاء بالمزكى الي أضل بلاء أن يري المشرك أفضل من المسلم نفياً له عن صالح الإيمان أنفى من طالع الكفر المطلق!

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

^١ . نهج البلاغة من كلام للإمام على أميرالمؤمنينX يصف فيه المتقين (لايرضون..).

يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤:٣)

أولئك (الذين لهم نصيب من الكتاب) دون كل الكتاب، ينفون الإيمان عمّن أتوا كل الكتاب، وليس فقط سلب الإيمان وإثبات الضلال عليهم بل (ويقولون للذين كفروا) مشركين (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً) وهم أولاء المتقولون قولتهم الكافرة (يؤمنون بالجبوت والطاغوت)!

فـ (الجبوت) هو الوثن غير ذى عقل ولا شعور و(الطاغوت) هو العاقل المعبود من دون الله، طاغياً على الله وعلى خلق الله، فأيمان هؤلاء الكتابيين بالجبوت هو تقريبهم أنفسهم الي الأوثان تبعيداً لأصول الموحدين المؤمنين، وإيمانهم بالطاغوت طاعتهم العمياء لأحبارهم ورهبانهم من دون الله: (إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (٩: ٣١)

هؤلاء الأوغاد الأنكاد يفضلون المشركين علي المؤمنين كما يفضلون طاعة أحبارهم ورهبانهم علي طاعة الله!.

فقد نري حى بن أخطبهم وكعب بن أشرفهم يحالفان المشركين علي قتال رسول الله³ ونري كعبهم يسجد صنمين من أصنام المشركين مجارةً لهم ليصدقوه في عزم الحرب معهم علي

١ . الدر المنثور ٢: ١٧١ - أخرج الطبراني والبيهقي في الدلائل من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: قدم حى بن أخطب وكعب بن أشرف مكة علي قريش فخالفهم علي قتال رسول الله³ فقالوا لهم: أنتم أهل العلم القديم وأهل الكتاب فأخبرونا عنا وعن محمد قالوا: وما أنتم وما محمد؟ قالوا ننجر الكوماء ونسقى اللبن علي الماء ونفك العتاة ونسقى الحجيج ونصل الأرحام، قالوا فما محمد؟ قالوا: منبور قطع أرحامنا وأتبعه سراق الحجيج وبنو غفار، قالوا: لابل أنتم خير منهم وأهدى سبيلاً فأنزل الله هذه الآية.

رسول الله³.

ذلك! وفي تفضيل عبدة الجبت والطاغوت علي المؤمنين إيمان بالجبت والطاغوت وكفر بالإيمان.

ويلاهم من بغضاءهم الجنوني كيف مسحوا لأنفسهم أن يتجاهلوا المشاركة الكتابية بينهم وبين المؤمنين فدخلوا في حضون المشركين تعاهداً كافراً أكفر من المشركين في قتال رسول الله³.

فكيف بمن يدعون أنهم أبناء الله وأحباءه يتعاونون مع المشركين به وأعداءه علي المؤمنين به وأحباءه، وذلك أنحس من الإشراك به وأنجس!

أجل، فإنهم ذووا أطماع توسعيه غير متناهية لحد، وذووا أحقاد غير زائلة بلا أمد، فحين لا يجدون عند الحق وأهله لهم عوناً فلينعزلوا الي أهل الباطل أمثالهم، ثم ليشهدوا للباطل ضد الحق بأية وسيلة فإن الغاية عندهم تبرر الوسيلة!

إنها جبلة لعينة وخطة لئيمة مستمرة معهم علي مدار حياتهم الجهنمية، فلذلك يخصمهم الله باللجنة مرة تلو الأخرى لأنهم باللجنة عليهم من غيرهم أحرى:

(أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً)

لقد خاطب الله الأمة المسلمة أن يروا بكل عجاب هؤلاء اليهود الذين يفضلون المشركين عليهم، أفلا يشمل ذلك التنديد الشديد واللجنة الوبيلة بعض الطوائف الإسلامية القائلة إن اليهود خير من طائفة أخرى

^١ . المصدر أخرج عبدالرزاق وابن جرير عن عكرمة أن كعب بن الأشرف انطلق إلي المشركين من كفار قريش فاستجاشهم علي النبي³ وأمرهم أن يغزوه وقال: أنا معكم نقاتله فقالوا إنكم أهل كتاب و هو صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرأ منكم فإن أردت أن نخرج معك فاسجد ليهذين الصنمين وأمن بهما ففعل ثم قالوا: نحن أهدي أم محمد... قال: بل أنتم خير وأهدي فنزلت هذه الآية.

مسلمة كما سمعناهم هكذا يقولون.^١
 ذلك، يا للهول من الحسد العارم أن يجرَّ
 بصاحبه الي تلکم المجرات السحيقة الكافرة،
 حسداً علي ما آتي الله من فضله أمة أخرى، كأنَّ
 لهم نصيباً من الملك:

(أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً)

فالملك روحياً وزمدياً لله يؤتیه من يشاء
 ويعزله عمن يشاء (قل اللهم مال الملك تؤتي
 الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز
 من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك علي
 كل شيء قدير) (٣: ٢٦)

ويكأن لهم نصيباً من الملك وجاه ملك الله،
 أم تخويلاً من الله، فهم يقتسمون الملك لمن
 يشاءون: (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا
 معيشتهم في حياة الدنيا).

(أم يحسدون الناس علي ما آتاهم الله من فضله
 فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة
 وآتيناهم ملكاً عظيماً)

هؤلاء اليهود النسناس (يحسدون الناس) رسولاً

^١ . لقد حصل ذلك في هجرتي إلي الله من شر الطاغوت
 الشاه عليه لعنة الله، لما هاجرت إلي المدينة
 المنورة وإلي مكة المكرمة حيث أقمت فيها سنتين،
 فواجهت فيمن واجهتهم عميد الجامعة الإسلامية
 بالمدينة المنورة فسألني من أي المذاهب أنت، قلت
 المذهب الإسلامي، قال: أسالك عن مذهبك وتجيبي عن
 دينك؟ قلت: لم يأت رسول الإسلام بمذاهب وإنما آتي
 بدين واحد هو الإسلام، قال: أقول: لك أنت من أي
 المذاهب الإسلامية الموجودة، سني أم شيعي؟ قلت: أنا
 مسلم سني أستن بسنة رسول الله³ وشيعي أشايح رسول الله³
 قال: أظنك تتقي في مذهبك، قلت: كيف أتقي عميد
 الجامعة الإسلامية في مذهب إسلامي هو أصل الإسلام وأنا
 فيه، قال: أظنك رافضياً شيعياً وهم شر من اليهود،
 فتلوت عليه هذه الآية وقلت: إذا فأنت شر منهما حيث
 تفضل اليهود علي طائفة إسلامية تشارككم في أصول
 الإسلام وقروعه مهما اختلفت الآراء حول بعض الفروع،
 كما ويختلف المجتهدون في كل مذهب مع بعضهم البعض
 في بعض الفروع.

هذا وذلك من المبكى المخزي أن تيجرء مسلم علي
 تفضيل الكافر علي مسلم لأنه لا يوافق في مذهب
 الفقهي الخاص!

وكما سمعت بعض الشيعة في لبنان يفضلون
 الإسرائيليين علي الفلسطينيين المسلمين لخلافات
 بينهم سياسية أو مذهبية!

وأئمة ومسلمين (علي ما آتاهم الله من فضله) وهو الرسالة والشرعة القرآنية المهيمنة علي سائر الشرائع والرسول.

(فقد آتينا آل إبراهيم) من إسحاق ومن إسماعيل، فالأنبياء الإسرائيليون كلهم من يعقوب بن إسحاق بمن فيهم من وليي العزم موسي والمسيح بن مريم (عليهم السلام)، ثم الذبوة الإسماعيلية هي بين إسماعيل نفسه وحفيده الوحيد في حقل النبوة محمد³.

آتيناهم أولاء الأركام (الكتاب والحكمة) توراة وأنجيلاً، وقرآناً يهيمن عليهما وعلي كل كتابات الوحي، و (الحكمة) هنا تعم حكمة الكتاب إعلاناً وإسراراً، وحكمة تفهّم الكتاب وتطبيقه بعصمة الوحي أمّا دونه. (وملكاً عظيماً) ما أعظمه في الرسالة

^١ . عن الإمام الحسن المجتبي حين سئل بمحضر والده أمير المؤمنين عليهما السلام: من هم الناس؟ إنه قال: نحن الناس وشعينا أشباه النساء وسائر الناس نسنا.

ويروي عن الإمام الباقر^X في هذه الآية قوله (نحن الناس) رواه من أعلام السنة - إضافة إلي المستفيض عن أصحابنا الإمامية - ابن المغازلي الشافعي في المناقب كما في كفاية الخصام ص ٣٦٧ روي بسنده عن الإمام الباقر^X في الآية قال: نحن الذين يحسدوننا علي ما آتانا الله من فضله، والسيد أبوبكر العلوي الخضرمي في رشفة الصادق ص ٣٧، وابن حجر الهيتمي الملكي في الصواعق ص ١٥٠، والسيد سليمان القندوزي في ينابيع المودة ص ١٢١، أخرج ابن المغازلي عن جابر الجعفي عن محمد الباقر رضي الله عنه في هذه الآية قال: نحن الناس المحسودون، وأخرج ابن المغازلي من أبي صالح عن ابن عباس قال: هذه الآيات نزلت في النبي³ وفي علي رضي الله عنه.

ومن طريق أخواننا روي جماعة من الأعلام أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم المعنيون من الناس. أقول: وهذا من التفسير بالمصداق المختلف فيه فإن رأس الزاوية في الناس هنا هو الرسول³. وممن أخرج ابن المغازلي في المناقب كما في كفاية الخصام ٣٦٧ روي بسنده عن الإمام الباقر^X والسيد أبوبكر العلوي الخضرمي في رشفة الصادق ٣٦ وابن حجر الهيتمي في صواعق ١٥٠، والسيد سليمان القندوزي في ينابيع المودة ١٢١، وأخرج ابن المغازلي من أبي صالح عن ابن عباس قال: هذه الآية نزلت في النبي³ وفي علي^X، وأخرج عن جابر الجعفي عن محمد الباقر^X في هذه الآية قال: نحن الناس المحسودون.

الإسلامية السامية في القيادات الروحية ، وكذلك الزمنية كما في زمن الرسول 3 نفسه حين أسس دولة الإسلام في المدينة المنورة ، ومن ثم في شطر من إمامة علي أمير المؤمنين X ثم القيادة العالمية بكل حقولها زمن صاحب الأمر القائم المهدي من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

فكيف يحسد اليهود علي ما آتي الله الناس المحمديين من فضله من بعد ما آتاهم من فضله وقد تلمح (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران علي العالمين) (٣ : ٣٣) تلمح لإختصاص آل إبراهيم بمحمد وأهليه المعصومين، حين يراد بال عمران موسي بن عمران و مريم بنت عمران، أم هم أبرز المصاديق من آل إبراهيم و كما اختصهم في دعاءه عند بناء البيت بذكره: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فهذه الأمة المسلمة هي من إبراهيم من إسماعيل دون إسحاق، ولاتعني (آل إبراهيم) بنى إسحاق فحسب - إن لم تعن فقط بنى إسماعيل - حيث التنديد بحسدهم يرجع تقريراً له لمكان إختصاص الفضل - إذاً - بنى إسحاق وهم لا يحسدون أنفسهم علي ما آتاهم الله من فضله، إذاً فهم الأمة المتميزة المسلمة المخصوصة بدعاء إبراهيم X.

إشتراء الضلالة بالهدى

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَ يُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ أَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَ رَاعِنَا لِيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْنَا فِي الدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أَسْمَعُ وَ أَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعُولًا (٤٧) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) (٤٨:٣)

فى هذه الآيات لفتات مؤنبة إلى المتخلفين من أهل الكتاب، معارك يخوضها القرآن بالمتخلفين فى مواجهة الجاهليات الشركية والكتابية، معارك مع العساكر المعادية يجب أن يخوضها المؤمنون بهدى القرآن العظيم.

ولقد بنى القرآن المجتمع الإسلامى على الأسس الجديدة الإسلامية ما إن تمسكوا بها نجحوا فى المعارك الخارجية ضد الأعداء الخارجيين.

فإلى خوض تلك المعارك فى الجبهات الخارجية بعد خوضنا معارك الضمائر والمشاعر ونجحنا فيها على الأعداء الداخليين.

وليس التفوق الإيمانى فى هذه المعارك على الجاهليات تفوقاً - فقط - بالسيف والنار، بل - وفى الأصل - بالحجج الدامغة والخلق العالية السامقة، والسمود المطلق المطبق أمام كل العراقيل المترتبة بهم دوائر السوء.

وقد اجتاحت القوة الإيمانية الإمبراطوريتين العظيمتين الإيرانية والرومية،

بعدهما اجتاحت الجاهلية في الجزيرة، ومن ثم في سائر الأرض سواء أكان معها جيش و سيف مكافح أم كان معها مصحف وأذان.

أجل! إنها لم تكن غلبة عسكرية فحسب في ربح من الزمن، بل و بأحري غلبة عقيدية ثقافية سياسية خلقية إقتصادية وحتي في اللغة، حيث أثرت لغة القرآن في امم آمنت به فغيرت لغاتها كمصر و سوريا او مزجت بلغاتها كما في إيران.

و نري هذه الآيات تبدأ بسؤال التنديد الشديد عن موقف أهل الكتاب:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا) (٥١)

(الكتاب) هنا هو كتاب الوحي ككل حيث يجمعه القرآن دون إبقاء، وما الكتب السابقة إلا نماذج محدودة مؤقتة تعبد الطريق لنزول (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين).

ثم هؤلاء لم يؤتوا - بالفعل - إلا نصيباً من وحي التوراة والإنجيل قضية الخلط بين وحي الأرض والسماء فيهما، سواء فيما حرفوه من الكتاب أم ما حرفه سواهم (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا خطأ مما ذكروا به ولا تزال تطلع علي خائنة منهم إلا قليلاً منهم) (٥) :

(١٣).

(أوتوا نصيباً من الكتاب) حال أنهم (يشترون الضلالة) وهي الآيات الدخيلة والمحرفة في الكتاب، أم المؤولة بغير تأويلها، ثم (ويريدون أن تضلوا) أنتم (السبيل) كما هم.

ومن إشتراءهم الضلالة بالهدى بقاءهم علي ما هم عليه من شرعة منسوخة ولو لم تكن محرفة، حيث الشرعة المنسوخة محظورة كما التخلف عن أصل الشرعة الربانية محظور.

ولقد كانت شرعة التوراة لهم هدي قبل القرآن ثم هي هدي لهم إلي شرعة القرآن، وهم تركوا الهديين التوراتيين إلي الضلالة

حيث ظلوا هوداً وأضلوا كثيراً وهم أولاء (يريدون أن تضلوا السبيل)! طمساً لمعالم الهدى عن بكرتها حتي يعيشوا مع المهتدين في سواء الضلال وسوآته).

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا) (٤٥)

هو أعلم منكم بأعداءكم فيعرفكم إياهم لكي تتحذروهم (وكفي بالله ولياً) لكم دون عباده ككل فضلاً عن هؤلاء الأنكاد (وكفي بالله نصيراً) لكم عن بأسهم، فهو الذي يلي أموركم و ينصركم.

(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (٤٦)

(من) هنا قد تعذى كلا البيانية والتبعيضية، بيانية عن (الذين اوتوا نصيباً) وتبعيضية بالنسبة لـ (الذين هادوا) فليسوا كلهم هكذا، وإنما هم بعضهم.

وتحريف الكلم عن مواضعه يعم كلام الله وكلام رسول الله وكلامهم معه 3 فذلك الثالث من التحريف كان دأبهم الدائب تدجيلاً وتضليلاً بذلك التحويل العليل، وهي ظاهرة ملحوظة في رجالات من رجالات الدين، انحرافاً عن الدين الحق واتخاذاً لشرعة الله حرفة وصناعة يتجرون بها في متاجر الأهواء الساقطة والأجواء الماقتة، ليداً في كثير من مظاهر الدين اعمالاً واقوالاً واحوالاً.

فهم ينكسون - دوماً - الكلام عن حقائقه ويزيلونه عن جهة صوابه، حملاً له علي أهوائهم وعطفاً علي آرائهم.

ذلك كما وأن تحريف كلام الله كسائر الكلام يعم اللفظي إلي المعنوي تأويلاً إلي غير تأويله ما وجدوا إليه سبيلاً، إذ يهدفون تغطية الحقائق عن أهلها كما يستطيعون، ومن

ضوابطهم في التحريف أن الغاية تبرر الوسيلة.

وقد يعم تحريفهم الكلم عن مواضعه، تحريفاً موضعياً لفظياً إلى تحريفه معنوياً وإلى تغيير مواضع الالفاظ ادبياً، ليغطوا في هذا الثالوث علي الحقائق المعنوية، كما في كثير من البشارات المحمدية 3 وأحكام وقصص أمّاهيه.

في (راعنا) القائلة في اللغة العربية (انظرنا) كما في (يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) (٢ : ١٠٤) هؤلاء الأنكاد يحولونها (لياً بالسنتهم وطعنناً في الدين) فقد جمعوا هنا إلى تحريف اللفظ تحريف المعنى بذلك الذي الخفى وقد فضحهم الله حيث نهى المؤمنين عن أن يقولوا (راعنا) كيلا يجد هؤلاء مدخلاً منها إلى ليهم وتحريفهم.

ف (راعنا) في العربية تعنى (انظرنا) وهم حرفوها ليّاً بالسنتهم الي ضدها في المعنى، وذلك الطعن في الدين قد يناسب لي (راعنا) إلى ما يناسب ذلك الطعن، والرعن في العبرانية هي الحمق، إذاً ف (رَعْنَا) ليّاً في (راعنا) قد تعنى: حمقاً، وذلك هو أظعن الطعن في الدين أن يكون الرسول 3 - وعوداً بالله - من الحمقاء!.

وقد يعنى (راعنا) الملوية - إضافة الي ما عنت - (راعنا) من الرعوننة أن (يا راعناً) مدلاً فيما تدعيه من الرسالة، أم لي المعنى - فقط - أن (إرعنا) سمعك فكن لنا إذناً، وهم قد جمعوا بين لي اللفظ إلى لي المعنى ولي المعنى إلى غير ما يُعني!.

ففي ترك المؤمنين قول (راعنا) سدّ علي ثغرة يهودية لنائمة وآخر علي مجهلة إسلامية، كيلا يخيل إلى المسلمين السذج أن (راعنا) من هؤلاء هي ك (راعنا) منهم كيف وهم قائلون (سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع) مما يدل علي تدجيلهم في (راعنا).. (ولكن لعنهم الله بكفرهم)

العميق الحميق (فلا يؤمنون إلا) إيماناً (قليلاً) و (إلا قليلاً) منهم .
 (يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مُصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧)

(أتوا الكتاب) تحريض علي مراجعة الكتاب وجاه الشريعة الأخيرة، ان لصاحب الشريعة الكتابية مسؤولية ليست علي الأميين، و (آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم) إنباءً بأن نبياً هذه الشريعة الجديدة آتٍ في كتابات السماء لو كانوا يعقلون.
 فالقرآن يصدق مع الدشارات المحمدية في كتابات السماء تجاوباً رائعاً بين القرآن وبين هذه الكتب، يصدق رسالات هذه الكتب ورسالتها.

(آمنوا... من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها علي أدبارها) كما انطمست وجوههم عن النظر إلي كتبهم المصدقة للقرآن) ونبيه، وإلي القرآن نفسه، فإنه بينة مستقلة لصدق وحيه، فالوجوه المطموسة المردودة علي أدبارها هنا نفسياً تطمس بعد الموت وترد علي ادبارها هناك واقعياً جزاءً وفاقاً.
 (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت): فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) (٧: ١٦٦) (وكان أمر الله مفعولاً) في الأولي والأخري حيث الجزاء الوفاق هو العدل الحاسم القاصم.

ويلا هم كيف لا يؤمنون و هم أهل الكتاب، ليست غريباً عنهم هذه الهدى الأخيرة المصدقة لما معهم، فهم أقرب إلي الشريعة الكتابية من الأميين المشركين وقد آمن منهم كثير! فلا يصددهم أولاء عن إيمانهم وهو بأيمانهم إلا أحقاد طائفية وتصلبات عنصرية أمأهيه، فلأنهم انطمست وجوههم عن الفطرة والعقلية الإنسانية والإيمانية بذات أيديهم ماشين علي

أدبارهم القهقري، فقد (نطمس وجوهاً فنردها علي أدبارها او نلعنهم...)^١: (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون)(١١٠:٦) وقلب وجوه الفطريات والعقول والأفئدة والأبصار هو من خلفيات التقلبات المتخلفة عن الهدى، المتردية الي الردي، جزاءً وفاقاً في الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم .

ان لعنهم كاصحاب السبت -وهو أحد شقى العذاب - هو للأولي، ولكن طمس وجوههم قد يعم الذناتين، فهنا طمس لوجوه عقولهم علي أدبارها حتي لايعقلوا الحق وإن قصدوه كما الختم علي القلوب، وهناك إضافة لطمسها واقعياً كما انطمسوا هنا^٢، وهذه هي حيلولة من الله بين المرء وقلبه، تقلبياً له عن إنسانيته، ومطموسوا الوجوه في الأخرى هم الذين يؤتون كتابهم وراء ظهورهم: (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يبدعوا ثبوراً) (٨٤ : ١٠) فقد ينظر الي كتابه بوجهه

١ . نورالثقلين ١ : ٣٨٧ عن المجمع نطمسها عن الهدى فنردها علي ادبارها في ضلالتها دماً لبها بإنها لا تفلح ابتداءً، رواه أبو الجارود عن أبي جعفر(عليهما السلام)، وعن جابر الجعفي عنه X في حديث طويل حول قيام القائم بحوادثه - إلي أن قال - : وينزل أمير جيش السفيناتي البيداء فينادي منادٍ من السماء يا بيداء أبيدي بالقوم فيخسف بهم فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم إلي أفئدتهم وهم من كلب وفيهم نزلت هذه الآية (من قبل أن نطمس وجوهاً...).

٢ . في الدر المنثور ٢ : ١٦٨ - أخرج ابن ابي حاتم عن أبي إدريس الخولاني قال كان ابومسلم الخليلي معلم كعب وكان يلومه في ابطائه عن رسول الله 3 قال بعثه لينظر أهو هو؟ قال كعب: حتي أتيت المدينة فإذا قال يقرأ القرآن (يا أيها الذين آمنوا نطمس وجوهاً...) فبادرت الماء أغتسل واني لامس وجهي مخافة أن اطمس ثم أسلمت.

وفيه عن ابن عباس قال كلم رسول الله 3 رؤوساء من أخبار يهود منهم عبدالله بن سوريا وكعب بن أسد فقال لهم يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتمكم به لحق فقلوا: ما نعرف ذلك يا محمد فانزل الله هذه الآية.

المقلوب وراء ظهره حتي يقرء كتابه الذى أوتيه وراء ظهره، وانقلاب الوجه الإنسانى إلي حيوانية الحياة هو - حقاً - الرجعية اللعينة، رجوعاً إلي الأدبار، إلي البوار والدمار: (إن الذين ارتدوا علي أدبارهم من بعدما تبين لهم الهدى الشيطان رسول لهم واملي لهم) (٤٧: ٢٥). ومن طمس وجوه طمس وجوه من الكفرة اليهود وهم رؤوس الضلالة حيث يشملهم الذل والصغار وكما نراه فى الضالين من علمائهم وكبارهم وكما حصل من ذى قبل فى إجلاء قريظة والنضير إلي الشام فرد الله وجوههم علي أدبارهم حين عادوا إلي أذرعات وأريحاء من أرض الشام كما جاء وامذها بدءاً.

ويؤيد هذا الوجه من الوجوه (أو نلعنهم) دون (نلعنها) و (هم) تعنى إياهم أنفسهم، لا - فقط - وجوههم، والتنكر فى (وجوهاً) دليل أن المقصود ليسوا هم كلهم، وإنما (وجوههم) الوجهاء الرؤوس فى حمل مشاعل الضلال والإضلال.

ومن طمسهم ما تآذن الله (ليبعثن عليهم إلي يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) (٧: ١٦٧) وهم ملاحقون طول تاريخهم النجس النجس وحتى يقضى عليهم فى مرتى إفسادهم العالميين. وقد يجمع كل هذه المعانى أن الله يزيل تخاطيط هذه الوجوه ومعارفها، تشبيهاً بالصحيفة المطموسة التى عميت سطورها وأشكلت حروفها، طمساً عن معانيها المعنوية فتصبح الوجوه كما الأدبار و الأدبار كما الوجوه فى معاكسة الكيان.

فلا يرد أن هذا الوعيد لم يتحقق علي هؤلاء الكافرين من أهل الكتاب إذ نراهم طوال القرون الإسلامية مستمرين فى كفرهم ولمّا تطمس وجوههم الظاهرة رداً علي أدبارهم!

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) (٤٨)

آية منقطعة النظير في سلبية الغفران عن الإِشراك بأسره وإيجابيته لما دونه من الذنوب من المذنبين، فهل إن طليق الكفر - حتى الإلحاد - هو دون الإِشراك بالله حتي يحتمل الغفران؟ ومتي لا يُغفر الإِشراك وهو مغفور في حياة التكليف بأسرها اللّهم إلا إيماناً عند رؤية البأس فيها، اللّهم إلا إذا كان إيماناً صادقاً كما في قوم يونس، والإِشراك بالله هنا قد يعني فقط تأليه مَنْ دون الله عبادةً للأوثان والطواغيت كما في أخري: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً. إن يدعون من دونه إلا أناثاً...).

(وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ

بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) (٥٣)

(وكذلك) الشديد البلاء، العظيم الابتلاء (فتنا بعضهم ببعض) حيث فتن الكفار الأغنياء بالمؤمنين الفقراء، ومن الغاية الصالحة لهذه الفتنة الربانية (ليقولوا) هؤلاء الكافرون (أهؤلاء) الفقراء الضعفاء المؤمنون (منّ الله عليهم) بالإيمان والكرامة (من بيننا)؟ ونحن أحقّ منهم بكل كرامة، وهم أحقّ منا بكل عرامة، أم ولا أقلّ من التسوية بيننا وبينهم!

والجواب الحاسم: (أليس الله بأعلم بالشاكرين) وهم الفقراء السابقون إلي الإيمان، فالمؤمنون عليه من الله ليس منه فوضي جزاف، إنما هو شكره نعمة الرسالة وهم كافرون.

فالفتنة في أصلها هي فتنة الذهب الخليط بالنار لاستخراج الخليص، وهذه غاية صالحة تربوية تمحيصاً وتخليصاً بما يُسعي (وأن ليس للإنسان إلا ما سعي).

وهنا في شأن النزول فتنة ثلاثية حيث فتن الرسول³ بها وفتن كل بالآخر، وكان الساقط في هذه الفتنة هم الأشراف، ومن مقالهم

لرسول³: (نؤمن لك فإذا صلينا معك فأخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا)^١.

وتري (ليقولوا) هي غاية مقصودة لربنا في هذه الفتنة الشاغرة المائرة؟ إنها مقصودة بجنب كونها إعتيادية للمفتونين بطبيعة حال الفتنة، فقد يريد الله بما يفتن عباده ليَعلم صالح الإيمان من طالحه المدعي عَلماً، ولكي يعرف الناس أقدارهم أنفسهم ويُعرفوا بها، وحياة التكليف كلها فتنة.

ذلك! وفي فتنة بين الفقراء والأغنياء نري الأكثرية الساحقة من السقوط بين الأغنياء المترفين، مهما يسقط من الفقراء من يبههم باهر الظاهر من زخرفة الحياة الدنيا.

ذلك مهما كان كل من الفقر والغنى فتنة لكل من الفقراء والأغنياء: (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن. كلاً..). (٨٩: ١٧) فإنها فتنة وأفتئها فتنة الكرامة والنعمة حيث يسقط فيها خلق كثير، ثم الفقر المدقع، ومن ثم حالة العوان بينهما فانها أيسر الفتن.

والحكمة التربوية الربانية تقتضى الإختلاف بين العطيات والقابليات ليخلص في هذا اليبين خالص، ويفلس فالس كالس، إتما مأ للبلية الربانية بعد إبتلاءهم بسائر التكاليف والمسؤوليات الفردية والجماعية.

ولقد بقى في هذه الفتنة فقراء الجيوب أغنياء القلوب عند رسول الله³ ونفر نفر من المستكبرين الأغنياء الأغنياء، المستنكفين عن الإيمان يقولون: (أهؤلاء) السقاط من الناس البائسين الكالسين (من الله عليهم من بيننا) بنعمة الإيمان وكرامته ونحن أحق بها منهم، قولة هازئة لاتحمل واقعاً من الإهتمام بالإيمان، ولو كان لما كان من قضايا

^١ . الدر المنثور ٣ : ١٤ عن ابن عباس في الآية قال: هم أناس كانوا مع النبي³ من الفقراء فقال أناس من أشرف الناس: نؤمن... .

الإيمان، فإن فضل الإيمان لا يعرف تقديماً بسائر الفضل، بل هي رذل أمام فضل الإيمان. كما وأن من مقالهم البئيس اليئيس (لو كان خيراً ما سبقونا إليه) (٤٦: ١١).

وهنا يرد عليهم بما يحفل ويحمل إيجات وإيمآت بصيغة إستفهام الإنكار: (أليس الله بأعلم بالشاكرين) فهو يهديهم إلي إيمان، وبإيمانهم إلي مزيد وكرامة، فنعمة الإيمان وكرامته لاتتعلقان بقيم الأرض الزائفة السائدة في الجاهليات، فانما يختص الله بها من يفحص عنها ويسعي لها ويشكرها مهما كانوا من الموالى الضعاف الفقراء، ولا يهدى لها الكبراء الرعناء المتأنفون الذين إثاقلوا إلي الأرض ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة. ذلك! وهكذا يستمر التوجيه الربانى لرسول الإسلام والسلام، أن يصبر نفسه مع المؤمنين بأدئاً لهم بالسلام.

(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٥٢)

هنا (يؤمنون بآياتنا) دون (آمنوا) دليل علي حالة الإيمان قبل واقعه، تحرياً عن صالح الإيمان، فهم مهما كانوا قبل إيمانهم في شك منه ولكنه شك مقدس لأنهم علي وشك منه، فيحق لهم إستقبال رسول الإيمان بـ (سلام عليكم) إخباراً وإنشاءً، دعاءً لسلامهم عن الشك إلي الإيقان، وإخباراً بأنه ليس لهم في ذلك المجيء إلا (سلام).

(فقل سلام عليكم) ثم قل (كتب ربكم علي نفسه الرحمة) ومصبها المكتوب عليه بما كتب: (أنه من عمل سوءً بجهالة) دون إصرار وعناد (ثم تاب من بعده وأصلح) نفسه وأصلح من أفسده وما أفسده (فإنه غفور رحيم).^١

^١ . نورالثقلين ١: ٧٢٢ عن تفسير العياشى عن ابى عمرو الزبيرى عن ابى عبدالله X قال: رحم الله عبداً تاب إلي الله قبل الموت فان التوبة مطهرة من دنس الخطيئة

وتري (من بعده) تعذى عاجله وكما (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) (٤ : ١٧) وقد تقرب شريطة قربه (من بعده)؟

ولكن (ثم) المراخية لمدخولها ثحول (من بعده) إلى الآجل مع العاجل حتى الموت. ولكن (إنما) فى آية النساء تحصر واجب التوبة على الله بالتوبة القريبة!. ولأن النساء مدنية وهذه مكية فقد تكون دائرة التوبة المقبولة - قطعاً - فيها أضيق منها فى مكة، وتلك السعة المكية هى قضية سماحة الدعوة فى بواديها وكما السماحة فى الخطوة للحقول الأحكامية واجبة ومحرمة. ذلك، ولكن مصب هذه الآية هو (الذين يؤمنون بآياتنا) ولما يؤمنوا، فالمفروض فيهم (ثم) إذ قد تسبق لهم سابقة الكفر المديد، والضابطة الثابتة فيهم: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) (٨ : ٣٨)¹.

فسواء أكان ذلك الإيمان فى العهد المكي أو المدنى أم بعد ذلك وإلى يوم الدين، فهذه الضابطة الجاذبة إلى كتلة الإيمان

←

ومنقذة من شقاء الهلكة فرض الله بها على نفسه لعباده الصالحين فقال: كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل سوء بجهالة ثم تاب من بعده فانه غفور رحيم. ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا).

وفيه عن المجمع روى عن ابى عبد الله X أنها نزلت فى التائبين، أقول: عدلهم التائبون عن الكفر، حيث التائبون عن العصيان حالة الايمان انما التوبة لهم على الله إذا تابوا من قريب. وفى تفسير البرهان ١ : ٥٧٧ عن زرارة عن ابى جعفر عليهما السلام قال: إذا بلغت النفس هذه - وأهوى بيده إلى حلقه - لم يكن للعالم توبة وكان للجاهل توبة.

. الدر المنثور ٣ : ١٤ عن هامان قال أتى قوم إلى النبى 3 فقالوا: إنا صبنا ذنوبنا عظاماً، فما رد عليهم شيئاً فأنصرفوا فأنزل الله (وإذا جاءك...) فدعاهم فقرأها عليهم.

واردة بحق الذين يؤمنون .
فأما إذا آمنوا فـ : (إنما التوبة على الله
للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من
قريب) (٤ : ١٧) وأما التائبون من غريب فهم
مرجون لأمر الله، سواء في العهدين أم سواهما .
و حين يبدأ النبي³ (الذين يؤمنون بأياتنا)
بـ (سلام عليكم) فما تري - إذا - سلامه للذين
آمنوا؟ لقد كانوا إذا دخلوا على النبي³
بدأهم فقال: سلام عليكم، وإذا لقيهم فكذلك
أيضاً^١ .

وقد تعم (الذين يؤمنون) من آمن من قبل
ومن يؤمن فانهما مشتركان في حالة الإيمان
وهالته، فقد (كان النبي³ إذا رآهم - أهل
الصفة - بدأهم بالسلام ويقول: الحمد لله
الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأه
بالسلام)^٢ .

إذا فـ (ثم تاب من بعده) تعنى كلا التائب
عن الكفر أو الفسق مهما اختلفا في واجب
قبول توبتهم على الله إطلاقاً كما في الأولين،
أو إختصاصه بتوبتهم من قريب كما في
الآخرين .

فاختصاص الآية بالمؤمنين هو خلاف الظاهر
من (الذين يؤمنون) وخلاف النص في آية
النساء: (ثم يتوبون من قريب) وليس في
آياتنا إلا (ثم تاب من بعده) الشامل للقريب
والغريب!

(وَكَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (٥٥)

(كذلك) البعيدة المدي، العميقة الهدى،
الطويلة الصدي (نفسل الآيات) التربوية،
فإنها نقتل من جحيم الحياة الجاهلية إلي
جنة الحياة الانسانية السامية، فليست مجرد
مباديء وقيم ونظريات جافة قاحلة لاتعدوا

^١ . المصدر اخرج ابن المنذر عن ابن جريح قال:
اخبرت ان قوله (سلام عليكم) قال: كانوا...
تفسير الفخر الرازي ١٣: ٣ قال عكرمة كان
النبي³: ...

حدودها إلي الواقع، وإنها تمثل خطوات واسعة ونقلات شاسعة وضيئة علي آفاق الإنسانية، تحققت في الحياة المشرقة الرسولية، والله يريد لها للحياة الرسالية علي طول خطوطها وخطوطها، خازنة كل الذعرات والشعارات القومية والجنسية والطبقية والطائفية والإقليمية أماهيه، رافعة للإنسانية من السفح الساحق إلي الرفع السامق.

ذلك ومع الأسي نري في الحضارة الراقية تراجعاً إلي رجعية الجاهلية وأنحس منها، نري عصبية الجنس واللون وما أشبه لا تقل نتناً عنها أم وتزيد، (ولتستبين سبيل المجرمين)! كما تستبين سبيل المؤمنين، حيث الواو عطف علي محذوف معروف هو سبيل المؤمنين، فانها الغاية القصوي من تفصيل الآيات.

(قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ

إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (٥٦)

هنا نتلمح أن المشركين تخطوا من خطوتهم وخطتهم اللئيمة في طرد المؤمنين، أن يعبد الرسول معهم آلهتهم التي آلهتهم حتي يعبدوا الله معه، شركة متساهمة متسالمة في العبودية، فأمر أن يعلن (إنى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) مهما عبدتم الله بديلها، وبصورة جامعة: (قل لا أتبع أهواءكم) ومنها أن أطردهم فقراء المؤمنين (قد ظلمت إذا) في ذلك الإتياع الغاوي الخاوي (وما أنا من المهتدين) فكيف أحمل لواء الهدى؟! (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أُلْحَمْتُ إِلَّا

لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) (٥٧)

(علي بينة من ربي) هي قرآن محمد ومحمد القرآن، فانهما صنوان تحكهما آية ربانية واحدة (و) الحال أنكم (كذبتم به) بربي في بيئته، فإن تكذيب محمد البيئته وتكذيب

القرآن البيّنة، تكذيب لرب المرسل بيّنة بيّنه، أم كذبتكم بأصل البيّنة وهو القرآن، والجمع أجمل كما هو أكمل، فلو كان القصد إلي (بيّنة) لكان صحيح الضمير (بها).

(ما عندي ما تستعجلون به) من آية عاجلة أم عذاب عاجل (إن الحكم) فيهما وسواهما من حكم رباني (إلا لله) حيث (يقص الحق) إثباعاً لأثره بعد قصّه عن الباطل وفصله (وهو خير الفاصلين) هنا بين الحق والباطل، وهناك يوم الدين بين أهل الحق وأهل الباطل.

لفتة إلى الحكم والحق:

والحكم الصالح هو الجمع الصالح بين الفصائل قلت أم كثرت، من حكمة الدابة التي تربطها عن الإنزلاق والإنحياق، وكذلك حكم الله في التكوين والتشريع وفي أي حقل من حقوله في الأولي والأخري حيث (له الحكم واليه يرجعون).

وكما الله هو الحاكم في التشريع ككل، كذلك هو الحاكم في الأقضية الخاصة بين المتخاصمين.

و (إن الحكم إلا لله) تحصر الحكم بين الخلق بأسره في الله، وطلق (الحكم) يعم مثلثه تكويناً وتشريعاً وشرعة في الحكم الزمني والروحي وهما في الحق واحد، فإن شرعة الله تحمل كل ألوان الحكم بين الخلق.

والحكم المتحلل عن حكم الله ليس إلا حكم الجاهلية مهما كان دركات، كما أن حكم الله فيمن يحمله درجات: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) (٥: ٥٠).

ومهما كان الحكم بزواياه الثلاث لله، ولكن الزاوية الثالثة: الشرعة، يحملها أهل الله بحكم الله: (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) (٦: ٨٩) وهذا هو محط الإستدعاء لمن يحق له: (رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين) (٢٦: ٨٣).

وليس تحكيم الرسل بإذنه إشراكاً في حكمه

حتى ينافي : (ولا يشرك في حكمه أحداً) (١٨):
 (٢٦)، حيث الرسول الذي يحمل حكم الله ويحكم
 بإذن الله ليس مشاركاً لله في حكمه إلا أن يستقل
 بعضاً مما في حكمه أو يستغل، والحاكم بإذن
 الله بعيد عن أي استقلال أو استغلال.

ثم الحق الذي يقصه الله ليس إلا ما أحقه هو
 لا سواه، فالحق بالنسبة لمن سوي الله هو ما
 وافق الحق لأنه ليس نفسه، وهو لله ليس إلا
 نفسه ذاتياً وفعله، فالله ذاته حق وصفاته حق
 وأفعاله حق، وإرادته حق وعلمه حق، فكلما
 وافق حقه فهو الحق، وكلما خالفه فهو
 الباطل، وهذا هو توحيد الحق.

ذلك! ولكنه ليس ليقص ذاته أو صفات ذاته
 لخلقه، إنما يقص ما بالإمكان أن يعرفه
 الخلق أو يعمل من فعله ومشيئته.

فليس (إننا أرسلناك بالحق بشيراً
 ونذيراً) (٢: ١١٩) وما أشبه، يعني إرسالاً بما
 يوافق الواقع المتحلل عن صفات الله وأفعاله،
 بل هو الحق المرسل به من نفسه المقدسة كما
 يراه صالحاً، ف (الحق من ربك فلا تكونن من
 الممترين) (٢: ١٤٧).

فأمثال قوله تعالى: (رب احكم بالحق) (٢١):
 (١١٢) لاتعنى إلا الحكم بما عنده وكله حق، لا
 الحكم بما هو حق عندنا كواقع متحلل عن
 الخالق والخلق.

ثم الحق منه مخلوق كحق التكوين والتشريع
 المتبئيين رحمانيته ورحيميته، ومنه حق غير
 مخلوق كذاته القدسية وصفات ذاته، فكما
 الحق الخالق هو ذاته، كذلك الحق المخلوق
 ليس إلا منه وهو فعله.

فالحق كونياً هو ما وافق تكوينه، والحق
 شرعياً هو الموافق تشريعه، والحق إرادياً هو
 ما وافق إرادته، وكذلك سائر الحق إلي سائر
 ما له من الحق.

فالله تعالى هو الحق وهو الحاكم بالحق
 وليس محكوماً به وكان الحق حقيقة خارجية
 متحللة عن كلا الخالق والمخلوق، فكما الخلق

يحكمهم الحق كذلك الله، وعوداً بالله، ويكأن الحق إله من دون الله يتحكم علي الله كما يتحكم علي خلقه.

ذلك، فلا علينا ولا لنا حين نتجري عن الحق إلا التجري عن فعل الرب ومرضاته، لتتابع في حياتنا وحيوياتنا حقه الطليق عن أي باطل. ولأن الحق الطليق هو الحسن الطليق وسواه هو الباطل القبيح السحيق، إذا فكل ما هو صادر عن الحق هو حق طليق إلا أن نمزجه نحن بباطننا أو نحو له إلي باطل من عندنا.

وهذا لا يعنى إمكانية الظلم والباطل من الله وأنها منه حق لو حصلا، حيث الإمكانية الواقعية لهما بعيدة كل البعد عن ساحة مشيئته ومرضاته، فلا يفعل إلا صالحاً يناسب ساحة ربوبيته العادلة الكريمة.

فمن ينسب ظلماً إلي الله، مبرراً إياه أنه بالنسبة له حق و عدل، إنما ينسب إليه المستحيل عليه بربوبيته، وإن لم يكن مستحيلاً عليه ذاتياً فلا يقدر عليه الحكم بما عنده وكله حق، لا الحكم بما هو حق عندنا كواقع متحلل عن الخالق والخلق.

ثم الحق منه مخلوق كحق التكوين والتشريع المتبئين رحمانيته ورحيميته، ومنه حق غير مخلوق كذاته القدسية و صفات ذاته، فكما الحق الخالق هو ذاته، كذلك الحق المخلوق ليس إلا منه و هو فعله.

فالحق كونياً هو ما وافق تكوينه، والحق شرعياً هو الموافق تشريعه، والحق إرادياً هو ما وافق إرادته، وكذلك سائر الحق إلي سائر ما له من الحق.

فالله تعالى هو الحق و هو الحاكم بالحق وليس محكوماً به وكان الحق حقيقة خارجية متحللة عن كلا الخالق والمخلوق، فكما الخلق يحكمهم الحق كذلك الله، و عوداً بالله، ويكأن الحق إله من دون الله يتحكم علي الله كما يتحكم علي خلقه.

ذلك، فلا علينا ولا لنا حين نتجري عن الحق

إلا التحرى عن فعل الرب ومرضاته، لئلتابع فى حياتنا وحيوياتنا حقه الطليق عن أى باطل. ولأن الحق الطليق هو الحسن الطليق وسواه هو الباطل القبيح السحيق، إذاً فكل ما هو صادر عن الحق هو حق طليق إلا أن نمزجه نحن بباطلنا أو نحوله إلى باطل من عندنا.

وهذا لا يعنى إمكانية الظلم والباطل من الله وأنهما منه حق لو حصلا، حيث الإمكانية الواقعية لهما بعيدة كل البعد عن ساحة مشيئته ومرضاته، فلا يفعل إلا صالحاً يناسب ساحة ربوبيته العادلة الكريمة.

فمن ينسب ظلماً إلى الله، مبرراً إياه أنه بالنسبة له حق و عدل، إنما ينسب إليه المستحيل عليه بربوبيته، وإن لم يكن مستحيلاً عليه ذاتياً فلا يقدر عليه.

ولأنه حق فى كل أفعاله وحسن فيها محسن، لذلك (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (٢١ : ٢٣) (له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم) (٢٨ : ٧٠) (والله يحكم لا معقب لحكمه) (١٣ : ٤١) : (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) (١٠ : ٣٢) و (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يتسجبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) (١٣ : ١٤).

وفى رجعة أخرى إلى الحق نقول إنه إثنان: حق طليق يخص بالله تعالى شأنه، وحق غير طليق وهو لأهل الحق من خلقه شرعة وإيماناً، ولجميع خلقه تكويناً فإنهم كخلق الله حق خلقوا بحق: (ما خلقنا السماوات والأرض إلا بالحق).

وهنا (يقص الحق) يعمهما، فهو يقص حق ذاته وصفاته وأفعاله وتشريعاته عمن سواه، كما يقصها عن باطل كل المنسوب به إياه، ويقص رسله عن المدعين رسالته كذباً، وأحكامه عن سائر الأحكام المنسوبة إليه.

إذاً فقص الحق يخصه دون سواه تكويناً وتشريعاً وشرعة، وما الرسل إلا حملة شرعته

دون تشريع أو تكوين.
ثم (يقص) طليقةً عن ظرفك (عن) وما أشبهه،
تعم قصّ الحق في نفسه وقصّه عما سواه، فله
القصص الحق كأصل لا سواه.

الأمّل خيراً وشرّاً

ذرهم ياكلوا ويتمنعوا ويلهم الامل

الامال بين خيرة وشريرة

(رَبُّمَا يَؤَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) (٢:١٥)

وربما قيل في (ربما) اقاويل، كأنها لا تدخل إلا على الماضي إذ لم يجدوها في استعمال العرب جاهدياً و سواه تدخل على المستقبل؟ وكلام الله اقوي واجل واشرف مستند لصحة دخولها عليه!

ثم وفي استقبال فعلها هنا شمول لمثلث الزمان، يوم الدنيا والبرزخ^١ ويوم الدين، في الأول ربما هو قليل، إذ يعرفون فيها خطأهم، ويتحسرون ان (لو كانوا مسلمين). ولكن هيهات، ولات حين مناص، وقد فات يوم خلاص.

(ربما يود..) ولكنه حيث لا ينفج التمدني ولا يجدى الوداد، و ذلك تهدد خفي واستهزاء ملفوف بالذين كفروا منذ الموت، وحث علي انتهاز الفرصة المعروضة للإسلام قبل الموت.

ولو انهم يودون هنا لو كانوا مسلمين وما هم بمسلمين فإن هم إلا كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون) فـ :
(ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (٣)

(ذرهم) في حوضهم يلعبون، حين لا يرجي منهم اسلام وهم يترجون، أتركهم وما هم فيه من حيونات الحياة وشهواتها (ياكلوا) حيث هو بغيتهم من الحياة (ويتمتعوا) بسائر المتع البهيمية (ويلهم الأمل) البعيد الطويل في

^١ . تفسير البرهان ٢ : ٣٢٥ بسند عن جابر بن يزيد قال قال ابو عبدالله X قال امير المؤمنين X في الآية هو اذا خرجت انا وشيعتي وخرج عثمان وشيعته وثقل بني امية فعندها يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

الحياة الدنيا عن الحياة الآخرة إذ لا يعلمون: (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) (٣٠: ٧) (فسوف يعلمون) منذ الموت والي القيامة الكبرى حين يرون العذاب، يعلمون انه الحق من ربهم، عين اليقين، مهما كانوا يعلمون هنا علم اليقين (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً) (٢٧: ١٤).

فيا لصاحب الامل الخاطيء الخابط من خبط وخطل (يتعاطي الأمل فيختلجه الأجل دون ذلك)^١ فهو عائش بين الامل والاجل، ولكن لا يمهلله الاجل، مهما أمهله الأمل.

ف (انما اخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوي وطول الامل، اما اتباع الهوي فانه يصد عن الحق واما طول الامل فينسى الآخرة)^٢ فـ (اذا استحقت ولاية الله والسعادة جاء الأجل بين العينين وذهب الأمل وراء الظهر، واذا استحقت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين وذهب الأجل وراء الظهر)^٣ و (ما أطال عبد الأمل إلا ساء العمل)^٤. و (ما أنزل الموت حق منزلته من عد غداً من اجله) (واعلموا أن الأمل يُسهى القلب ويُنسى الذكر فاكذبوا الأمل فانه غرور وصاحبه مغرور)^٥ فـ (إن صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالشح والأمل)^٦ والأمل المذموم في آيته

١ . الدر المنثور ٤: ٩٤ - اخرج احمد وابن مردويه عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله ﷺ غرس عوداً بين يديه واخر الي جذبه واخر بعده قال: اتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله اعلم قال: فان هذا الانسان وهذا اجله وهذا امه فيتعاطي...
٢ . نورالثقلين ٣: ٣ عن اصول الكافي بسند عن يحيى بن عقيل قال قال امير المؤمنين X: ...
٣ . المصدر عن الكافي بسند عن ابي شيبة الزهري عن ابي جعفر X قال قال رسول الله ﷺ: ...
٤ . المصدر الكافي عن امير المؤمنين X.
٥ . نهج البلاغة عن امير المؤمنين X.
٦ . المصدر عن كتاب الخصال عن عبدالله بن حسن بن علي X عن امه بنت الحسين (عليهم السلام) عن ابيها قال قال رسول الله ﷺ: ...

هنا هو الملهي (ويلهم الأمل) وفي روايته: طول الأمل، فنفس الأمل إذاً ليس مذموماً فمنه ممدوح ومنه مذموم، واجمع تعبير لمذموه (ويلهم الأمل).

ثم وطول الامل مقابل قصره دون تركه عن بكرته حيث الامل في اصله زاد الحياة وراحلتها، فقد يأمل أطول مما يعمل، رجاءً زائداً علي ما ينتجه العمل، فهو طول الأمل، وإذا كان دون عمل فهو اطول، وإذا كان أمل الخير من عمل الشر فأنكي وأعضل.

وقد يكون اقصر من العمل، وفيه فشل في العمل، وسوء ظن بالله الذي وعد علي الصالحات عشر اضعافها، فان امل اقل منها، ام اقل من قدر العمل فسوء ظن بوعد الله.

واما اذا كان املاً علي قدر العمل فهو عدل في الامل.

إذا فأمل الخير في عمله بين إفراط هو طوله وتفريط هو قصره، وعوان هو قصره علي حد العمل، واما الأمل دون عمل، ام امل الخير من العمل السوء، ام امل المستحيل بعمل ودون عمل، فكل ذلك هباء خواء، تجمعها (ويلهم الامل) ويقابلها أمل دون إلهاء وهو الامل الحق علي ضوء العمل الحق، او الوعد الحق وان كان دون عمل، كما وعد الله المؤمنين علي نياتهم الحسنة خيراً حين لايقدررون علي العمل بها.

فحين تحصل موافقات بني القول والعمل والنية والامل والسنة، فهنا الامل الصالح، وفي منافقاتها في أية دركاتها الأمل الملهي، هناك درجات وهنا دركات.

(ذرههم يأكلوا ويتمتعوا) - (والدين كفرُوا يتمتعون ويأكلون كما يأكل الأنعام والنار مثوي لهم) (٤٧ : ١٢) فالأمل أملان، أمل في الحياة الدنيا تزيّفه هذه الآية الوحيدة في سائر القرآن، وآخر فيما عند الله له وحيدة اخري: (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) (١٨ : ٤٦).

فمن يأمل رحمة الله، ويعمل لأمله بمرضات الله. فهو أمل ما عند الله مهما طال.

ومن يأمل دنيا الحياة وزينتها، فهو عامل لها عاصياً لله، أملاً ما لا يرضاه الله مهما قصر. فليس طول الأمل ذمياً إلا بعيداً عن مرضات الله، والمؤمن أمله طويل فيما عند الله لدنياه وعقباه (والعاقبة للتقوي) (٢٠: ١٣٢) : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (٢: ٢٠١).

و كضابطة عامة لا أمل إلا بعمل يوافقه، فلا أمل دون عمل كما لا عمل دون أمل، صالحين كانا ام طالحين، ثم لا أمل اطلاقاً فيما لا يمكن ذاتياً ام عرضياً فانه باطل قاحل.

ففي مثلث وفاق الامل مع العمل ام نفاقه او كون احدهما دون زميله، الحق هو الأول ان كان في مرضات الله كما امر الله.

فما كل أمل بمكروه، حيث الانسان ايأ كان يعيش الأمل ويعيشه الأمل، فان كان أملاً في مرضات الله علي عمل وفيدما وعد الله فهو قضية الايمان، كما القائم المنتظر والعدل المؤمل يأمله كل مؤمن كما وعد الله، ولكن شرط العمل وفق الأمل، أمل يشجعه علي العمل الصالح لكي يصلح ان يكون من شعبه وتحت لواءه، وقد يروي عن النبي³ في صالح الامل قوله: (الأمل رحمة لأمتي ولولا الامل ما وضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجراً^١).

وان كان املاً في غير مرضاته، ولا سيما دون عمل يستقبله، وانه يلهيه عن كل أمل وعمل في مرضات الله، وما يعنيه في صالح الحياة

^١ . سفينة البحار ١: ٣٠ عن روضة الكافي وفيه ايضاً قيل بيئما عيسى بن مريم جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويثير الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فومضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى X اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بيئما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الي مئتي تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة، واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقامت الي مسحاتي.

الراضية المرضية، فهو من الأخرسين اعمالاً وآمالاً ف (ذرهـم يأكلوا ويتمتعوا ويلهـمـ الامـل فسوف يعلمون).

أملٌ خارف، وإلهاء جارف في متعة الحياة الدنيا، وهو للذين كفروا واضرابهم^١. ثم امل عوان بين هذا وذاك، يأمله ضعفاء الايمان، قد يلهيهم كما اذا طال، وقد لا يلهيهم اذا قصر، اعاذنا الله شره وضره.

قل للمقيم بغير دار اقامة
حان الرحيل فودّع
ان الذين لقيتهم صاروا جميعاً في
وصحبتهم التراب رميمًا

فـ (من ايقن انه يفارق الأحباب ويسكن التراب ويواجه الحساب ويستغنى عما خلف ويفتقر الي ما قدم كان حرياً بقصر الأمل وطول العمل)^٢ و (لولا الأمل علم الانسان حسب ما هو فيه ولو علم حسبما هو فيه مات من الهول والوجل كفرة)^٤.

فالامل الصالح فيه حياة الإنسان، والامل الطالح فيه هلاكه، فانه صورة حية وسيرة ميدية، لا يزال يخال هذا الانسان، جارياً وراءه كالماء والهواء وهو منشعل به ومستغرق فيه يجاوز منطقة الامان، فيغفل عن الله، وعن كل ما يعنيه في حياته الإنسانية، وهذا هو إلهاء الأمل الطائل لهذا الإنسان الغافل.

^١ . المصدر عن الامام الصادق X ان الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي علي عرشي لا قطعن امل كل مؤمل من الناس امل غيري ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولا نجينه من قربي ولا بعدنه من وصلي يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وييدي مفاتيح الابواب. سفينة البحار ١: ٣٠ للحسن بن علي (عليهما السلام) . . .

^٢ . المصدر عن الكنز قال امير المؤمنين X: . . .
^٣ . المصدر عن امير المؤمنين X: . . . وفيه ان اسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار الي شهر فسمع رسول الله³ فقال: الاتعجبون من اسامة المشتري إلي شهر إن اسامة لطويل الأمل.

فحين يبلغ الانسان الي ذلك الهلاك العامد والكفر الصامد، لم تك لتفعه الذكرى، اذاً فد (ذرهه...) (فذرهم فى غمرتهم حتى حين) (٢٣ : ٥٤).

(فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) (٥٢ : ٤٥) (قل الله ثم ذرهه فى حوضهم يلعبون) (٦ : ٩١).

ذرهه فى تلك الدوامة الدائمة والمصيبة القائمة، حيث الامل يهدهى والمطاع تغر، والعمر يمضى والفرصة تضيع، ذرهه فلا تشغل نفسك بهؤلاء الحماقى الهلكى الذين ضلوا فى متاهة الامل الغرور.

(وَ مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا

يَسْتَأْخِرُونَ) (٥)

فكما سنة الله لاتتخلف وهى جارية فى كل فرد، كذلك فى كل امة وقرية، فلها (كتاب معلوم) عند الله مهما جهلوه وانكروه، وعلى حسب الأمل والعمل يكون الأجل، دونما فوضى جزاف، و(ما تسبق من امة اجلها) المكتوب لها (وما يستأخرون) عنه (ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون) (٧ : ٣٤).

فلا تسحبن امة ولا تحسبنهم يلهى عنهم فيما هم فيه مقترفون، حيث الأجل ينتظرهم قريبا ام بعيداً، وإن من امة تعم امم الخير والشر، فقد يُعجل لأمة الشر أجله، أو يؤجل لأمة الخير أجله وكل فى كتاب.

(وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ) (٧:٢٦)

علها من قيلة القرناء المقيض لهم، يزينون لهم كفرهم بمزيد هو اللغو فى القرآن، بعد أن كانوا به كافرين، ولكى يغلّبوا على دعوة القرآن ودعايته الجذابة الجلابة، كيلا يقعوا - هم او من سواهم - على حد زعمهم: فى فخ القرآن، ولا يُصطادوا بصيده.

فالذين يكفرون بالقرآن يقتسمون إلهي

ثالوث النكران! ١ - نكراناً في أول مرة وقد يؤول إلي إيمان علي ضوء سماع له أو إستماعه وتسمعه ٢ - ونكراناً عريقاً بما سؤلت لهم أنفسهم و سول لهم الشيطان ثم يبعدون عنه فلا له ولا عليه ٣ - ومن ثم نكراناً يعزى غلبهم علي القرآن بمحاولات كلغو فيه! أماذا من دوائر السوء، يترب صونها بدعوة القرآن و ليس إلا عليهم (لعلكم تغلبون) فلا (تغلبون) ولا عوان بين ذلك، بل (تغلبون)! (قال الذين كفروا) لقرناهم الكافرين ولما يصلوا ما وصلوا من عمقهم في كفرهم وحمقهم، قالوا كلمتين اثنتين لهما تأثيرهما ردف بعض! (لا تسمعوا لهذا القرآن) فإنه يسحركم فيحملكم دونما اختيار إلي الإيمان، علماً منهم أنه يأخذ بازمة القلوب فيحركها إلي المطلوب.

ولماذا (لا تسمعوا لهذا القرآن) والسمع متعد بنفسه، والقرآن كتاب واحد لا يحتاج في شخصه وتشخيصه إلي اشارة التعريف؟

القرآن - في وجه عام - يشمل كل مقرو وحيأ وسواه (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) (٣٤ : ٣١) فالذي بين يديه قرآن غير هذا وحيأ (قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله...) (١٠ : ١٥) (غير هذا) وحيأ يختلف عنه (أو بدله) من عند نفسك تحويراً عن وحيه (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلي إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) (١٥).

ف (هذا القرآن) بين قرائين الوحي وسواها هو الذي لا تسمعوا له.

وأما (لهذا) دون (الي هذا)؟ فلأن سماع القرآن قد يعنى الهزاء به واللغو فيه والرد عليه، وأما السماع له فهو سماع خاص لصالح الهدف الذي يُرام، تدبراً فيه وتفكيراً يحويه، فالسماع له ممنوع، وسماعه بين ممنوع وممنوع، ومن الممنوع المفروض (والغوا فيه

لعلكم تغلبون) كلمة ثانية للذين كفروا. فهناك غلبٌ بحجة تدحض حجة القرآن ولسنا عليها بقادرين، فتحوّلاً إلي لغو فيه كيلا يسمعه السامعون، فكما أنتم لا تسمعون له، إختلقوا جو اللإستماع له (لعلكم تغلبون) حجته بعدم بلوغها للناس، ثم افتراءات عليه أنه سحر أو شعر أماذا من مبعّد عنه وهنالك الغلبة التامة.

وإنها كلمة مضللة وقالة قاحلة جاهلة من الكبراء القرناء المقيّض لهم، يدغرون بها الجماهير بعدما عجزوا عن مغالبتة بحجة (لاتسمعوا.. والغوا) سلبٌ ثم إيجابٌ يتضمنان اجتثاث حجة القرآن، مفاصلة بينهما وبين الإنس والجان وسائر المكلفين.

وإنها مهاترة ومكابرة عجزاً عن المواجهة بالحجة، والمقارعة، عند الطغاة المستكبرين علي الإيمان، توسلاً بكل الوسائل، وتربصاً بكل الدوائر (لعلهم يغلبون)! (هيهات هيهات لما يوعدون)!

والدغو هو ما لا يعتد به من فعال او مقال، ومن قيله صوت العصافير في مقياسنا إذ لا نفهمه، ولكنه ليس لغواً بيذها فانه محادثة وذكر لانفهمها، فاللغى منا - علي فهمه - هو الغي من العصافير علي حيونتها. ولغو الفعل والكلام قد يكون لإجمالة كأن كان مفرداً دون جملة، كمفردات الكلام، ولذلك سميت لغة، وقد يكون في جملة إجمالاً لأنه لغة خلاف ما نعرفها من لغة كلغو العصافير أماذا من لغات حيوانية أم انسانية لا نعرفها، وثالثة هو لغو بقول مطلق، لا يعنى أى معني صالح في أية لغة، ثم هو يلحد في لغة سالحة كاللغو في القرآن.

فمن اللغو فيه إلهاء الناس عن السماع له بقصص خرافية أماهيه، ملهية عن سماع القرآن لما يقرء، واللغو بالهرج والصياع والنياع، وبالرجزات والسجعات، وقد فعلوا كل ذلك وافتعلوا ولكنها ذهبت كالتى قبلها إدراج

الرياح وغلب القرآن وغدب هنالك المبطلون!.. ثم لا جواب عن تهددهم هذا إلا بما يلقون - جزاء ما يُلغون - يوم القيامة، حيث الجواب هنا تبابهم عما كانوا يهوون:

(فَلنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٢٧)

قد يعذبي ذوق العذاب أولاً وجاءه وقبل الجزاء، أسوء الذي كانوا يعملون، ذوقه في الدنيا قليلاً، ثم في البرزخ وسطاً، ومن ثم الجزاء الأوفى يوم الجزاء، وسرعان ما شهدنا حنقهم يوم الدنيا أن رجعوا عن لغوهم في هذا القرآن خاسرين مهانين، ومن ثم البرزخ والقيامة الكبرى فإن فيها نفس الجزاء، بعد ذوقه.

و (الذين كفروا) تعم الكبراء الأتباع، و (أسوء الذي كانوا يعملون) هو اللغو في القرآن وأضرابه من بالغ الكفر والتكذيب بآيات الله، والجزاء هنا هو الأسوء نفسه، إذ ليس جزاء بأسوء، مما يتهددهم أن لغوهم في القرآن يبرز يوم القيامة بملكوته جزاءً ف (إنما تجزون ما كنتم تعملون) فهي من الآيات القائلة أن الجزاء هو العمل، فليس هنالك إنتقام وإنتصار، بل هو ظهور ما كان خفياً (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد).

(ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا

يَجْحَدُونَ) (٢٨)

(ذلك) البعيد المدي (جزاء أعداء الله) وهو (النار) (لهم فيها دار الخلد) قدر ما أخلدوا إلي عداة الله (جزاء) وفاقاً (بما كانوا يكسبون).

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ

أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) (٢٩)

(الذين كفروا) هنا هم التابعون و (الذين أضلنا) هم القرناء المتبوعون، يطلب الأولون

ربهم أن يُريهم الآخرين ليدلوهم ويسفلوهم .
وهل (الذين أضلنا من الجن والإنس) هما
شخصان إثنان، إبليس الجن وقابيل الإنس؟
وليس قابيل مضللاً لكل الكافرين مهما كان
بادئ الإضلال من الإنس، فهناك في تاريخ
الإنسان من هو أشد منه وأطغي! وليس المضل
من الجن هو شخص إبليس مهما كان يرأس
المضلين! إذا فهما المنوذان الأولان للإضلال
ومن ثم الآخرون في كل زمان ومكان، و(الذنان)
تثنية الجمع لا المفرد.

وإنه تطلب بخنق عنيف تحرقاً علي الانتقام،
أترى إنهم المجابون في طلبتهم هذه؟ عله
نعم لأن المضلل هو أسفل من المضلل وقد ظلمه
فليكن تحت قدمه، وقد يجاوبه اللا جواب!..
وعله لا إذ لا إجابة لدعاء الكافر وهو في
النار (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) (١٣):
(١٤)! وليس كل مضلل أسفل من مضلله ولا أظلم
منه وأطغي! (قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء
أضلونا فأتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل
ضعف ولكن لا تعلمون) (٧: ٣٨) وعلمهم حيث أضلوا
غيرهم كما ضلوا بغيرهم فهم ومضلوهم في
الضعف سواء!

وقد يكون الإنظام أظلم من الظلم! ثم الله هو
الذي يجعل الأسفل من الأسفلين والسافل من
السافلين عدلاً وجزاءً وفاقاً، أفيطلب بعدله
يوم عدله؟! وفي جعلهما تحت أقدامهم حظوة
ونعيم للتابعين وليست النار دار النعيم!
(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة

١ . الدر المنثور ٥: ٣٦٣ - أخرج عبد الرزاق
والفرياني وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير
وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن
مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أنه سئل عن قوله (ربنا اننا...) قال: هو ابن آدم
الذي قتل أخاه وإبليس.

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزْلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)

آية الاستقامة فى فصلت فصلت ثانياً لها
المجمل في الأحقاف، ثم ليست سواهما فى
سائر القرآن إلا (لمن شاء منكم أن يستقيم)
(٨١ : ٦) (فلذلك فادع واستقم كما أمرت) (٤٢ :
١٥) (فاستقيموا إليه) (٤١ : ٦).

فى الأحقاف تبشر بسلب الخوف والحزن
وإثبات الجنة (إن الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.
أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاءً بما
كانوا يعملون) (١٣) وهنا يحمل الملائكة تنزلاً
عليهم هذه البشارة بولاية لهم دائبة فى
الدنيا والآخرة، وما ألدّها بشارة وحيّاً من
الله ثم إلهاماً يحمله ملائكة الله!

وتري ما هي الحاجة إلى بشارة الملائكة
وولايتهم بعد الله فى الدنيا والآخرة؟ عدّها
لتكملة المقابلة بينهم وبين الكافرين،
فأولاء لهم قرناء من الشياطين وهم اوليائهم
بعد الشيطان الأول، وهؤلاء لهم قرناء من
الملائكة يبشرونهم وهم اولياء لهم بعد الله
وبأمره فى الدنيا والآخرة، تشریفاً لهم وليس
بحساب الحاجة.

(.. وقد قلت ربنا الله فاستقيموا على كتابه
وعلى منهج أمره وعلى الطريقة الصالحة من
عبادته، ثم لا تمرقوا منها، ولا تبتد
عوافيها، ولا تخالفوا عنها، فإن أهل المروق
منقطع بهم يوم القيامة) ^١ و (قد قالها ناس
من الناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى
يموت فهو ممن استقام عليها) ^٢ ومادة

^١ . فى نهج البلاغة عن الامام امير المؤمنين X وادى
متكلم بعدة الله وحجته قال الله تعالى (ان الذين قالوا
ربنا الله...) وقد قلت... ٢٦٣ : ٥ - اخرج الترمذى والنسائى
والبزاز وابويعلى وابن جرير وابن ابى حاتم وابن
عدى وابن مردويه قال قرأ علينا رسول الله 3 هذه الآية
(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال: قد
قالها..

الإستقامة تختصر بل وتحتصر في (فرائض الله)^١ أصلية كولاية الله والرسول وخلفائه (عليهم السلام)^٢ وحقيقة المعاد، وفرعيته كسائر الفروع المفروضة علي العباد.

فالإستقامة في قول (ربنا الله) هي إستقامة في العمق بكافة متطلباتها، وإستقامة في طول الحياة وعرضها في معارضها كلها، إستقامة علي الطريقة الصالحة إليه علماً وإيماناً وعملاً صالحاً، وإلإستقامة عليها شعوراً في الضمير وسلوكاً في الحياة وصبراً علي تكاليفها، والأشلاء والدماء في سبيلها، والحرمانات وترك الشهوات والنفسيات في جادتها بصورة قاطعة جادة.

أتري المستقيمين - كلهم - تنزل عليهم الملائكة بدشراهم؟ فمن رأي منهم الملائكة وسمعهم؟ اللهم إلا من حذي حذو الرسول³ منهم ونحوي نحوه، وهم الأئمة الأثنى عشر (عليهم السلام) اذ كانوا يرونهم ويسمعونهم، ولكنما الآية تعم المستقيمين كلهم، أو أن بشري الملائكة بوجه عام هي عند موتهم، مهما

^١ . الدر المنثور ٥ : ٢٦٣ - اخرج ابن مردويه من طريق الثوري عن بعض اصحابه عن النبي³ في قوله: ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال: علي فرائض الله.

^٢ . نورالثقلين ٤ : ٥٤٧ ح ٤٣ في تفسير اهل البيت (عليهم السلام) عن ابي بصير قال قلت لأبي جعفر^X قول الله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال: هي والله وما انتم عليه. نورالثقلين ٤ : ٥٤٥ ح ٣٦ في بصائر الدرجات بسند قال دخل حمران بن اعين علي ابي جعفر^X فقال له جعلت فداك يبلغنا ان الملائكة تنزل عليكم؟ قال: اي والله لتنزل فتطأ فرشنا اما تقرأ كتاب الله تبارك وتعالى (ان الذين قالوا ربنا الله...)? وفي ح ٤٤ عن الخرائج والخراج باسناده الي ابي عبدالله^X في الآية فقال: اما والله لربما وسدناهم الوسائد في منزلتنا، قيل له: الملائكة تظهر لكم؟ فقال: هم الطف بصياننا منا بهم وضرب بيده الي سور في البيت فقال: والله لطالما اكننت عليها الملائكة وربما التقطنا من زغبها.

بشروا الخصوص منهم قبل موتهم؟^١ والظاهر من (تنزل...) هو تنزلهم عليهم منذ استقاموا ليُطمئِنوهم علي استقامتهم فيزدادوا قوامة علي قوامة، ثم (ونحن أوليائكم في الحياة الدنيا) لا تفيدهم بشارة إلا أن تكون قولة في الحياة الدنيا كما (وفي الآخرة) لتكون زادهم في مسيرهم الشاق الطويل، فلا يخافوا مستقبلهم الآخري، ولا يحزنوا علي ما فاتهم في الأولي! أم إن بشارة الملائكة درجات بمختلف التنزلات كما استقامة المؤمنين درجات، فقد يرونهم ويسمعونهم كالرعيل

١ . نورالثقلين ٤ : ٥٤٧ ح ٤٥ القمي في الآية (ثم استقاموا) قال: علي ولاية اميرالمؤمنين X (تنزل عليهم الملائكة) قال: عند الموت (تنزل عليهم الملائكة) قال: عند الموت (الاتخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياءكم في الحياة الدنيا) قال: كنا نحرسكم من الشياطين (وفي الآخرة) اي: عند الموت.. وفي تفسير الامام الحسن العسكري³ عند قوله تعالى (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم) من البقرة قال رسول الله³ لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة ولا يتقن الوصول الي رضوان الله حتي يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له وذلك ان ملك الموت يرد علي المؤمن وهو في شدة علته وعظيم ضيق صدره بما خلفه من امواله وبما هو عليه من اضطراب احواله من معامليه وعياله قد بقيت في نفسه حسراتها واقتطع دون امانيه قلم يندبها فيقول له ملك الموت مالك تجرع غصصك؟ قال: لا اضطراب احوالي واقتطعك لي دون امانتي، فيقول له ملك الموت وهل يحزن عاقل من فقد درهم زائف واعتياض الف الف ضعف الدنيا؟ فيقول: لا - فيقول ملك الموت فانظر فوقك فينظر فيري درجات الجنان وقصورها التي يقصر دونها الاماني فيقول ملك الموت: تلك منازلك ونعمتك واموالك واهلك وعيالك ومن كان من اهلك ههنا وذريتك صالحاً فهم هنالك معك افترضي بهم بدلاً مما ههنا فيقول بلي والله ثم يقول انظر فينظر فيري محمداً³ وعلياً X والطيبين من الهما في اعلي عليين فيقول اوتراهم هؤلاء ساداتك وانمتك هم هنالك جلاسك واناسك افما ترضي بهم بدلاً من تفارق هنا؟ فيقول. بلي وربي فذلك ما قال الله عزوجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا) فما امامكن من الاحوال فقد كفيتموها ولا تحزنوا علي ما تخلفونه من الذراري والعيال فهذا الذي شاهدتموه في الجنان بدل منهم وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وهذه منازلكم وهؤلاء ساداتكم اناسكم وجلاسكم).

الأعلي وهم الأئمة الهداة، أو يسمعونهم ولا يرونهم كمن حذى حذوهم من المخلصين، أو يلهمون دون سماع ورؤية كالمؤمنين المتوسطين، فمهما كان تنزلهم عند موتهم برؤية وسماع، فلكل في حياته مُنزلٌ من الملائكة حسب قابلياته، فليس مثل ابن عباس - علي مكانته - من ينزل عليهم الملائكة نزولهم علي العترة الطاهرة^١ مهما شملته البشارة الملائكية بين من استقاموا، وما أظنه تشمله وقد تنحي عن نصرة الإمام المعصوم سيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء.

ومهما كان أجلي المصاديق لمُنزل الملائكة مكاناً هم الأئمة وزماناً هو الموت، ولكنه لا يمنع شموله كل المستقيمين منذ استقاموا حتي الموت ويوم النشور، اياماً ثلاثة يعيشونها بهذه البشارة المشرفة، وفي الحق (ربنا الله) إذا قيل بحق يحمل كلما يتوجب علي العبد تجاه الله، إذ تشمل التربيات الإلهية كلها دونما استثناء، ولا يمكن الإستقامة في (ربنا الله) اللائقة لهذه البشارة إلا أن تعذى (قالوا) قولاً نابعاً عن علم، نابغاً بإيمان، فالقولة الخالية عنها خاوية لا تحمل الإستقامة فيها إلا خواءً علي خواء! ثم الإستقامة تحمل بعد قوامة العلم والإيمان استدامة العمل الصالح الذي

١ . المصدر ٥٤٦ ح ٣٨ اصول الكافي عن ابي عبدالله X انه قال: بينا ابي جالس وعنده نفر اذ استضحك حتي اغرورقت عيناه دموعاً ثم قال: هل تدرون ما اضحكني؟ قال: فقالوا: لا - قال: زعم ابن عباس انه من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقلت له: هل رأيت الملائكة يا بن عباس تخبرك بولايتها لك في الدنيا والآخرة من الأمن من الخوف والحزن؟ قال فقال: ان الله تبارك وتعالى يقول (انما المؤمنون اخوة) وقد دخل في هذا جميع الأمة فاستضحكت ثم قلت: صدقت يا بن عباس...

اقول: لعل تصديقه X قول ابن عباس تصديق لاصل دخوله في الآية دون رؤية الملائكة وسماعهم التي هي الدرجة العليا من تنزلهم.

يتبعهما، فالقول (ربنا الله ثم استقاموا) يتبني مثلث العلم والإيمان والعمل الصالح بمراتبها.

وهذه البشارة تحمل كلا السلب والايجاب جزاءً من ربك عطاءً حساباً عن (ربنا الله) فإنها (لا إله الا الله) سلباً بسلب وايجاباً بايجاب. فسلبها (ألا تخافوا ولا تحزنوا) خوفاً عما يأتي وحزناً علي ما أتى، وايجابها (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون...!) فـ (لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) هي زادهم من بدئهم إلي معادهم (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢: ٣٨) (بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢: ١١٢) (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٣: ١٧)!

(نحن أوليائكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة..)

الولاية هنا المحبة والنصرة المساندة عل ضوء ولاية الله، فللملائكة تأثيرات جلية وخفية فى الأرواح الشرية المستقيمة علي (ربنا الله) بإلهامات ومكاشفات فى مختلف المقامات والمكانات حسب القابليات والدرجات، وكما لدشيطان لكافرين إلهامات لأوليائهم حسب الدركات ظلمات بعضها فوق بعض.

هذه الولاية الملائكية وتلك الشيطانية فى الحياة الدنيا سوف تبقي فى الآخرة أظهر وأقوي، حيث التعلقات الحائلة هناك زائلة، فالولاية فى بروزها وتأثيرها تظل دون غطاء ووطاء نائلة.

(فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) (٣١)

لكم فيها ما تشتهون ولكم ما تطلبون، جمعاً بين ما تسرون من طلباتكم وما تعلنون.

(نزلًا من عفور رحيم) (٣٢)

فكما قدمت لله فى حياتكم الدنيا مرضات الرب كلها، كذلك الغفور الرحيم يجيب إلي

طلب باتكم كما تشتبهون وتدعون في الحياة الأخرى.

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

الْمُسْلِمِينَ) (٣٣)

علّ الواو قبل (عمل وقال) للحال فتعنى حال أنه عمل صالحاً وقال إننى من المسلمين، فمن أحسن قولاً منه؟ فـ (الذين قالوا ربنا الله) هم القائلون (إنذى من المسلمين) ولمّا استقاموا) فهم ممن (عمل صالحاً) فلما استكملوا فى تبئى حق الإسلام لأنفسهم، من ثمّ لهم وعليهم أن يكونوا (ممن دعا إلى الله) فهو الأحسن قولاً ممن سواه، ولا أحسن مه قولاً فيمن سواه.

ووجه آخر أن الواوين للعطف، فـ (عمل صالحاً) فى سبيل الدعوة إلى الله وكما أصلح به نفسه (وقال إننى من المسلمين) الحقيقيين جهاراً دون تقيّة ولاستار، فأسلامه جاهر قولاً وعملاً فدعوة إلى الله، وهذه هى الدعوة الحقّة التى ما لها من فواق.

والمعنيان عليهما معنيان ويقتضيهما أدب اللفظ وعلو المعنى، فهناك عمل صالح وإننى من المسلمين قبل الدعوة وهما من شروط الدعوة، ثم عمل صالح وقول فى طريق الدعوة وهما زاد الدعوة فى سبيلها الشاق الطويل، وقد زوّد الرسول محمد³ أفضل من غيره من الدعوات

إلى الله وأحسن، بقول وعمل صالح قبل الدعوة ومنذ ترعرع، ومع الدعوة حتى لاقى ربه، فمن أحسن قولاً منه.

إن كلمة الحق حينئذٍ أحسن كلمة تقال، لكنّها مع العمل الصالح الذى يصدقها ويصعدها، ومع الإستسلام الذى تتوارى معه الذات والذاتيات والإنيات وحب الظهور وكل شىء، فتصبح الدعوة خالصة لله، ليس فيها للداعية شأن إلاّ الدعوة.

والنهوض بتلك الدعوة البارعة فى مواضع

إلتواءات الذفوس البشرية واستكباراتها، إنه أمر عظيم، وأعظم منه الداعية الذي لا يهدف في دعوته إلا الله، تناسياً لنفسه ورغباته وكل شيء إلا الله.

إنه يعارض السيآت ليزيلها، ولا تستوى الحسنات ولا السيآت، فقد يقتضى صالح الدعوة أن يدفع بالتى هي أحسن السيئة دون مجابهة بمثل كما يفعلها غير الصالحين.

(وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (٣٤)

(ادفع بالتى هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) (٢٣ : ٩٦)

تري ما هو موقع (ولا) بين الحسنة والسيئة؟ فهل إنها مزيدة لتأكيد النفي حيث الإستواء لا يكتفى بمفرده، ولها نظائر (ولا الظلمات ولا النور) (٣٥ : ١٩) (وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بسمع من فى القبور) (٣٥ : ٢٢).

أم انها للنفي، نفياً لاستواء جنس الحسنة بأفرادها وجنس السيئة بأفرادها؟ فهو بأحري نفياً للإستواء بين قبيل الحسنة والسيئة! ولو أن تأكيد النفي يبرر الزيادة فى (لا) فلماذا لم تزد فيما هو أولي: (لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) (٥٩ : ٣٠) (قل لايستوى الخبيث والطيب) (٥ : ١٠٠) ولا سيما أن (ولا الظلمات ولا النور) كمثال الواقعة بين الممثل أو مثال أولي (وما يستوى إلا عمي والبصير) وهو أحري بتأكيد النفي وعل الإستواء المنفى فى (ما يستوى الأحياء ولا الأموات) أيضاً هو بين الأحياء أنفسهم، وبين الأموات، ثم النفي بين الأحياء والأموات، وبين الحسنة والسيئة هو نفي الاستواء بينهما بطريق أولي.

أم إنها لتأكيد النفي بين الحسنة وللنفي بين مصاديق الحسنة ومصاديق السيئة؟
قولة الزيادة زيادة من القول، والنفي

ثابت إذ تقتضيه (لا) والجمع أولى فإنه أجمع وأحلي! فإذا لا تستوى الحسنة في أفرادها، ولا السيئة في أفرادها، فلا ينحصر دفع السيئة بسيئة أخرى، فقد تكون سيئة تدفع بحسنة فـ (إدفع بالتي هي أحسن السيئة) وقد تكون سيئة لا تدفع إلا بسيئة فلا مجال إذا لدفعها بحسنة، فالمعاند المكذب بآيات الله، الذي لا يرجي هداه، ولا تُصد هواه، لا تُدفع سيئته بحسنة، بل (جزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يوجب الظالمين. ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) (٤٢: ٤١).

فالعفو في موضع الإصلاح دفع للسيئة بالحسنة ودرء لها (ويدرءون بالحسنة السيئة) (١٣) (٢٢ و ٢٨ : ٥٤) والعفو فيما لا يُصلح بل ويفسد هو سيئة بدل كونها حسنة، فـ (لا تستوى الحسنة) في مواردّها، وكذلك السيئة التي تُدفع بحسنة، والتي تدرء بأية حسنة (لا تستوى السيئة) كذلك في مواردّها، فـ (جزاء سيئة سيئة مثلها) لا تعم مواردّها، لاختلاف السيئات، و (من عفا وأصلح فأجره على الله) لا تعم لاختلاف الحسنات، والسيئة التي تُدفع بحسنة خير من حسنة لا تدفع سيئة بل وتزيدها، فلأنه (لا تستوى الحسنة ولا السيئة) فـ (ادفع بالتي هي أحسن) ما أمكن الدفع، وإلا فـ (جزاء سيئة سيئة مثلها)!

ثم الدفع بالتي هي أحسن ليس إلا عن موضع القدرة، فلئن أحسن العدو موضع الضعف إخرم ولم يحترم، ونفس الدفع يلح إلي شريطة القدرة، حيث العاجز لا يدفع، لا بالتي هي أسوء ولا الأحسن، فإنه ضعيف على أية حال، (ادفع.. فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

هنالك دفع للسيئة وهو واقع بالتي هي أحسن وإن بقي العدو على عداه، كما مناً، وليس (أنه ولي حميم) إنما (كأنه ولي حميم) يندفع عن ظاهر عداه وإيذاءه كولي حميم،

وقد يدفعه إلى مرحلة (ولى حميم) فالإصلاح درجات كما الإفساد دركات، إذا دفعت بالأحسن، بالفعل ينقلب الهيّاج والغضب إلى وداعة وسكينة، والتبجح إلى حياءٍ ولينة، وأنت ما دفعت إلا بكلمة طيبة، ونبرة هادئة، وبسمة حانية أمّاهيه من التي هي أحسن حسب ما يقتضيه علاج الواقعة، طريقة مثلي وحكمة عليا تدفع واقعة السوء بها، وقليل هؤلاء الأعداء الذين يظلمون عليّ عدائهم وجاه تلکم الواجهة الوجيهة والخلق العظيم، اللهم إلا عداءً عريقاً عميقاً ممن لايرجي ولايته وحمته علي أية حال، والهدف الرئيسي من التي هي أحسن دفع السيئة، وإن بقيت العداء في باطنها، ثم إزالة العداء، ثم اجتلاب الحمّة، وأما إذا دفعت سيئة بسيئة أم زاد يزداد عدوك هياجاً، فيخلع حياءه نهائياً إذ يتفلت زمامه فأخذته العزة بالإثم.

إن تلك السماح مع القدرة علي انحصارها في حالات الإصلاح وهي في الأغلبية الساحقة شخصية، إنها بحاجة إلى صبرٍ ومعرفة وعطوفة ودراية زائدة وتلقية إلهية:

(وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (٣٥)

صبرٌ من الله وحظٌ عظيم من الله هما جناحان لذلك الدفع العظيم: (وقال الذين أوتوا العلم ويديكم ثواب خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يُلقاها إلا الصابرون) (٢٨: ٨٠) ومن أعظمهم الرسول الأعظم 3: (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) (٢٧: ٦) ولقد لقاه الله والمحمديين من آله الطاهرين الصبر العظيم والحظ العظيم، فكانوا يواجهون الأعداء بكل حنان ما أمكن ومن ثم غضب الحليم.

هنا (حظ عظيم) في تنكير التعظيم بعد (الذين صبروا) توحى بعظمة ذات أبعاد: صبرٍ وحظ ذي بعدين من العظمة، وما أعظمه العظيم في ميزان الله، وما أكرمه من يُلقاه من عند الله، وفي الحق هم القلة القليلة من سابقين وأصحاب اليمين: (من النبيين والصديقين

والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقاً).
ومن أعظم الحظ العظيم الخلق العظيم (وإنك
لعلي خلق عظيم) وقد يتبناه علم عظيم ومعرفة
واسعة وسماحة فاسحة وتصبرٌ عظيم.

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٣٦)

(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن
الشیطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان
عدواً مبيناً) (١٧: ٥٣) والنزغ هو الدخول في
أمر لإفساده، فإذا قلت التي هي أحسن دفعا
للسيئة بالحسني لم يكن هناك مدخل لشیطان
ليجعل السوء سوائى أم يبقى علي سوء، (وإمّا
ينزغك من الشيطان نزغ) حين يفلت منك فالت،
وهكذا يكون دور الشيطان أن يدخل في الأمور
لإفسادها، فهناك (فاستعد بالله) من نزغه (إنه
هو السميع) إستعاذتك وندائك (العليم) حاجتك
واستدعائك.

الغضب قد ينزغ فلا يتصبر صاحبه علي
إساءة، أمّاذا من نزغات في مختلف الحالات
مهما كنت صبوراً حليماً إلا من عصمه الله، فإذا
نزغك نزغ (فاستعد بالله إنه هو السميع
العليم) وصيغة الإستعاذة هنا (أستعذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم).

(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَ

اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (٣٧)

(لا تسجدوا...) نهي مؤكد انحصاراً للمسجود
له في الله وإنحساراً عما سواه، سواء أكان
المسجود له هو الشمس والقمر كما هنا،
والخطاب موجه الي الساجدين لهما، ام
سواهما من أصنام وطواغيت أم أولياء وملائكة
كرام، ولأن السجود لغير الله تسوية له بالله وهو
ضلال مبين، و (الذي خلقهن) إشارة إلي سبب
المنع وسعة الممنوع بدليل الجمع (خلقهن)
الشمس والقمر وسواهما من خليقته.

ثم و (إن كنتم إياه تعبدون) تعليق علي
عبادتهن، فالعابد لله ليس ليعبد خلق الله، ولا

سيما (إن كنتم اياه..). ترمى إلي التوحيد، والسجود لغير الله ينافي التوحيد. وكضابطة توحيدية كل تسوية لغير الله بالله إشراك بالله، (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من بعدهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً يعبدوننى لايشركون بى شيئاً..). (٢٤ : ٥٥).
 فذلك وعدٌ للحياة الدنيا في عاقبتها (والعاقبة للمتقين) (٣٨ : ٨٣) وكما وعدوا كذلك ميراث ارض الجنة طبقاً عن طبق: (وقالوا الحمد لله الذى اورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء) (٣٩ : ٧٤) فـ (اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس) (١١ : ٢٣)
 فلا يختص الوعد المكتوب (فى الزبور من بعد الذكر) فقط ميراث الأرض بعد الموت برزخاً وأخري^١ كما لا يختص بالحياة الدنيا وان كانت هى الظاهرة من (الأرض) حين اطلاقها، وقد يؤيد الشمول لهما، تلحيق الآية بالآخري وقبلها الرجعة الي الاولي: (فمن يعمل.. وحرام.. حتى اذا فتحت.. واقترب الوعد الحق.. انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم.. يوم نطوى السماء..) (ولقد كتبنا..) فلتحقق آية الوارثة لـ (عبادى الصالحون) - (لقوم عابدين) كلتا الوراثة في كلتا المنشأتين، فمهما كانت الاولي هى القدر المعلوم من نفس الآية، ولكن الثانية تلحقها بآيات القيامة وآية الزمر واضرابهما، مهما اختلف ميراث الآخري عن الاولي فى درجات، ولكنهما يلتقيان فى ظاهرة باهرة لدولة الايمان، ولا سيما بين دويلات الكفر التى يقضى عليها فى هذه

^١ . تفسير البرهان ٣ : ٧٥ عن محمد بن العباس بسند عن ابي الحسين موسى بن جعفر (عليهما السلام) فى الآية قال: آل محمد صلوات الله عليهم اجمعين ومن تابعهم على مناخهم والارض الجنة اقول قد يؤل ارض الجنة بان ارض الدنيا حينئذٍ تصبح كارض الجنة، ام انها تشمل ارض الدنيا الجنة وارض الجنة.

الدولة المباركة الكريمة .
والوراثة الاولى لـ (عبادى الصالحون) هي
السلطة الطليقة عن اسر الطواغيت بأسرها،
ليبلغ بها (الصالحون) لها كما لا تهم
المقدرة لهم فى هذه الحياة، مادية - هي من
الذريعة - و معنوية هي الغاية المعنوية فى
دولة مباركة عالمية، فلا ينتكسون حيواناً فى
وسط الحضارة المادية المزخرفة، ولا يهدطون
السي دركات اللانسانية المتخلفة، ولا
يبتعدون عن مظاهر الحياة متقشفين عن
الماديات، اخلاءً لميادين الحياة للشيطانات
والفرعنات، وانما صلاحاً تاماً طاماً كافة
جذبات الحياة، دون ان تزوي عندها شطرات،
جاعلين غير الصالحين فى زواياهم منعزلين
عن كل حيوية إلا صالحة .

ونحن نرى طول التاريخ الرسالى والانسانى
عدم التوازن والتناسق فى الحياة الارضية
المرضية، حيث تشيل كفة من ميزانها وترجح
اخرى .

فقد يغلب - تغلباً - على الأرض بكل
ثرواتها وبركاتها جبارون وظلمة وطغاة، ام
همج متبربرون غزاة، ام كفار فجار يحسنون
استغلال طاقاتها و ثرواتها فى الشهوات
والحيوانات وهى الاكثرية المطلقة فى طول
التاريخى والعرض الجغرافى، فلا تبقى
لصالحين رمقاً إلا محقاً وسحقاً، وهم بين
قاصرين لا حول لهم ولا قوة، ومقصرين متقشفين
يرون الحياة انعزالية عن وراثة الأرض .

فحيثما يجتمع صالح الايمان - وهو ايمان
القلب - و صالح العمل الجبار فى امة صامدة
قائمة، فعندئذ تتحقق وراثة الارض فى كافة
الحيويات الميسورة منها .

ولكن حين يفترقان هذان العنصران،
فالميزان يتأرجف، فتقع الغلبة للأخذين
بالواجهة المادية للحياة، حين يهمل
المؤمنون الأخذ بها ذريعة لتحقيق دولة
الايمان ودولته .

ف (عبادى الصالحون) هم الجامعون لكل
 صلاحيات الحياة وحسنيتها، اذ لا قوة للايمان
 بجنب القوات الكافرة وزخرفات الحياة، إلا
 علي ضوء دولة قاهرة باهرة تحلق علي كافة
 الطاقات الحيوية، مجدثة جذور الافسادات
 والشيطانات، ليخلو جو الحياة لتطبيق الحق
 كما يحق.

تلکم البشارة المسجلة (في الزبور من بعد
 الذكر) هي الشاملة للصالحين ورثة للأرض،
 وللطالحين منعزلين عن وراثة الارض، وهي كما
 يعلمه العالمون لم تتحقق حتي الآن، وحتى في
 زمن المرسلين، فلها - اذاً - ميعاد يأتي.
 وتري ما هو الزبور من بعد الذكر،
 المكتوب فيه هذه البشارة، وما هو الذكر؟
 اللائح من (الزبور) مفرداً هو زبور داود
 تحمله آيات ثلاث، هذه (وآتين داود
 زبوراً) (٤ : ١٦٣ و ١٧ : ٥٥) مهما كانت هنالك
 سبع اخري في جمعه الجامع لكل الزبر^١ وقضية
 الإفصاح في كتاب البيان القرآن (الزبر) - ان
 كان المعنى من (الزبور) كل الزبر، اضافة
 الي ان (الذكر) ايضاً من الزبر، توراة ام
 قرناً ام سواهما مما زبر من كتابات الوحي.
 و (الذكر) السابق علي هذا الزبور هو
 التوراة، ولانه الاصل في الكتابات
 الاسرائيلية، وما تخصيص الزبور بالذكر (من
 بعد الذكر) الا لبالغ اهميته بين الكتابات
 الملحقة بالذكر، اللاحقة له، وان هذه
 البشارة بينة صريحة في آيات من الزبور.
 وقد اطلق الذكر علي التوراة في هذه
 السورة مرتين (فاسألوا اهل الذكر) (٧) -
 (وذكراً للمتقين) (٤٨).

و (من بعد الذكر) كما تتعلق بمقدر الكائن
 (ولقد كتبنا في الزبور) الكائن (من بعد
 الذكر)، كذلك تتعلق بـ (كتبنا) فهذه الكتابة

^١ : وهى ٣ : ١٨٤ و ١٦ : ٤٤ و ٢٦ : ١٩٦ و ٣٥ : ٢٥ و ٥٤ : ٤٣ و ٥٢ و ٢٣ : ٥٣.

تعم الذكر، ومن ثم - وعلي هامشه - الزبور، كتبنا في الزبور من بعدما كتبنا في الذكر. بشارة مسجلة في كتابات التوراة خاصة وعامة^١ ومن بعد (في الزبور) وهو ابعده من التحريفات والتجديفات التي ابتدى بها الذكر، وقد يعنى الذكر هنا كل ذكر سماوى قبل الزبور^٢ كما نجد هذه البشارة تصرّحة واشارة في كتابات اخري قبل التوراة وبعدها، ولا سيما في (الزبور).

ام ان (الذكر) هو الذكر الحكيم في اللوح المحفوظ (عند الله) و (الزبور) هو جنسه الشامل لمطلق الزبر السماوية^٣.

وقد يعنى (الزبور من بعد الذكر) كل ما ذكر علي الترتيب الرتيب، دون اختصاص بواحدة دون الاخري، مهما كان الأولي كل أولي حسب القرائن المسرودة عندها.

وزبور داود، المخصوص بالذكر هنا، يحمل تصرّحات عدة بشأن وراثة الأرض في الدولة الاخيرة التي يقودها ابنه من بنته: القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

واليكم فيما يلي نصوصاً من تلك البشارة الغالية، تجد تفاصيلها في كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) وهنا نماذج ملتقطة تحلق علي كل ذكر في كتابات السماء. ففي المرموز ٣٧ من الزبور: لا تفر من الاشرار ولا تحسد عمّال الإثم فانهم مثل الحشيش سريعاً يقطعون ومثل العشب الاخضر يُذبلون كفّ عن الغضب واترك السخط ولا تغتر

^١ . التوراة الخاصة هي الاسفار الخمسة، والعامه هي هيه وسائر أسفار الانبياء من بني اسرائيل. البرهان ٣ : ٧٥ القمي في معني الآية قال قال الكتب كلها ذكر الله ان الارض يرثها عبادى الصالحون قال قال: القائم X واصحابه.

^٢ . نورالثقلين ٣ : ٤٦٤ في اصول الكافي بسند عن عبدالله بن سنان عن ابي عبد الله X انه سألته عن قول الله عزوجل (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) ما الزبور وما الذكر؟ قال: الذكر عند الله والزبور الذي انزل علي داود وكل كتاب نزل فهو عند اهل العلم ونحن هم.

لفعل الشر لان عاملى الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض (١٠) بعد قليل لا يكون الشرير تطلع فى مكانه فلا يكون (١١) اما الودعاء (فيرثون الأرض) ويتلذذون فى كثرة السلامة (١٢) الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه اسنانه (١٤) الاشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم (١٥) سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر.. (١٨) الرب عارف ايام الكماله و (ميراثهم الي الأبد يكون).. (٢١) الشرير يستقرض ولا يفى، اما الصديق فيترأف ويعطى (٢٢) لان المباركين منه (يرثون الأرض) والملعونين منه يُقطعون.. (٢٩) (الصديقون يرثون الأرض ويسكونها الي الابد).. (٣٤) انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك (لترث الأرض إلي انقراض الأشرار تنظر).. (٣٨) لاحظ الكامل وانظر المستقيم فان العقب لانسان السلامة (٣٨) اما الاشرار فيبادون جميعاً، عقب الاشرار ينقطع (٣٩) اما خلاص الصديقين فمن قبل الرب حصنهم فى زمان الضيق.

هذه آيات بينات مكررات ثمان عدد ابواب الجنة تصرح أن ما الارض يرثها عبادة الصالحون) والآية (٣٤) تصرح ان داود X من سواعد تلك الدولة المباركة فى وراثة الارض! وهذا الفصل فقط من الزبور يحمل اربعين آية كلها تحوم حوم انقراض الاشرار ووراثة الأرض للأخيار.^١

وفى المزمور ٧١ : ١ - ٢٠ مواصفات للقائد الأول لهذه الوراثة ومنها (١٧) (يكون اسمه الي الابد، ما دامت الشمس، يذموا اسمه ويتبارك فيه جميع قبائل الأرض وتغبطه كل الامم.. (١٩) وتبارك اسم مجده الي الابد ولتمتليء الأرض كلها من مجده. آمين ثم

^١ راجع رسول الإسلام فى الكتب السماوية ٢٢٧ - ٢٢٨.

أمين^١.
 وفي مزمور ٤٥ : ١٨ (يكون بنوك عوضاً عن
 آبائك تقيمهم رؤساء علي جميع الأرض).
 وفي (اهو نودكات) في يسناغاتها ٤٨ : ٢ -
 ١١ : الترجمة الحرفية عن الاصل البهلوي
 الاوستائي^٢ : (عرفني يا أهورا! (الله) هل ان قبل
 القيامة يوم لجزاء المحتوم سوف يهزم أتباع
 الصدق أتباع الكذب فإنه حقاً بشاره حسنة
 لهذا العالم.
 وفي يسناها ٣٠ : ١٠ بعد استرجاع الحياة
 الجديدة في آخر الزمن يقول (وفي ذلك الزمان
 ينكسر عالم الكذب بفلاح الصدق، وكذلك في
 عالم الخير(القيامة) ..).
 وفي يسناها ٤٦ : ٣ (متي يا مزدا (الله) يصلنا
 أول النهار، الشريعة الصادقة تشمل وتدعم
 الكون.. للإنباء والإيمان والإعلان بعثتك.
 وهنا آيات توراتية تدلنا علي اجتماع
 كافة الامم في آخر الزمن، وليس ذلك إلا عند
 وراثة الأرض للصلحين.
 ففي سفر التكوين ٤٠ : ١٠ (لاتنهض عصي
 السلطنة من يهودا ولا الحكم من بين رجليه
 حتي يأتي شيلوه الذي يجتمع فيه كافة الامم).
 وذلك الاجتماع أمر واقع لا مرد له، دون ان
 يكون أملاً لا يتحقق، فانه يعم اولي العزم من
 الرسل كافة دون اختصاص بـ (شيلوه) وفي
 التراجع العربية ١٧٢٢ و ١٨٢١ و ١٨٤٤ فسر
 (شيلوه) بـ (الذي له الكل واياه تنتظر الأمم)
 وهذا هو حقاً رسول الإسلام الذي تجتمع الامم
 في دولة المهدي القائم من آله.
 وفي دانيال ٢ : ٤٤ (وفي ايام هؤلاء الملوك
 يقيم إله السماء مملكة لا تنقض الي الابد

١ . راجع رسول الإسلام ٢٢٩ - ٢٣٣ .
 ٢ . نقلنا عن الترجمة الفارسية عن الاصل للاستاذ
 پور داود استاذ اللغة الاوستائية في جامعة طهران .
 ٣ . راجع رسول الإسلام ٢٠٩ - ٢٢٢ - وأوست يعزي الي
 زردتست لما قبل ستين قرناً وهو خليط من تعليمات
 إبراهيمية من صحيفة وزيادات من زردشت ام سواه .
 ٤ . راجع رسول الإسلام ٢٣ - ٢٧ .

وملكه لا يُترك لشعب آخر فتسحق وتفدى جميع تلك الممالك وهي تثبت الي الأبد، وفي الآية (٢٩) يعبدُ عندها بمملكة رابعة تكون صلبة كالحديد، لان الحديد يسحق ويطحن كل شيء، فكما ان الحديد يحطم كذلك هي تستحق وتحطم جميع ذلك.

وفي دانيال ٧: ٢٧ (ويعطي الملك والسلطان وعظمة الملك تحت السماء بأسرها لشعب قديسي العلي وسيكون ملكه ملكاً ابدياً ويعبده جميع السلاطين ويطيعونه).

وفي حبقوق ٣: ٣ - ٦ (الله من جبل فاران يأتي ابدياً. غطي جلاله السماوات وامتلت الأرض من تسبيحه (٣) شعاعه كالشمس وشع من يمينه النور وهناك استتار قوته (٥) وقف وسمح الأرض وأذاب الامم وتبددت الجبال القديمة وخسفت وانحنت آكام وأتلال القدم مسالك الازل له).

وفي انجيل متي ٢٥: ٣١ - ٤٦ يذكر قيام المهدي X قائلاً: (٣١) ومتي جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة معه فحينئذ يجلس علي عرش مجده (٣٢) وتجمع لديه كل الامم فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي اليميني عن اليميني والجداء عن يساره (٣٤) حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه (٤١) حينئذ يقول ايضاً للذين عن يساره، اذهبوا عني يا ملاعين الي النار الابدية المعدة لابليس وملائكته...

وفي اشعياء ١١: ٩ بعد ما يذكر ميزات لذلك الزمن يقول (لان الأرض تمتد) من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر (١٠) وفي ذلك اليوم اصل يسي القائم راية للشعوب إياه تترجي الامم ويكون مثواه جيداً) وفيه ٦: ٢١ (ويكون شعبك كلهم صديقين والي الأبد يرثون الأرض...).

١ . راجع رسول الإسلام ٤٦ - ٥٣.

وفى انجيل متي ٢٥... (٣٢) وتجمع لديه كل الامم... (٣٤) حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي خالقي رثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم... .
هذه نماذج يسيرة من هذه البشارة والتفصيل راجع الي رسول الإسلام .
ثم (الارض) هي الارض كلها بكافة سلطاتها الروحية والزمنية حيث تلتقيان فى زعيم الدولة الأخيرة، ثم آخرون من اضرابه الذين يجمعهم (عبادى الصالحون) وكما يروي عن النبى³ قوله سناداً الي الآيئة (فنحن الصالحون)¹ فانه يرأسهم يوم الدنيا ويوم الدين، و (هم آل محمد)³ فهم - اذاً - كل صالح ليكون من اعضاء هذه الدولة المباركة واعضادها «من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً»، بمختلف درجاتهم .

(إن فى هذا نبأغاً لقوم عابدين) (١٠٦)

(هذا) هنا هو إرث الأرض للصالحين، وطبعاً فيه بلاغ لقوم عابدين، حيث يأخذون حرّيتهم وحيويتهم الطليقة الايمانية فى ذلك الزمن .
وذلك البلاغ يدفع قوماً عابدين للصدود فى عبادة الله مهما بلغت بهم الصعوبات، ناظرين بلوغهم الي ذلك الزمن، فلذلك يحضرون انفسهم ليكونوا من اعضاء تلك الدولة الكريمة، دون تقشّف و تقاعس عن القيام بواجباتهم الجماعية سياسية وثقافية واقتصادية وعسكرية أمّاهيه، وكما امرهم الله: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...).
فلقد جاءت هذه الرسالة الاخيرة كتاباً

^١ . الدر المنثور ٤ : ٣٤١ - اخرج البخارى فى تاريخه وابن ابى حاتم عن ابى الدرداء قال قال رسول الله³ قال الله تعالى: (ان الأرض يرثها عبادى الصالحون) فنحن الصالحون.
^٢ . تفسير البرهان ٣ : ٧٥ عن ابى جعفر X فى الآيئة قال: هم آل محمد³.

مفتوحاً للعقول المتفتحة، شاملة لكافة
الاصول الحيوية البنائة للحضارة الحقيقية
المرضية، واضعة اصول المنهج الدائم للحياة
الانسانية المتجددة، كافلة للعقل الانساني
حرية العمل بكفالة حقها في التكفير
الطليق.

و من قِيم هذه المنهجية الحيوية انها
متوازنة متناسقة، لايعذب الجسد لتسمو
بالروح، ولا يهمل الروح ليستمع الجسد، ولا
تقيد الفرد - فقط - لتحقيق مصلحة الجماعة
او الدولة، ولا تُطلقه في نزواته وشهواته
الطاغية لتوذي الجماعة، ولا تقيد - كذلك -
الجماعة لخدمة الفرد، بل يستخدم كل فرد
فرد لصالح نفسه ولصالح الجماعة علي سواء .
وهذه هي المصلحية الالابقة اللائقة لتأسيس
الدولة العالمية، من عباد صالحين، و (ان في
هذا لبلاغاً لقوم عابدين).

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(١٠٧)

وتلك الرحمة العالمية الرسالية لاتطبَّق إلا
علي ضوء دولة عالمية، ولكي ينتفع منها
العالمون اجمع ويستظلوا في ظلها، حين تذوب
الفوارق الجغرافية والجنسية والعنصرية
والطائفية امّاهيه تحت رعاية هذه الدولة
الاخيرة الاسلامية العالمية، وذلك من المعنى
لقوله تعالى: (هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره علي الدين كله و كفي بالله
شهيدا)(٤٨ : ٢٨)، حيث الظهور الغلبة علي
الدين كله، وهو الطاعة كلها، ان ذلك يتخطي
الأمل الي العمل وليس الا في دولة القائم X.
صحيح ان كل رسالة مستقلة هي عالمية
الاتجاه والرحمة مبدئياً، ولكنها - وحتى
الرسالة المحمدية³ ما حلقت زمن رسولها
وأئمتها - إلا الغائب - علي العالمين ككل،
وليس (رحمة للعالمين) غايه خيالية غير
واقعية، بل ان لها واقعا في مستقبل
الزمن.

لا بد في ذلك الزمن ان يتأثر العالمون

اجمعون بتلك الرحمة طوعاً او كرهاً ،
ليستروحوها فيها نساء السماء الرخيدة في
هجير الارض المحرق المطبق، كلما ازدادوا
تخلفاً عن الشرعة الآلهية، يلمسون حاجة اكثر
بهذه الرحمة.

ومن آيات تحليق هذه الرحمة الرسالية علي
واقع العالمين مستقبلاً، ان (رحمة للعالمين)
تختص بهذا الرسول دون سواه كما النذارة
المحمدية عالمية بواقعها، لافقط في مغزاها
(تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون
للعالمين نذيراً) (٢٥ : ١) (ان هو إلا ذكر
للعالمين) (٣٨ : ٨٧) و (العالمين) مكررة في
القرآن (٧٣) مرة، وهم جموع المكلفين ولا اقل
من ثلاثة مهما لم نعرف حتي الآن الثالثة،
وتلك النذارة الذكر الرحمة تصلهم - يوماً
ما - اجمعين، ولم تصل لحد الآن كافة الناس
وحتي نذارته، فضلاً عن واقع رحمته، التالية
لتأثير نذارته!.

وقد يروي عن رسول الرحمة وَمَضَات من تلك
الرحمة العالمية وكما يقول (انما انا رحمة
مهداة)^١ ولانه كله رحمة ما كان يلعن احداً من
الطاغين قائلاً (انالله بعثني رحمة للعالمين
وهدي للمتقين)^٢ واذا (قيل يا رسول الله الا
تلعن قريشاً بما اتوا اليك؟ قال لم ابعث
لَعَاناً إنما بعثت رحمة) يقول الله: (وما
ارسلناك إلا رحمة للعالمين).

اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز
بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله،
اللهم انا نشكو اليك فقد نبينا وغيبة

١ . الدر المنثور ٤ : ٣٤٣ - اخرج البيهقي في
الدلائل عن ابي هريرة قال قال رسول الله 3... وفي
المجمع روي ان النبي 3 قال لجبرئيل لما نزلت هذه
الآية هل اصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم اني
كنت اخشي عاقبة الامر فأمنت بك لما اثنى الله علي
بقوله: (ذي قوة عند ذي العرش مكين) وقد قال 3 :
إنما رحمة مهداة.
٢ . المصدر اخرج ابونعيم في الدلائل عن ابي امامة
قال قال رسول الله 3... .

وليننا وشدة الفتن بنا وتظاهر الزمان
علينا، اللهم فسهل مخرجه واجعلنا من
انصاره واعوانه آمين.

(قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (١٠٨)

فالتوحيد والتوحيد فقط هو العنصر الموحد
الوحيد في تلك الرسالة الاخيرة المكملة لما
قبلها، ومنه تنبثق الرحمة العالمية في
كافة الجهات والجنبات، انقاذاً للعالمين من
أوهام الجاهلية الجهلاء، ومن اثقال الوثنية
الحمقاء، ومن ضغوط الخرافات الجارفة
العمياء.

التوحيد الذي يربط الكائنات كلها إلي
بعض، ويربطها الي الله الواحد القهار، ويوحد
كافة الفعليات والانفعاليات دون أية شتات
واختلافات واختلاقات.

ذلك هو طريق الرحمة العالمية، وملتقي
النعمة الشاملة للعالمين، الذين يتبناهما
دين الله كله، وشرعة الله كلها.

هنا (إنما... أنما) حصر علي حصر يحصران
ما يوحى الي الرسول في (إلهكم إله واحد)
توحيداً أكيداً يحلق علي الدين كله، مما
يتفرع عليه ام يتبناه عقائدياً وعملياً
وقولياً وفي كافة الامور المختارة (فهل انتم
مسلمون) لذلك الوحي ام معرضون؟
(فان تولوا) عن كافة الحجج علي التوحيد
(فقل) لهم (أذنتكم).